قضايا التطرف والجماعات المسلحة

دورية دولية محكمة

Journal of Extremism and Armed Groups
قضايا التطرف والجماعات المسلحة

السنة الرابعة
Fourth year

العدد السابع
seven Issue

ايار/ مايو 2022
May 2022

رقم التسجيل: ISSN 2628-8389

مجلة قضايا التطرف والجماعات المسلحة

المركز الديمقراطي العربي

Journal of Extremism and Armed Groups

International Scientific Periodical Journal

https://democraticac.de

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

قضايا التطرف والجماعات المسلحة

Journal of Extremism and Armed Groups

دورية دولية محكّمة

International Scientific Periodical journal

ISSN 2628-8389

تصدر عن

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية

Arab Democratic Center for Strategic, Political and Economic Studies

Germany: Berlin 10315 Gensinger Str: 112

030- 54884375

030- 91499898

030- 86450098

E-mail: j.extremism@democraticac.de

Web Site: https://democraticac.de

آراء الكتّاب لا تعبّـــر بالضرورة عن آراء يتبناها

المركز الديمقراطي العربي أو مجلة قضايا التطرف والجماعات المسلحة

رئيس المركز الديمقراطي العربي

عمار شرعان

President of the Arab Democratic Center: Ammar Sharaan

رئيس التحرير

د. رانيه عبدالله (الأردن)

Chief Editor: Dr. Rania Abdallah (Jordan)

رئيس اللجنة العلمية

د. بن علي لقرع (الجزائر)

Chief of the Scientific Committee: Dr. Benali Lagraa (Algeria)

أعضاء هيئة التحرير	Members of the Editorial Board
د. فريدة روطان (الجزائر)	Dr. Farida Routane (Algeria)
د. سامية غشير (الجزائر)	Dr. Samia Ghechir (Algeria)
د. زهرة الثابت (تونس)	Dr. Zahret Al-Thabet (Tunisia)

أعضاء اللجنة العلمية:

- د. مليكة عقون (الجزائر)
- د. جميل أبو العباس زكير بكري الريان (مصر)
- د. فؤاد الدواش (مصر)
- د. محمد الشيخ بانن (المغرب)
- د. إبراهيم الأنصاري (المغرب)
- د. لؤي خزعل جبر (العراق)
- د. محمد المصطفى بن الحاج (المغرب)
- د. إياد خازر مد الله المجالي (الأردن)
- د. أحمد صلحي (المغرب)
- أ. عربي بومدين (الجزائر)
- أ. سمية بادود (الجزائر)
- أ. فاطمة أودينة (الجزائر)

المحتويات

- مجلة قضايا التطرف والجماعات المسلحة

الدكتورة رانيه عبدالله 02

- أساليب الفكر الجهادي المعولم: العمليّات الإرهابيّة بفرنسا نموذجا

الدكتور رفيق خصخوصي 05

- التدخلات الخارجية ودورها في تنامي التطرّف في العالم العربي

الدكتور عصام عيروط 27

- أوضاع المسلمين في الغرب وتحديات الإسلاموفوبيا والإرهاب

الدكتور الطاهر حاج النور أحمد زروق 55

- منعطف الثّورة التونسية: من ثورة شعب إلى عطالة نسق

الدكتور المنجي حامد 67

- الصلة بين الإرهاب والعنف من منظور الفلسفة السياسية ـ يورغن هابرماس نموذجا

كمال العماري 86

- سوريا بين الصراعات الدولية والإقليمية

أحمد أهل السعيد 109

مجلة قضايا التطرف والجماعات المسلحة

د. رانيه عبدالله (الأردن)[1] **Dr. Rania Abdallah (Jordan)**

رئيس تحرير ***Editor-in-Chief***

تأتي مجلة قضايا التطرف والجماعات المسلحة (الربع سنوية) ضمن إصدارات المركز العربي الديمقراطي الدورية العلمية المتخصصة في فروع علمية مختلفة باللغتين العربية والإنجليزية.

وترتبط هذه المجلة بمختلف فروع العلوم الاجتماعية والإنسانية ذات العلاقة بدراسة الإيديولوجيات المتطرفة ونشاط الجماعات المسلحة، وأبرز هذه الفروع: العلوم السياسية والعلاقات الدولية، والقانون، علم الاجتماع، علم النفس، الفلسفة، علوم الإعلام، الاقتصاد السياسي، الفكر الإسلامي، الإنتروبولوجيا، التاريخ.

تأتي المجلة لسد الفراغ الموجود في العالم العربي المتمثل في عدم وجود مجلات متخصصة في تناول ظاهرة التطرف السياسي والتطرف العنيف رغم انتشارها الواسع في المنطقة العربي، وفي أنحاء أخرى من العالم مثل إفريقيا وأروبا.

إن الهدف من إصدار "مجلة قضايا التطرف والجماعات المسلحة" هو فتح فضاء علمي أمام الباحثين والمتخصصين لنشر البحوث العلمية المهتمة بظاهرة التطرف والإيديولوجيات المتطرفة، من حيث خلفياتها التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنفسية والدينية والإيديولوجية. وكذلك دراسة الجماعات المسلحة التي تأخذ عدة أشكال (أصولية ودينية، جماعات انفصالية ومتمردة، جماعات عرقية وإثنية). كما أن التطرف له أبعاد متعددة (فكري، أيديولوجي، سياسي، ديني، اقتصادي، علماني، ..إلخ).

تهدف المجلة كذلك، إلى البحث في أسباب تنامي نشاط الجماعات المسلحة والتيارات المتطرفة في البلدان المختلفة (ديمقراطية وتسلطية، متطورة ومتخلفة)، وهي ترتبط كذلك بمختلف الثقافات والديانات.

[1] Ra.abdallah2017@gmail.com

تهتم المجلة بنشر الأبحاث العلمية ذات العلاقة بمواضيع التطرف والجماعات المسلحة، ويمكن ذكر أبرزها على سبيل المثال وليس الحصر في ما يلي:

- قضايا التطرف: التطرف الفكري، التطرف الديني، التطرف الإيديولوجي، التطرف السياسي/ التطرف الاقتصادي، التطرف العلماني، التطرف العنيف، العنصرية، التعصب والغلو، التطرف المذهبي والطائفي، التمييز العنصري.
- الجماعات المسلحة: الجماعات الإرهابية، الإرهاب العالمي، التجنيد في الجماعات المسلحة، تمويل الجماعات المسلحة، الميليشيات المسلحة، الجماعات الانفصالية، الجماعات العرقية، والاثنية المسلحة، جماعات المتمردين ضد أنظمة الحكم.
- التيارات المتطرفة: الأحزاب السياسية المتطرفة، اليمين المتطرف، اليسار المتطرف، الحركات والأحزاب الدينية المتطرفة (إسلامية، مسيحية، يهودية...إلخ)، الأحزاب المذهبية والطائفية المتطرفة، التيارات الاستئصالية، الأحزاب العلمانية المتطرفة، الأحزاب العنصرية.
- النزاعات المسلحة داخل الدولة: الحروب الأهلية، النزاعات الإثنية، النزاع بين القوات الحكومية والجماعات المسلحة، الحرب على الإرهاب، النزاع بين الجماعات المسلحة داخل الدول.
- قضايا أخرى: الشباب والتطرف، العنف السياسي، الأصولية، الإسلاموفبيا، التطرف العنيف والتنمية، التطرف العنيف والأمن، الفساد والعنف السياسي، الفقر والتطرف والعنف، الراديكالية، إعلام الجماعات المسلحة، نظام التمييز العنصري.

دراســات وأبحــاث

Studies and Researches

أساليب الفكر الجهادي المعولم: العمليّات الإرهابيّة بفرنسا نموذجا

Methods of globalized jihadist thought: terrorist operations in France as a model.

الدكتور رفيق خصخوصي [1] ***Dr. Rafik khaskhoussi***

جامعة قرطاج - كلية العلوم القانونية والسياسية والاجتماعية بتونس - مخبر البحث في القانون الدولي والمحاكم الدولية والقانون الدستوري المقارن

Carthage University - Faculty of Legal, Political and Social Sciences of Tunis - Research Laboratory in International Law, International Courts and Comparative Constitutional Law

ملخّص

شهدت العمليّات الإرهابيّة الّتي تنفّذها الجماعات الإسلاميّة المتشدّدة تحوّلا نوعيّا منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر لتبلغ ذروة التّمدّد والوحشيّة في ظلّ الحراك الاجتماعي داخل الدّول العربيّة منذ أوائل عام 2011 وبالأخصّ مع اتّساع إقليم تنظيم "الدّولة الإسلاميّة". حيث أصبح تنفيذ العمليّات يستهدف أكبر عدد ممكن من الضّحايا المدنيّين في الدّول الّتي تعيش فيها أقليّات مسلمة. وأسّس منظّرو الجهاد المعولم قواعد مستجدّة لتوسيع رقعة الإرهاب عبر إثارة الفتنة داخل هذه الدّول ودعوة مناصريهم إلى اعتماد أسلوب التّقيّة من أجل تضليل العدو وتكبيده أكبر حجم ممكن من الخسائر. وتقتضي دراسة هذا التّطور نقد المقاربة الفرنسيّة في مكافحة الإرهاب الّذي اعتبرته مجرّد عمل متطرّف ذو دوافع دينيّة ولا يمكن تكييفه على أنّه فعل حرب. وتأسيسا على ذلك تعاملت مع العمليّات الإرهابيّة وفق تحرّيات جنائيّة. لذلك، تدافع المقالة عن طرح جديد يعرض النّظرة الفرنسيّة للخطر الجهادي ويدعو إلى تبنّي مقاربة أخرى تُجنّب الوقوع في فخّ الإسلاموفوبيا من جهة وتجفّف منابع الإرهاب والتّطرف الدّيني من جهة أخرى.

كلمات مفتاحيّة: الجهاد، الفتنة، التّقيّة، الإرهاب، فرنسا.

Abstract

Terrorist operations carried out by extremist Islamic groups have witnessed a qualitative transformation since the events of September 11, reaching the height of expansion and brutality in light of the social movement within Arab countries since

[1] rafikkhaskhoussi@yahoo.com

early 2011, especially with the expansion of the territory of the « Islamic State » organization. As the implementation of the operations targeted the largest possible number of civilian casualties in countries where Muslim minorities live. The theoreticians of globalized jihad established new bases to expand the area of terrorism by stirring up sedition within these countries and calling on their supporters to adopt the method of taqiyya in order to mislead the enemy and incur the largest possible number of losses. A study of this development requires a criticism of the French approach toward counter-terrorism, which is considered as a mere extremist act with religious motives, and it cannot be qualified as an act of war. Based on that, it dealt with terrorist operations, according to criminal investigations. Therefore, the article defends a new proposal that displayed the French view of the jihadist threat and calls for adopting another approach that avoids falling into the trap of Islamophobia on the one hand, and dries up the sources of terrorism and religious extremism on the other.

Keywords: Jihad, sedition, taqiyya, terrorism, France.

مـقدّمة

بعد أن صدّقت نفسها لفترة طويلة أنّها خارج المخطّطات الإرهابية بسبب شعارها "الحرّية والمساواة والأخوّة"[1]، تكتشف فرنسا تهديدا جديدا: إرهاب الّتنظيمات الإسلاميّة المتطرّفة. لقد كشفت سلسلة من الهجمات المميتة عن وجود شبكة من الخلايا الجهاديّة النّائمة. إن التّدخل العسكري الفرنسي في مناطق التّوتر بسبب النّزاعات المسلّحة الدّاخلية، على وجه الخصوص، حيث يغلب وجود الفصائل الإسلاميّة المتطرّفة، ولّد نوعا من التّضامن بين المواطنين الفرنسيين من أصل إسلامي والقوات المقاتلة داخل المناطق المذكورة[2].

وبعد أن اتُّهمت بالتّدخل في شؤون العالم الإسلامي عن طريق "الحروب الصليبيّة" وبتقديم "دعم بدون انقطاع للصّهيونية، بهدف انتزاع أرض الشّام المباركة، أرض الأنبياء، من المؤمنين الحقيقيين، لمنحها إلى اليهود الكفار، الذين قتلوا الأنبياء الذين وصفهم الله"[3]، أصبحت فرنسا الهدف الأوّل للإرهاب الجهادي. كما أنّها، بالنّسبة للبعض الآخر، "بسبب ماضيها الاستعماري وعلمانيّتها تمارس مثل السّيوف على الإسلام، ودعمها للدكتاتوريين العرب، وسياسة الاستيعاب التي تمارسها، والعقبات التي أقيمت لمنع ممارسة العبادة الإسلاميّة، وحروبها في مالي وأفغانستان وسوريا"[4].

لقد تغيّر مسار الإرهاب المعاصر الّذي نشأ في سبعينات القرن الماضي[5] ليتجاوب مع التّحولات الدوليّة[6]. فمنذ مطلع الثمانينات، أعاد الجهاد الأفغاني ضدّ التّدخل السوفياتي إحياء التّراث السّني في بعده الحربي[7]. في نفس السياق، توسّعت دائرة المتورّطين في الإرهاب لتشمل المقاتلين الأجانب، أي المقاتلين بدون أجر والّذين لا تجمعهم

---

[1] دستور فرنسا المؤرخ في 4 تشرين الأول/ أكتوبر 1958، المادة 2.

[2] شاركت فرنسا في عدد من العمليات الحربية: Sangaris في جمهورية أفريقيا الوسطى، Chammal في الشرق الأوسط ضد تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق وسوريا.

[3] مقتطف من مجلة الدولة الإسلامية الصادرة بالفرنسية، دار الإسلام، العدد 2، نشرت بتاريخ 12 شباط/فبراير 2015.

[4] Anne Rosencher, Alexis Lacroix, « Ils ont peur qu'au contact de la France l'islam se sécularise », *Marianne*, N.1007 (21-28 juillet 2016), p. 14.

[5] Brian Michael Jenkins, *The new age of terrorism*, (National Security Research Division, 2006), p. 129.

[6] يجدر التذكير هنا أنّ ظاهرة الإرهاب ليست جديدة. وعلى الرّغم من أنّ البعض يعتقد أنّها تعود إلى التّفجيرات الانتحاريّة الّتي نفّذها تنظيم القاعدة بتاريخ الحادي عشر من أيلول 2001، غير أنّ استخدام الإرهاب للحكم يعتبر قديما قدم الحرب نفسها وقد بدأ مع نشأة المجتمع المنظّم كوسيلة للرّدع والعقاب.

انظر:

Gérard Chaliand and Arnaud Blin (eds.), The history of terrorism : from Antiquity to ISIS, (Oakland, California : University of

California Press, 2007, 2016), Preface to the 2016 edition, p. xxiv .

[7] لمزيد من التفاصيل انظر ما يلي:

Bernard Rougier, *Figures du jihad mondial*, (Presses Universitaires de France/Humensis, 2021), 456 p.

صلة بالعمليات الإرهابيّة سوى التّقارب الدّيني مع الجانب الإسلامي[1]. فلم يعد النّشاط الإرهابي في أوروبا مقتصرا على المسلمين، بل أصبح الإرهاب ومنخرطيه من جنسيّات أوروبية. وإذا كانت بداية الأنشطة الإرهابية في أوروبا قد نشأت بشكل غير رسمي مع هجمات مدريد في 11 مارس 2004 ولندن في 7 يوليو 2005، فإنّ نشاط التّنظيمات الإرهابيّة قد وصل لذروته الحقيقية عندما انزلقت الدّول العربيّة إلى حالة من عدم الاستقرار السياسي والأمني في مطلع عام 2011. ويعتبر تأسيس "الدّولة الإسلاميّة" في يونيو 2014 الحدث الأبرز في بداية الحراك الجهادي وتنفيذ المخطّطات الإرهابيّة على نطاق عابر للقارات.

ولا شكّ في أنّ السّمة الأساسيّة للعالم الإسلامي تتمثّل في أنّ المؤسّسة الدّينية تلعب دورا حيويّا في الحراك الاجتماعي[2]. لذلك اعتمد دعاة الجهاد المنتشرون تحت اسم "الدّولة الإسلاميّة" ومتسلّلون آخرون إلى المساجد، الّذين تطاردهم منظومة الشّريعة الإسلامية والخلافة، توجيه الشّباب إلى التّطرف. في هذا الإطار، تتالت العمليات الإرهابيّة في فرنسا. حيث اكتسبت الاستراتيجيّات الإرهابية الجديدة زخما كبيرا منذ الهجمات التي ارتكبها "محمد مراح" في مارس 2012 في Toulouse وMontauban. بالإضافة إلى عمليّات الإخوة "كواشي" في 7 يناير 2015 ضدّ الصّحيفة الأسبوعيّة السّاخرة "Charlie Hebdo" ومجلّة "Hyper Cacher".

وبقي التّهديد الجهادي المتعمّد يهيمن على فرنسا حتّى ليلة 13 نوفمبر 2015، حيث تمّ تنفيذ سلسلة من سبع هجمات أدّت إلى سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى. وقد اعترف بعض محلّلي العمليّات الإرهابيّة بعد حادثة الهجوم بواسطة الشّاحنة على الجمهور في شارع "Promenade des Anglais" بمدينة Nice في منتصف شهر يوليو من عام 2016 أنّ الاستراتيجيّات الإرهابيّة وصلت إلى ذروتها، ممّا جعل فكرة مكافحة الأنشطة الإرهابيّة بالوسائل العاديّة وفاعليّة المعايير المعتمدة موضع تساؤل.

تعريف المفاهيم

لا يبدو أن التّعريف الكلاسيكي للحرب ينطبق في سياق العمل الإرهابي. حيث يعرّف هذا الأخير بأنّه "عمل سياسي يهدف إلى زعزعة استقرار حكومة أو جهاز سياسي، حيث تكون الآثار النّفسية المنشودة متناسبة عكسيا مع الوسائل الماديّة المستخدمة والتي تتمثّل غايتها الرئيسية، ولكن ليس حصريّا، في استهداف السّكان المدنيين"[3].

ولكن من أجل هذه الدراسة، سيتمّ التّركيز على العمل الإرهابي دون سواه. وتوجد عناصر معّينة تميّز طبيعته. فهو منقطع وغير تمييزي بين الأهداف المدنيّة والعسكريّة. حيث يهدف تنفيذه إلى إحداث أثر نفسي أكثر

[1] Thomas Hegghammer, « The rise of Muslim foreign fighters: Islam and the globalization of Jihad », *International Security*, vol. 35, N.3 (Winter 2010/11), p. 53.

[2] سمير محمد شحاتة، "الليبيرالية العربية: جدلية الدين والحداثة"، **مجلة الديمقراطية**، عدد 74، أبريل 2019، ص. 206.

[3] Arnaud Blin, « Définitions, questions et réponses sur les formes de terrorisme », *Revue Questions internationales* (décembre 2004).

من التّأثير المادّي. بالإضافة إلى ذلك، غالبا ما يتعلّق الأمر "بمشروع فردي أو جماعي يهدف إلى الإخلال الجسيم بالنّظام العام عن طريق التّرويع والرّعب"[1]. وللقيام بذلك، يعتمد منفّذه على أساليب التّضليل والخداع.

إنّ الجهاد المعولم الذي يتناوله هذا البحث يقصد به حركة عابرة للحدود تضمّ إيديولوجية إسلاميّة منفصلة عن ثقافة وتقاليد البلدان الّتي تنتشر فيها. وتعمل هذه الحركة بقيادات متعدّدة الأعراق واللّغات[2]. ويذهب البعض إلى اعتبار أن الجهاد المعولم يعتمد منهجيّة سلفيّة عابرة للقارات لاستقطاب الشّباب المسلمين من جميع أنحاء العالم. وترتكز هذه الحركة على حشد المناصرين عبر التّأثير على المشاعر الحماسيّة. وهكذا، اتّسعت حلقة العمليّات الجهاديّة من خلال تحرّك الجهاديين داخل خلايا سريّة وتنفيذ المخطّطات الإرهابيّة الّتي تستهدف المدنيّين بالأساس سواء باستخدام السّيارات المفخخة أو بواسطة العمليّات الانتحاريّة. وفي نهاية المطاف، تشمل العولمة كلّ من منفذّي الهجمات والضّحايا[3].

أهميّة الموضوع

تتجلّى أهمّية الموضوع في كونه يرنو إلى الوقوف على ظاهرة الإرهاب المبني على أسس دينيّة وعقائديّة وعلاقته بأساليب مواجهة الدّولة للعنف المتفرّق، من خلال التّركيز على أمثلة من الهجمات الإرهابيّة في فرنسا تزامنا مع امتداد "الدّولة الإسلاميّة". كما يسعى هذا الموضوع إلى بيان تطوّر الاستراتيجيات الإرهابيّة من خلال انتقالها من محاربة العدو القريب إلى الدّعوة لمهاجمة العدو البعيد عبر قراءة جديدة للنص الديني مبنيّة على تأويلات الجهاديّين ومنظّري الجهاد المعولم.

صياغة الفرضيّة العلميّة

تمدّد النّشاط الإرهابي إلى أوروبا يعود أساسا إلى إعادة تبنّي مقاربات جديدة لتأويل النّص القرآني والأحاديث ودور ذلك في إحياء أساليب الحرب في فقه المذاهب الإسلاميّة.

تطوّر الفقه الجهادي يؤكّد أنّ الفكر الإرهابي لا يمكن محاربته عبر استهداف الأشخاص الذين ينفّذون العمليات بل أيضا بمكافحة العقول المدبّرة والمخطّطة والمحرّضة.

إعادة تنظيم العلاقة بين الدّولة والجماعات الإرهابيّة يظلّ أساسيّا لمجابهة خطر كراهيّة الإسلام أو المسلمين.

توضيح الاختلاف بين الإسلام كقوّة جيوسياسيّة وبين العمليّات الإرهابيّة التي تقام باسمه.

---

[1] مجلة العقوبات الجزائية الفرنسية، المادة 1-421 المعدل بالقانون عدد 819 لسنة 2016 المؤرخ في 21 جوان 2016، المادة 1.

[2] Madawi Al-Rasheed, « The quest to understand global jihad : The terrorism industry and its discontents », *Middle Eastern Studies*, vol. 45, N.2, (March 2009), p. 329.

[3] Ibid.

إشكاليّة البحث

إنّ التّهديد المتنامي النّاجم عن سرعة انتشار الخلايا الإرهابيّة يؤدّي إلى حالة تحتّم الإجابة عن الإشكاليّة التّالية: **على ماذا اعتمد النشاط الإرهابي في صياغة استراتيجيّة التّمدد والانتشار وتنفيذ المخطّطات على أوسع نطاق؟**

لا ريب في أنّ الجواب عن هذا الطرح يتطلّب وضع مجموعة من الآليّات اللّوجستية والأمنيّة والسّوسيولوجية والفلسفيّة لتدارك النّقائص والعثرات في أنظمة مكافحة الإرهاب. حيث بات المجتمع الدّولي يواجه اليوم تحولا إرهابيا كبيرا من حيث الخطورة يذكّرنا بما كتبه الأستاذ Henri Labayle "إنّ عصر العقل الّذي بلغته النّصوص الّتي تجرّم الإرهاب الدّولي إضافة إلى تزايد وتيرة هذا الأخير يتطلّب التّفكير في علاقاتهم المتبادلة"[1]. إنّ مواجهة العدو الجديد تستوجب القطع مع الأساليب البدائيّة والّتي عفا عنها الزمن[2]. فمنع التّهديد الإرهابي لا يبدو اليوم مقتصرا على التّنسيق الوحيد بين أجهزة المخابرات[3]. حيث يدعو عدد من الباحثين إلى البحث عن آليّات لإزالة التّطرف[4]. فهذا الأسلوب يمكّن من إعطاء الأولوية للوقاية من خلال محاربة الخطاب الجهادي ودعايته ودعواته للكراهيّة[5].

يجب أن نتذكّر أيضا أن شبكة الإنترنيت أصبحت أكثر وسائل الإعلام فاعليّة في التّواصل وتجنيد الجهاديّين[6]. ولئن وضعت فرنسا برنامجا لمحاربة المواقع الجهاديّة[7]، غير أنّه لا يزال من الصّعب تقنيّا جعل هذه الأساليب الوقائيّة فعّالة على الفور. بالإضافة إلى ذلك، يبدو أنّ التّرسانة الحمائيّة الفرنسيّة تتعارض مع منطق السّياسة الخارجيّة لفرنسا، والّتي من خلال الرّد بالحرب خارج أراضيها فإنّها تثير تهديدات إرهابيّة على أراضيها وضدّ مواطنيها.

---

[1] Henri Labayle, « Droit international et lutte contre le terrorisme », *Annuaire Français de Droit International*, XXXII (1986), p. 106.

[2] Florence Vitte, « Les faiblesses à la réponse occidentale face aux dérives islamistes fondamentalistes », *Études Géostratégiques* (8 octobre 2014).

[3] Frédéric Ploquin, Hervé Nathan, « Face au défi djihadiste : 8 mesures à prendre d'urgence », *Marianne*, N.1007 (21-28 juillet 2016), pp. 16-20.

[4] من هذا المنظور، قرر رئيس الوزراء الفرنسي فتح مركزين لمكافحة التطرف، إحداهما في يوليو والآخر في أيلول 2016 لإعادة دمج الأفراد المتطرفين الذين ليسوا موضوع تتبعات قضائية. هذا القرار هو جزء من سياسة وقائية ضد أي شخص يشتبه في تطرفه أو في طريقه إلى التطرف. انظر:

André Moine, « Prévention du terrorisme islamique et liberté religieuse », *Civitas Europa*, N.36 (2016/1), pp. 179-195.

[5] Marc Hecker, « Web social et djihadisme : du diagnostic aux remèdes », *Focus stratégique*, N.57 (juin 2015), p. 29.

[6] Vitte, *op. cit.*

[7] لمحاربة الدعاية الجهادية، أطلقت الحكومة الفرنسية موقعا الكترونيا: .<www.stop-djihadisme.gouv.fr>

الإطار المنهجي للموضوع

تفرض طبيعة الموضوع وصياغة الإشكاليّة التّعرض إلى وجوب اعتماد المنهج البنيوي عبر تخصيص الجزء الأول من هذه المقالة لدراسة أسلوب الاستراتيجيات الجهاديّة القائمة على إثارة الفتنة داخل المجتمعات التي تعيش فيها الأقليّات المسلمة من خلال تحفيز الجانب النّفسي وتمرير رسائل التّحريض على قتل غير المسلمين ومناهضة سلوك الخضوع لإرادة من يسمّونهم بأعداء الإسلام. ومن جانب آخر، يحتّم تناول موضوع البحث منهجا استقرائيا للنّظر في راهنيّة مسألة التّقية من خلال طرح المقاربات العقديّة المؤسّسة لهذا الأسلوب ودوره في المناورة والتّخفي عن أجهزة الاستخبارات والوصول إلى الأهداف. ودون أن يخلو البحث من أساليب النّقد فإن التّعمق في هذه الدّراسة سيعتمد على استعمال المنهج التّحليلي لمختلف الآليّات والتّقنيات الّتي تستغلّها شبكات الجهاد.

وبناء على ما سبق عرضه، سيتمّ اعتماد التقسيم التّالي في مناقشة وتحليل هذا البحث:

1- ارتباط الفتنة بعولمة الجهاد

من أجل معاقبة فرنسا "الكافرة"، تدعو الشّبكات الإسلاميّة إلى اعتماد أساليب وحشيّة من خلال تبنّي استراتيجيّات تقوم على بثّ الفتنة. إذ كشفت الهجمات الإرهابيّة في فرنسا عن حقيقة متناقضة. ففي مواجهة مؤسّسة الفكر الغربي يعتمد استراتيجيو الإرهاب المنسوب لأفراد أو لجماعات إسلامية على التّكتيكات الحربيّة المستوحاة من مئات السنين. وتتميّز خطّتهم "بالبحث عن التّفسير النّفسي واقتصاد الوسائل والسرّية ومجموعة مفتوحة للغاية من الأهداف وتوسيع مساحة العمليات"[1]. لقد أظهر الإخوان "كواشي"، مهندسا هجمات Charlie Hebdo تأثير "موجة الصّدمة النّفسية" كأسلوب لإحباط "العدو"[2]. وبالتّالي، فقد كشفت عن الشّكل الجديد للإرهاب "كنوع من العقوبة أو الجزاء ضدّ "السّلوك العام"، وبدقّة أكبر للولايات المتّحدة الأمريكيّة والدّول الغربيّة على نطاق أوسع"[3]. وهذا التّبرير الذي يدافع عنه الفكر الإرهابي يجد اتّجاهاته في حجر الزّاوية لاعتداءات الحادي عشر من أيلول[4]، تاريخ انطلاق "عصر الفتنة... والفوضى والدّمار في الإسلام"[5].

---

[1] Jean-Michel Dasque, *Géopolitique du terrorisme* (Paris : éd. Ellipses, 2013), 304 p.

[2] Pierre Mannoni, *Les logiques du terrorisme* (Paris : éd. In Press, 2004), p. 119.

[3] Ignacio Ramonet, « Hyperpuissance et terreur », in *Terrorisme : questions*, Henry Lelièvre (sous dir.) (Le Mans : éd. Complexe, 2004), p. 23.

[4] كما يدافع رومان سينس، كان لبن لادن هدفين: إثارة هجمات جماعية على الأراضي الغربية من أجل الانسحاب من الشرق الأوسط من الناحية العسكرية. والهدف المصاحب لذلك يتمثل في إثارة الصراع بين السكان العرب والمسلمين وحكامهم، الذين يعتبرون كفارا، من أجل استعادة الخلافة على المستوى الإقليمي. انظر:

Romain Sens, « Al-Qaeda, état des lieux », *Études Géostratégiques* (31 janvier 2013).

[5] Gilles Kepel, *Fitna : Guerre au cœur de l'islam* (Paris : éd. Gallimard, 2004), p. 337.

إنّ مناخ الرعب هذا، والّذي تعزّزه الشّبكات الإعلاميّة[1] بلغة بسيطة وسهلة الاستخدام وذات قدرة تصويريّة متطوّرة[2]، يثبت نشأة جهاد جديد موجّه نحو "العدو البعيد" الّذي يعتبره George Fawaz بمثابة نتيجة للفشل الاستراتيجي للجهاد الداخلي ضدّ العدو القريب (الأنظمة العربيّة الكافرة)"[3].

إنّ مصطلح "الجهاد" في الأطروحات الإسلاميّة الكلاسيكيّة يعني "الحرب الّتي تشنّ باستخدام السّلاح ضدّ الكفار المحدّدين بدقّة"[4]. هذا التّعريف يتبنّاه الجهاديّون من أجل نشر الفتنة وتفجير الجهاد على أوسع نطاق. ولا تزال الحرب الأهليّة بين الشيعة والسنّة والّتي تعتبر، من النّاحية التاريخيّة، ثمرة صراع على الخلافة، أكثر مظاهر الفتنة دراماتيكيّة. وبدون مبالغة، يجب أن نفرّق بين جهاد الطّلب الّذي يهدف إلى نشر الإسلام في العالم، ولأسباب اقتصادية بالأساس، وجهاد الدّفع الذي يقع اللّجوء إليه لمحاربة الغزاة الأجانب لأراضي المسلمين.

وهكذا يتّضح أنّ الفكر التّكفيري مستوحى من قواعد الشّريعة من خلال اعتبار الجهاد واجبا على كل مسلم. حيث يطلق عليه ""فرض كفاية" فهو واجب جماعي يلقى بثقله على المجتمع بأسره ويتطلّب منه توفير عدد كاف من المقاتلين"[5]. إنّ العودة إلى أصول الدّين كما علّمها الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وإلى أسلوب حياة الأجداد في العهد المجيد للدّين الّذي أعقب وفاته[6]، تبدو بالنسبة للرّوح الأصوليّة الإسلاميّة هي السّبيل الوحيد لعلاج أمراض الأمّة[7].

هذا المشروع هو الّذي ينبغي، حسب دعاته، أن يأتي بعد نظام الحادي عشر من أيلول الّذي لم يعد صالحا بل أصبح يؤدّي إلى نتائج عكسيّة وفقا لأبي مصعب السوري[8]. في كتابه المؤلّف من 1600 صفحة بعنوان "دعوة المقاومة الإسلاميّة العالميّة" يقدّم مفهومه النّظري للجهاد من خلال تعبئة المجتمع المسلم بأكمله في أوروبا للقيام بأعمال إرهابيّة ضدّ السّكّان الغربيّين. كما يقدّم الجهاد كمقاومة و"القاعدة" كوسيلة وليس منظّمة[9]. وبحسب

---

[1] Isabelle Sommier, « La menace terroriste : entre logiques expertes et mobilisations des passions politiques », in *La peur : émotion, passion, raison*, Anne-Marie Dillens (sous dir.) (Bruxelles : Publications des Facultés universitaires Saint-Louis, 2006), p. 68.

[2] Damien Vandermeersch, « Comment devient-on génocidaire ? Et si nous étions tous capables de massacrer nos voisins ? » (Bruxelles : GRIP, 2014), p. 97.

[3] George Fawaz, *Why Jihad Went Global* (Cambridge: Cambridge University Press, 2005), p. 173.

[4] Hervé Bleuchot, *Droit musulman* (Aix-en-Provence : Presses universitaires d'Aix-Marseille, 2000), Tome 1, pp. 585-616.

[5] Roger Arnaldez, « L'islam, une religion conquérante ? », *Académie des Sciences Morales et Politiques* (31 janvier 1994).

[6] Adam Hanieh, « Administrer la sauvagerie » : généalogie de l'organisation État Islamique », *Période* (4 février 2016).

[7] Vitte, *op. cit.*

[8] المكلف بالإعلام لأسامة بن لادن هو منظر الجهاد الجديد بعد الحادي عشر من أيلول. من خلال خطاب الكراهية، يعلم الكتاب الشباب المسلمين في الغرب لارتكاب أعمال إرهابية في أوروبا.

[9] Gilles Kepel, *Terreur et martyre : Relever le défi de civilisation* (Paris : éd. Flammarion, 2008), 366 p.

مشروعه، فإنّ محاربة الأمريكيّين هي حرب خاسرة ويجب توجيه الهجمات نحو أوروبا وجعل فرنسا هدفا ذا أولويّة[1]. ففي دليله الضّخم على طريق الجهاد، الّذي نشر على الانترنيت عام 2004 [2]، يدافع المؤلّف عن أطروحته من خلال اعتبار أوروبا، موطن السّكان المسلمين المتفكّكين، هي معقل مهمّ للجهاد[3].

إلى جانب هذه المرجعيّة النظريّة للجهاد المعولم، نشر أبو بكر ناجي، عضو تنظيم "القاعدة" على الإنترنيت في نفس العام كتابا بعنوان "إدارة التّوحش: أخطر مرحلة ستمرّ بها الأمّة" الّذي يتحدّث فيه عن "حركة جهاديّة عالميّة"، منظّمة بشكل جيّد، ومزوّدة ب"قيادة عليا" و "عدّة قادة". هذا الدليل الاستراتيجي "يقترح البدء بإحداث موجّه عنف تهدف إلى تفكيك هياكل الدولة وإقامة حالة من الفوضى والوحشيّة"[4]. وبحسب الكاتب، إذا نجحت جماعة المسلمين (الأمّة) في اجتياز هذا الاختبار الصعب لإدارة الوحشيّة، فإنّ هذه الخطوة ستشكّل طريق دولة الإسلام المخطّط لها منذ انتهاء عهد الخلافة[5].

وبعد مقتل أسامة بن لادن في 2 مايو 2011 أثناء عمليّة للقوّات الخاصّة الأمريكيّة في إحدى ضواحي إسلام أباد[6]، بدأ هذا الوهم الأبدي في التّفتح. لذلك، سعى الجهاديّون إلى تنشيط خلاياهم وتطبيق أفكار منظّري القاعدة. وسمح اندلاع الانتفاضات العربيّة في أوائل عام 2011 والفوضى الأمنيّة، خاصّة في تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا، للتّيار الإسلامي السّلفي بالتّجذّر من خلال خطاب متحمّس قائم على العنف الأكثر تطرفا. كما ساعد "السّلوك الأحادي الجانب الّذي يراعي فقط المصلحة الوطنية (...) في انتشار الحركات الجهاديّة العابرة للحدود وعولمتها وتبديل مواقعها متى تمّت محاصرتها"[7].

وبالنّسبة لمنظّري الجهاد المعولم، تبقى "الدّولة الإسلاميّة في العراق والشّام" (داعش) نهاية المطاف لإرهاب الحرب. حيث نشأ هذا التّنظيم، الّذي أعيدت تسميته بالدّولة الإسلاميّة بعد السّيطرة على الموصل عام 2014، وبدأ في بث الكراهيّة ضدّ الدّيمقراطيّة والعلمانيّة والغرب. ويتمثّل هدف هذا الأسلوب في "خلق حالة من

---

[1] Charles Rault, « The French Approach to counterterrorism », *Combating Terrorism Center Sentinel*, Vol.3, Issue 1 (January 2010), p. 23.

[2] Jean-Pierre Filiu, *Al-Qaïda au sud de la Méditerrané*, Institut Européen de la Méditerrané (janvier 2008), p. 8.

[3] عمر عبد الحكيم (أبو مصعب السوري)، **دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**،14 يناير 2005، (متاح على الأنترنيت).

[4] Hatem M'Rad, « L'administration de la sauvagerie ou la stratégie de Daech », *Le Courrier de l'Atlas, L'actualité du Maghreb en Europe* (2 novembre 2015).

[5] أبو بكر ناجي، **إدارة التوحش: أخطر مرحلة ستمر بها الأمّة**، القاهرة، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، ص 4.

[6] Jean-François Daguzan, « D'Al-Qaïda à AQMI : de la menace globale aux menaces locales », *Maghreb-Machrek*, N.208 (été 2011), pp. 25-35.

[7] الحسين شكراني، "الحركات الجهادية العابرة للحدود الوطنية وتهديد المصالح الغربية في القارة الأفريقية"، **المستقبل العربي**، عدد515، كانون الثاني/يناير 2022، ص. 111.

الاضطرابات وانهيار الهياكل"[1]. يعتمد الاستراتيجيّون على فجوات الهوية بين المسلمين وغير المسلمين لإثارة الفتنة. لذلك، وجدوا في فرنسا المكان المنشود لتحقيق مشروعهم. ويتزامن هذا الوضع المتوتّر مع التّهميش الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في فرنسا للشّباب والنّاجم عن هجرة ما بعد الاستعمار. وفقا للخبير الفرنسي في العالم العربي الإسلامي Gilles Kepel يسعى الشّباب المهمّش إلى إرساء "نموذج من "الإسلام المتكامل" مستوحى من السّلفية والتّطلع إلى مجال جهاد يهدف إلى تدمير الغرب الكافر"[2].

لتنفيذ هذا المشروع التّوسعي، يعطي تنظيم الدّولة الإسلاميّة أولوية قصوى لتطوير وسائل الإعلام والاتّصال وشبكات الدّعاية[3]. اكتسب المشروع زخما كبيرا نتيجة الأعمال التي ساهم "الإرهاب الالكتروني" في اتّساع نطاقها[4]. يهدف استخدام هذه الأساليب التّقنية إلى تأجيج الصّراعات بين المجتمعات في فرنسا عبر تصدير الحرب الأهليّة[5] والتّفجيرات الانتحاريّة والهجمات غير التّمييزيّة مع التّركيز على المدنيّين كهدف مفضّل لترويع السّكان وإجبار الحكومة على التّحرّك. ومن خلال نشر دعوات الجهاد على الإنترنيت من قبل منظّري القاعدة وتنظيم الدّولة الإسلاميّة فإنّها تهدف أيضا إلى تنشيط الحركة الجهاديّة و"تعبئة الموارد الماليّة وتنسيق الهجمات الإرهابيّة"[6].

وبالتّالي، ووفقا لمنظّري الفتنة، فإنّ بذور هذه الإستراتيجيّة ستؤدّي إلى انتشار "الاسلاموفوبيا" بما يمثّله من خطر على الهويّة الغربيّة[7]. يشير هذا المفهوم إلى "الهلع أو الكراهيّة للإسلام... واستطرادا، إلى الخوف والعداء... ضدّ جميع المسلمين"[8]. يستفيد هذا الأسلوب من تقنيّات الرّعب الجديدة: التّفجيرات الانتحاريّة واستخدام الانتحاريّين والاختطاف وقتل الرّهائن وعمليّات قطع الرّؤوس[9]. وتحرص الشّبكة الإرهابيّة على نشر تلك الأخبار على نطاق واسع على وسائل الإعلام صوتا وصورة متى أمكنها ذلك. وتمارس فصال جهاديّة أخرى نفس الأسلوب مثل "جماعة نصرة الإسلام والمسلمين" الّتي تتركّز بدول موريتانيا ومالي وبوركينافاسو وتشاد والنّيجر، وكذلك

---

[1] Adam, *op. cit*.

[2] Gilles Kepel, *Terreur dans l'Hexagone : Genèse du djihad français* (Paris : éd. Gallimard, 2015), *Préface*.

[3] Adam, *op. cit*.

[4] فاطمة الزهراء عبد الفتاح، "تطور توظيف جماعات العنف ل"الإرهاب السيبراني""، **مجلة السياسة الدولية**، عدد أبريل 2017، المجلد 52، ص. 25.

[5] Edern De Barros, «État islamique : La stratégie du chaos », *Trop-libre/Contrepoints* (24 mars 2016).

[6] ابتسام علي حسين، "فرص وقيود الأطراف المتنازعة على المجال العام السيبراني"، **مجلة السياسة الدولية**، عدد أبريل 2017، المجلد 52، ص. 14.

[7] أبو بكر الدسوقي، "جدلية العلاقة بين الإسلاموفوبيا واليمين الأوروبي"، **مجلة السياسة الدولية**، عدد 208 أبريل 2017، المجلد 52، ص. 84-85.

[8] Houda Asal, « Islamophobie : la fabrique d'un nouveau concept : état des lieux de la recherche », *Sociologie*, Vol. 5, N.1 (2014), pp. 13-29.

[9] لعل مقتل أستاذ التاريخ والجغرافيا والتربية المدنية "صامويل باتي" في السادس عشر من شهر أكتوبر/تشرين الأول من عام 2020 يبقى أحد أبرز أحداث الإرهاب الذي استخدمته الشبكات الجهادية في تنفيذ عملياتها في فرنسا.

جماعة "بوكو حرام"، وهي تسمية تعني حرفيّا أنّ "التّعاليم الغربيّة نجسة"[1]. وهكذا أصبحت العمليّات المتعطّشة للدّماء الّتي يقوم بها الإرهابيّون عنوانا لإستراتيجيّة جديدة أكثر عالميّة تهدف إلى الانتقام المدمّر ضدّ الغرب. وبالنّسبة لهؤلاء الإسلاميّين الرّاديكاليّين فإنّ هدف الفتنة هو "عزل العالم الإسلامي بحيث يمكن الاستيلاء عليه دون تدخّل الغرب"[2].

وبطبيعة الحال، تنبع الهجمات الإرهابية ضد فرنسا ممّا يسمى بجهاد "الجيل الثّالث". فانطلاقا من الفكر الوهابي[3]كقوّة تغيير سياسي وردّة فعل على حالة الجمود والجبريّة الّتي ميّزت الفكر الإسلامي في القرن الثّامن عشر[4]، فقد أسّست الكتابات المحرّضة على فكرة إحياء "ضرورة القيام بواجب الجهاد"[5] وإرساء شرعيّة لوسائل القتال الجديدة أساسها الفوضى والخداع. لذلك، فتنفيذ الهجمات الإرهابيّة استفاد من التّطور التّقني في مجال الاتّصالات من ناحية وسهّل إلى حد بعيد تأجيج الفتنة بين المسلمين وغيرهم داخل المجتمعات الأوروبيّة من ناحية أخرى. أسهم هذا المشهد في تنامي التّيارات اليمينيّة المتطرّفة والدّعوات إلى معاداة المهاجرين ومكافحة "الأسلمة" وكل ما يتعارض مع الثّقافة الأوروبيّة.

2- اعتماد التّقيّة في صناعة الإرهاب

يعتبر Nicolas Machiavel الحرب لعبة فكريّة ولعبة شطرنج بالتّحديد. بالنّسبة له، لا يتعلّق الأمر بأن يكون المرء جيّدا أو عادلا أو على خلق من أجل تحقيق الانسجام السّياسي، بل يتعلّق بالكفاءة والمكر والدّهاء من أجل ضمان سلطته. فلتنفيذ المخطّطات الإرهابيّة دون الاشتباه بهم من طرف أجهزة الاستخبارات، يجد الإرهابيّون الإسلاميّون في التّقيّة حجّة مشروعة نابعة من قواعد الحرب في الإسلام. يرتبط مفهوم التّقيّة بكلمات "التّقوى" و"الاتّقاء" أي بمعنى الكتمان و"فعل الإخفاء"، ما يقابل "فعل الإظهار"[6]. وبناء على عوامل نفسيّة يعتبر هذا

---

[1] Pauline Guibbaud, « Vers une nouvelle stratégie des groupes islamistes nigérians ? », *Études Géostratégiques* (5 mars 2013).

[2] Alain Chouet, *Au cœur des services spéciaux-La menace islamiste : fausses pistes et vrais dangers* (Paris : éd. La Découverte, 2013).

[3] ظهر مصطلح "الوهابية" لأول مرة في كتابات القنصل الروسي في اسطنبول "أندريه لاكوفليفيتش لتالينسكي" في الوقت الذي استولى فيها السعوديون على الطائف في طريقهم إلى مكة. انظر:

Michel Leter, « Comment l'islam avait vaincu le terrorisme », *Contrepoints* (19 novembre 2015).

الدعوة الوهابية هي حركة فكرية أسسها محمد بن عبد الوهاب (1720-1792) كاتجاه ديني تصحيحي في ظل ضعف الدولة العثمانية في مواجهة التفوق الأوروبي. انظر:

Samir Amghar, « Le salafisme en Europe : La mouvance polymorphe d'une radicalisation », *Politique Étrangère* (2006/1).

[4] أنور الجندي، **اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار (منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى)**، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1985، ص. 47-53.

[5] المصر نفسه، ص. 55.

[6] *Encyclopédie de l'Islam* (Leiden : éd. E. J. Brill, 2000), Vol. 10.

الأسلوب من قواعد الثّقافة الإسلاميّة[1]. ويرى الأستاذ Sami Mukaram أن "ممارسة التّقيّة جزء من عقيدة الإسلام، والفصائل القليلة الّتي تمارسها هي تحديدا من خارج القواعد الإسلاميّة"[2]. فالتّقيّة هي المهيمنة في السّياسة الإسلاميّة، ولا سيّما في العصر الحديث". ومع ذلك، من الواضح أن نتذكّر أنّه ومن النّاحية التّاريخيّة كانت التّقيّة نظام حماية للطّوائف الشّيعيّة الّتي تعيش بين الفصائل السنّية[3].

وعلى العكس من ذلك، فقد دأب السّنة على ممارسة التّقيّة في خدمة الجهاد ضد الكفّار والمرتدّين[4]. إنّ التّقيّة كفنّ من فنون الخداع تجد جوهرها في المراجع القرآنيّة. وفقا للباحث الأمريكي Raymond Ibrahim، تعتبر الآية 28 من سورة آل عمران أوّل آية تسمح بالخداع ضدّ غير المسلمين[5]:

"لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ".

يشرح محمّد بن جرير الطّبري، مؤلّف كتاب "تفسير الطّبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، الآية على النّحو التالي:

"وهذا نهي من الله عزّ وجلّ المؤمنين أن يتّخذوا الكفّار أعوانا وأنصارا وظهورا، (...) ومعنى ذلك: لا تتّخذوا أيّها المؤمنون الكفّار ظهرا وأنصارا، توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلّونهم على عوراتهم، فإنّه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء يعني بذلك، فقد برئ من الله، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه، ودخوله في الكفر، إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة، إلاّ أن تكونوا في سلطانهم، فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل"[6].

كما تقول الآية 29 من نفس السّورة ما يلي:

"قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ".

---

[1] Raymond Ibrahim, « How Taqiyya alters Islam's rules of war : Defeating jihadist terrorism», *Middle East Quarterly*, Vol. 17, N.1 (Winter 2010), pp. 3-13.

[2] Sami Mukaram, *At-Taqiyya fi'l-Islam* (London: Mu'assisat at-Turath ad-Druzi, 2004), p. 7.

[3] Vladimir De Gmeline, « Taqiya : La dissimulation comme nouvel art de la guerre », *Marianne*, N.1007 (21-28 juillet 2016), p. 28.

[4] Ibrahim, *op. cit.*

[5] المرجع نفسه. كما يشير المؤلف كذلك إلى آيات القرآن التالية على أنها تضفي شرعية على التقية: سورة البقرة (الآيتان 173 و185)، سورة النساء (الآية 29)، سورة النحل (الآية 106)، سورة الحج (الآية 78)، سورة غافر (الآية 28).

[6] محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، بيروت، الطبعة الثانية، دار المعرفة، 1972، جزء6، ص 313-317.

وبما أنّ الله يأمر المؤمنين بعدم الحفاظ على علاقات خضوع مع الكفّار[1] إلاّ أنّه يسمح باستثناءات لهذا المبدأ في حالة تعرّضهم للخطر عندما يعارضونهم[2]. وفي هذا الإطار، نقرأ في الآية 106 من سورة النّحل ما يلي:

"مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ".

وبذلك، يمكن استنتاج أن التّقيّة مسموح بها عندما يتعلّق الأمر بحالات الإكراه بمختلف أشكاله مثل الاضطهاد والتّهديد بالقتل ومصادرة الحرّية الدّينية[3]. كما تكمن استراتيجيّة التّقيّة كذلك في بعض الأحاديث الصحيحة. وفي هذا السياق، يقول الحديث رقم 2605 من "صحيح مسلم"، "كتاب البرّ والصّلة والآداب"، "باب تحريم الكذب وبيان المباح منه" ما يلي:

"حدّثني حرملة بن يحيى أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني حميد بن عبد الرّحمن بن عوف أن أمّه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت من المهاجرات الأوّل اللّاتي بايعن النّبي ﷺ أخبرته أنّها سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول ليس الكذّاب الّذي يصلح بين النّاس ويقول خيرا وينمى خيرا قال ابن شهاب ولم أسمع يرخص في شيء ممّا يقول النّاس كذب إلاّ في ثلاث الحرب والإصلاح بين النّاس وحديث الرّجل امرأته وحديث المرأة زوجها".

وهكذا، يعتبر العلماء أن التّقيّة مشروعة في زمن الحرب[4]. فالمسلمون في حرب أبديّة مع الكفّار حتّى "تنتهي الفوضى كلّها وتنتمي جميع الأديان إلى الله"[5]. لذلك، فإنّ هذا الأسلوب في سلوك الإرهابيّين هو شكل من أشكال الجهاد الدّائم باسم الله[6].

ويرى الأستاذ Vincent Piolet أنّ الدّولة الإسلاميّة هي "دولة بدائيّة"[7]. حيث يمكن أن نجد الأنصار المحلّيين وفيالق قادمة من بلدان أخرى لمحاربة الكفّار في أرض الخلافة (المهاجرون) و"جنود الخلافة" وهم الّذين يعيشون خارج أراضي الدّولة الإسلاميّة ويبايعونها. ويصرّح لهؤلاء باستخدام التّقيّة لأنّهم يعيشون بين السّكان الأصليّين الكفّار.

---

[1] الآية 118 من سورة آل عمران.

[2] محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مصدر سابق.

[3] Larry Kelley, *Lessons from Fallen Civilizations : Can a Bankrupt America Survive the Current Islamic Threat ?* (United States of America : Hugo House Publishers Ltd., 2012), Chapter 4.

[4] أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي الشافعي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم ابن الحجاج**، القاهرة، دار الخير، 1996، جزء 16 ص 134.

[5] سورة الأنفال، الآية 8.

[6] سيد ثامر العميدي، **التقية في الفكر الإسلامي**، القاهرة، دار الرسالة، سلسلة المعارف الإسلامية، الطبعة الثانية، 1998، ص 123.

[7] Vincent Piolet, « Géoéconomie du proto-Etat dirigé par Daech », *Géoéconomie*, N.78 (2016/1), p. 59.

لقد استغلّ تنظيم القاعدة هذا التّقليد في أوائل التّسعينات من القرن الماضي لتنفيذ العمليّات الإرهابيّة. وأصبح فنّا من فنون الحرب. حيث تمّ تعليم التّقيّة في معسكرات التّدريب في أفغانستان على يد أسامة بن لادن. وقد أسّس "محمد عطا" الّذي كان أحد طلاّبه "خليّة هامبورغ" إلى جانب "سعيد بحجي" و"رمزي بن الشّيبة" و"مروان الشّحي" و"زياد جرّاح" و"خالد شيخ محمّد" وآخرون[1]. وتحظر هذه الشّبكة كلّ التّصريحات المتطرّفة في السّلوك الّتي يمكن أن تكشف عن نوايا الإرهاب. فأثناء الاستعدادات لهجوم الحادي عشر من أيلول، كان سلوك قراصنة الرّحلة رقم 175 التّابعة لشركة American Airlines يميل إلى إنكار أيديولوجيتهم الإرهابيّة[2]. مكّن ذلك عناصر اختطاف الطّائرات وتحويل وجهتها من النّجاح في خداع وكالة المخابرات المركزيّة وتنفيذ هجمات مركز التّجارة العالمي في الحادي عشر من أيلول من عام 2001.

وعلى غرار تلك الهجمات، دعا الجهاديّون إلى اعتماد حيلة التّقيّة لتنفيذ هجماتهم في Montauban وToulouse وParis وNice. بالنّسبة للقاضي المتخصّص في الشّبكات الإسلاميّة Marc Trévidic فإنّ التّقيّة مفتاح أساسي لفهم الإرهاب الّذي يعلن دوافع إسلاميّة. فتحقيق الانتصار يبرّر استخدام أسلوب الخداع[3]. وفي الواقع، لا يبدو أنّ سلوك التّستّر داخل المجتمعات الأوروبيّة حديثا. فهو وليد عقود من تواجد الفصائل الإسلاميّة المتطرّفة الّتي استفادت من مناخ الحرّية وقيم الدّيمقراطيات الكبرى للتّسلّل إلى المبادئ المجتمعيّة الغربيّة. فتدريجيّا، أدّى إنشاء اقتصاد هويّة إسلاميّة عبر تطوير "سوق الحلال" وتصوير ارتداء الحجاب كواجب ديني وتمرير الخطاب الدّيني بالمساجد إلى التّأثير على المجتمع الإسلامي واستقطاب مناصرين من جنسيّات أوروبيّة.

وفي ظلّ ممارسة التّقيّة، أصبح من الصّعب على أجهزة المخابرات التّمييز بين الاعتدال والتّطرّف الدّيني في سلوك المشتبه بهم. ولا تكمن الصّعوبة في التّعرّف على أتباع هذا السّلوك بقدر ما تكمن في تقييم خطورته. إذ تكشف قضيّة "محمّد مراح"، منفّذ عمليّات Montauban وToulouse، شكلا آخر من أشكال ممارسة التّقيّة الحديثة. فلتخفيف الضّغط عليه من قبل أجهزة المخابرات، غيّر من سلوكه بطريقة أخفت نواياه الإرهابيّة[4]. وتمثّل هذا الأسلوب في القيام بممارسات فاسدة وسلوك معادي للإسلام. وبالإضافة إلى ذلك، تمكّن الشقيقان "عبد السلام"، مدبّرا هجمات 13 تشرين الثاني من عام 2015 من إخفاء مخطّطاتهما من خلال الحفاظ على عادات الانحراف.

---

[1] Edward F. Mickolus, *The terrorist list: The Middle East* (United States of America: Praeger Publishers Inc., 2009), Vol. 1, 368 p.

[2] Joe Gaetano, « The 9/11 Attacks - a study of Al Qaeda's use of intelligence and counterintelligence », *Studies in Conflict & Terrorism*, Vol. 32, Issue 3 (2009), pp. 171-187.

[3] Marc Trévidic, *Terroristes, les sept piliers de la déraison* (Paris : éd. Jean Claude Lattès, 2014), 288 p.

انظر أيضا:

Vladimir, *op. cit*., pp. 28-31.

[4] Olivier Toscer, « Drogue, alcool, femmes : comment les nouveaux djihadistes se dissimulent », *Le Nouvel Observateur* (28 février 2013).

كما بيّنت دراسة الهجوم الإرهابي الّذي نفّذه "محمّد لحويج بوهلال" بشارع Promenade des Anglais بمدينة Nice ليلة الرّابع عشر من تمّوز عام 2016 أنّه لم يكن من السّهل إظهار الصّلة بين الهجوم والحركة الجهاديّة الرّاديكاليّة. فعلى الرّغم من عدم وجود أي خطر تمّ الكشف عنه من قبل أجهزة المخابرات، أو حتّى عدم وجود صلة مع الممارسة الدينيّة[1]، فإنّ ملف حياة منفّذ الهجوم كشف عن "ساديّة عنيفة" كانت هدفا بحدّ ذاتها إلى التّطرف[2].

خاتمة

حاولت هذه المقالة إبراز أوجه أخرى للتّهديد الجديد الّذي يشهده العالم. فقد شُلّ نظام مكافحة الإرهاب. ولم يعد الأمر متعلّقا بمحاربة إرهابيّين لأنّ أجسادهم غالبا ما تختفي. إذ بات من الواضح أنّ العدو الحقيقي هو إيديولوجيّة كاملة. فالإرهاب المبني على تأويل النّص الدّيني قادر على التّرسّخ في الغرب وعلى نطاق واسع بمجرّد توفّر القدرات الكافية على التّنفيذ. وتفترض هذه الطّبيعة العابرة للحدود اعتماد معايير جديدة لمواجهة التّطرف وتحرّكات الأشخاص المشتبه بهم وإعادة تشكيل مراقبة الحدود بين الدّول.

ومن جهة أخرى، حاولت هذه الدّراسة إظهار التّوجهات الجديدة للجهاد المعولم على إثر تراجع وتيرة الجهاد الدّاخلي خلال التّسعينات. حيث اقتضى التّنظير لضرب "العدو البعيد" تصدير الفوضى التي تهدّد الشّرق الأوسط وتمزّق نسيجه الاجتماعي إلى أوروبا. كما بيّنت الدّراسة أنّ هذا التّصور الجديد في اختيار الأهداف يستند إلى قراءة متجدّدة للنّص الدّيني تجعل من زرع الإرهاب واجبا دينيّا. وقد ركّزت الدّراسة على تقنيتين سعى من خلالهما منظّرو الجهاد المعولم إلى البحث عن مشروعيّة لإحداث الاضطراب وبثّ الكراهيّة وهما الفتنة والتّقيّة. فبينما تهدف الأولى إلى صنع حالة من العدائيّة والانتقام بين المسلمين وغيرهم، تسعى الثّانية إلى تجنيد أكبر عدد من المقاتلين عبر التّخفي والاندماج مع جماهير المسلمين. إنّ المقاربة الجديدة القائمة على توجيه السّلوك لتكثيف النّشاط الإرهابي أو تيسيره واستقطاب مقاتلين مسلمين ومن جنسيّات أوروبيّة يجعل من الإرهاب ظاهرة دائمة.

ومن أجل تعميق فهم الاستراتيجيّات الجهاديّة، سعينا إلى إظهار أنّ النّموذج الفرنسي يبدو مثقلا بين ركيزتين متناقضتين: الأولى تهمّ النّظام الأمني وينطوي على مواجهة العدميّة الإرهابيّة. بينما تبدو الثّانية اقتصاديّة بحتة: إذ يتعلّق الأمر بالحفاظ على علاقات جيّدة خاصّة مع المملكة العربيّة السّعودية وقطر لحاجتها للنّفط على الرغم من علاقتهما بالفكر الوهابي الجهادي. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنّ المناقشة البسيطة لوضع الضّحايا في فرنسا من شأنها أن تؤدّي إلى خطر "الإسلاموفوبيا". لذلك، وعلى الرّغم من أنّ مواجهة الاستراتيجيّات الجهاديّة أمر لازم في القمع فإنّ أيّ تفكير في منبع أسباب الجريمة نفسها يظلّ ضروريّا حتما. إذ أنّ سياسة الرّدع التي اتّبعتها بعض الدّول وفي مقدّمتها الولايات المتّحدة الأمريكيّة من خلال حربها على معاقل تنظيم القاعدة وإن أدّت إلى تآكل القاعدة

[1] Frédéric Ploquin, « Lahouaiej Bouhlel, « radicalisé minuté », *Marianne*, N.1007 (21-28 juillet 2016), pp. 26-27.

[2] المرجع نفسه.

الدينيّة للفكر الإرهابي إلاّ أنّ القاعدة المادّية هي الّتي تأثّرت. فقد اتّضح من خلال دراسة استراتيجيّات الفتنة والتّقيّة أنّ عزل العناصر الأصوليّة لا يؤدّي وحده إلى إيقاف تصدير الجهاد وإعادة التّشكّل في جميع أنحاء العالم.

المراجع باللغة العربية

الكتب

- ابتسام علي حسين، "فرص وقيود الأطراف المتنازعة على المجال العام السّيبراني"، **مجلّة السّياسة الدوليّة**، عدد أبريل 2017، المجلد 52، ص. 14.
- أبو بكر الدّسوقي، "جدليّة العلاقة بين الإسلاموفوبيا واليمين الأوروبي"، **مجلّة السّياسة الدوليّة**، عدد 208، أبريل 2017، المجلّد 52، ص. 84-85.
- أبو بكر ناجي، **إدارة التوحّش: أخطر مرحلة ستمرّ بها الأمّة**، القاهرة، مركز الدّراسات والبحوث الإسلاميّة، ص 4.
- أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النّووي الشافعي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم ابن الحجاج**، القاهرة، دار الخير، 1996، جزء 16 ص 134.
- أنور الجندي، **اليقظة الإسلاميّة في مواجهة الاستعمار (منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالميّة الأولى)**، تونس، دار بوسلامة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1985، ص. 47-53.
- الحسين شكراني، "الحركات الجهاديّة العابرة للحدود الوطنيّة وتهديد المصالح الغربيّة في القارة الأفريقيّة"، **المستقبل العربي**، عدد515، كانون الثاني/يناير 2022، ص. 108-119.
- سمير محمّد شحاتة، "اللّيبيرالية العربيّة: جدليّة الدّين والحداثة"، **مجلّة الدّيمقراطية**، عدد 74، أبريل 2019، ص. 206.
- سيد ثامر العميدي، **التّقيّة في الفكر الإسلامي**، القاهرة، دار الرسالة، سلسلة المعارف الإسلاميّة، الطّبعة الثّانية، 1998، ص 123.
- فاطمة الزهراء عبد الفتّاح، "تطوّر توظيف جماعات العنف ل"الإرهاب السّيبراني""، **مجلّة السّياسة الدّوليّة**، عدد أبريل 2017، المجلد 52، ص. 25.
- **المجلاّت والدوريّات**
- **مجلّة الدّولة الإسلاميّة** (بالفرنسيّة)، دار الإسلام، العدد 2، نشرت بتاريخ 12 شباط/فبراير 2015.

- محمّد بن جرير الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، بيروت، الطّبعة الثّانية، دار المعرفة، 1972، جزء6، ص 313-317.

المراجع باللّغة الفرنسيّة

Ouvrages

- Alain Chouet, *Au cœur des services spéciaux-La menace islamiste : fausses pistes et vrais dangers* (Paris : éd. La Découverte, 2013).
- Gilles Kepel, *Fitna : Guerre au cœur de l'islam* (Paris : éd. Gallimard, 2004), p. 337.
- Gilles Kepel, *Terreur dans l'Hexagone : Genèse du djihad français* (Paris : éd. Gallimard, 2015), *Préface*.
- Gilles Kepel, *Terreur et martyre : Relever le défi de civilisation* (Paris : éd. Flammarion, 2008), 366 p.
- Hervé Bleuchot, *Droit musulman* (Aix-en-Provence : Presses universitaires d'Aix-Marseille, 2000), Tome 1, pp. 585-616.
- Jean-Michel Dasque, *Géopolitique du terrorisme* (Paris : éd. Ellipses, 2013), 304 p.
- Marc Trévidic, *Terroristes, les sept piliers de la déraison* (Paris : éd. Jean Claude Lattès, 2014), 288 p.
- Pierre Mannoni, *Les logiques du terrorisme* (Paris : éd. In Press, 2004), p. 119.

Revues et périodiques

- Adam Hanieh, « Administrer la sauvagerie » : généalogie de l'organisation État Islamique », *Période* (4 février 2016).

- André Moine, « Prévention du terrorisme islamique et liberté religieuse », *Civitas Europa*, N.36 (2016/1), pp. 179-195.
- Anne Rosencher, Alexis Lacroix, « Ils ont peur qu'au contact de la France l'islam se sécularise », *Marianne*, N.1007 (21-28 juillet 2016), p. 14.
- Arnaud Blin, « Définitions, questions et réponses sur les formes de terrorisme », *Revue Questions internationales* (décembre 2004).
- Damien Vandermeersch, « Comment devient-on génocidaire ? Et si nous étions tous capables de massacrer nos voisins ? » (Bruxelles : GRIP, 2014), p. 97.
- Edern De Barros, «État islamique : La stratégie du chaos », *Trop-libre*/*Contrepoints* (24 mars 2016).
- Florence Vitte, « Les faiblesses à la réponse occidentale face aux dérives islamistes fondamentalistes », *Études Géostratégiques* (8 octobre 2014).
- Frédéric Ploquin, « Lahouaiej Bouhlel, « radicalisé minuté », *Marianne*, N.1007 (21-28 juillet 2016), pp. 26-27.
- Frédéric Ploquin, Hervé Nathan, « Face au défi djihadiste : 8 mesures à prendre d'urgence », *Marianne*, N.1007 (21-28 juillet 2016), pp. 16-20.
- Hatem M'Rad, « L'administration de la sauvagerie ou la stratégie de Daech », *Le Courrier de l'Atlas, L'actualité du Maghreb en Europe* (2 novembre 2015).
- Henri Labayle, « Droit international et lutte contre le terrorisme », *Annuaire Français de Droit International*, XXXII (1986), p. 106.
- Houda Asal, « Islamophobie : la fabrique d'un nouveau concept : état des lieux de la recherche », *Sociologie*, Vol. 5, N.1 (2014), pp. 13-29.

- Ignacio Ramonet, « Hyperpuissance et terreur », in *Terrorisme : questions*, Henry Lelièvre (sous dir.) (Le Mans : éd. Complexe, 2004), p. 23.
- Isabelle Sommier, « La menace terroriste : entre logiques expertes et mobilisations des passions politiques », in *La peur : émotion, passion, raison*, Anne-Marie Dillens (sous dir.) (Bruxelles : Publications des Facultés universitaires Saint-Louis, 2006), p. 68.
- Jean-François Daguzan, « D'Al-Qaïda à AQMI : de la menace globale aux menaces locales », *Maghreb-Machrek*, N.208 (été 2011), pp. 25-35.
- Jean-Pierre Filiu, *Al-Qaïda au sud de la Méditerrané*, Institut Européen de la Méditerrané (janvier 2008), p. 8.
- Marc Hecker, « Web social et djihadisme : du diagnostic aux remèdes », *Focus stratégique*, N.57 (juin 2015), p. 29.
- Michel Leter, « Comment l'islam avait vaincu le terrorisme », *Contrepoints* (19 novembre 2015).
- Olivier Toscer, « Drogue, alcool, femmes : comment les nouveaux djihadistes se dissimulent », *Le Nouvel Observateur* (28 février 2013).
- Pauline Guibbaud, « Vers une nouvelle stratégie des groupes islamistes nigérians ? », *Études Géostratégiques* (5 mars 2013).
- Roger Arnaldez, « L'islam, une religion conquérante ? », *Académie des Sciences Morales et Politiques* (31 janvier 1994).
- Romain Sens, « Al-Qaeda, état des lieux », *Études Géostratégiques* (31 janvier 2013).

- Samir Amghar, « Le salafisme en Europe : La mouvance polymorphe d'une radicalisation », *Politique Étrangère* (2006/1).
- Vincent Piolet, « Géoéconomie du proto-Etat dirigé par Daech », *Géoéconomie*, N.78 (2016/1), p. 59.
- Vladimir De Gmeline, « Taqiya : La dissimulation comme nouvel art de la guerre », *Marianne*, N.1007 (21-28 juillet 2016), p. 28.

المراجع باللّغة الإنجليزيّة

Books

- Edward F. Mickolus, *The terrorist list: The Middle East* (United States of America: Praeger Publishers Inc., 2009), Vol. 1, 368 p.
- *Encyclopédie de l'Islam* (Leiden : éd. E. J. Brill, 2000), Vol. 10.
- George Fawaz, *Why Jihad Went Global* (Cambridge: Cambridge University Press, 2005), p. 173.
- Larry Kelley, *Lessons from Fallen Civilizations : Can a Bankrupt America Survive the Current Islamic Threat ?* (United States of America : Hugo House Publishers Ltd., 2012), 362 p.
- Sami Mukaram, *At-Taqiyya fi'l-Islam* (London: Mu'assisat at-Turath ad-Druzi, 2004), p. 7.

Periodic reviews

- Charles Rault, « The French Approach to counterterrorism », Combating Terrorism Center Sentinel, Vol.3, Issue 1 (January 2010), pp. 22-25.
- Joe Gaetano, « The 9/11 Attacks - a study of Al Qaeda's use of intelligence and counterintelligence », *Studies in Conflict & Terrorism*, Vol. 32, Issue 3 (2009), pp. 171-187.
- Madawi Al-Rasheed, « The quest to understand global jihad : The terrorism industry and its discontents », *Middle Eastern Studies*, vol. 45, N.2, (March 2009), pp. 329-338.
- Raymond Ibrahim, « How Taqiyya alters Islam's rules of war : Defeating jihadist terrorism», *Middle East Quarterly*, Vol. 17, N.1 (Winter 2010), pp. 3-13.
- Thomas Hegghammer, « The rise of Muslim foreign fighters : Islam and the globalization of Jihad », International Security, vol. 35, N.3 (Winter 2010/11), pp. 53-94.

التدخلات الخارجية ودورها في تنامي التطرّف في العالم العربي

External interventions and It's impact on increasing extremism in the Arab world

الدكتور عصام عيروط[1] ***Dr. Issam Ayrout***

أستاذ مساعد في جامعة نابلس للتعليم المهني والتقني - فلسطين

Assistant Professor at Nablus University for Vocational and Technical Education - Palestine

ملخص

يبحث موضوع الدراسة في إشكالية تتمحور حول تأثير التدخلات الخارجية في تنامي ظاهرة التطرّف والعنف في العالم العربي وذلك من خلال تتبع النظريات التي اتبعتها القوى الخارجية للتدخل بشؤون الدول العربية، وكيف أدت هذه التدخلات الى تنامي وتغذية ظاهرة التطرف وزيادة العنف، إضافة الى الكشف عن كيفية انتقال هذا التطرف تباعاً الى الدول العربية.

بهدف الوصول الى أهداف الدراسة تم استخدام المنهج التحليلي حيث تم توظيفه في محاولة الكشف عن العلاقات بين المتغيرات المختلفة وصولاً إلى تحليل علمي لهذه الاشكالية وجذورها عبر أربعة مطالب: في المطلب الأول بحثنا في كيفية تدخل القوى العظمى في شؤون الدول العربية من خلال يدها الخفية، أما المطلب الثاني فقد تناولنا فيه نظرية صناعة العدو ونظرية الاحتواء للحركات الأصولية الخارجية والتي انتهجتها القوى العظمى، والمطلب الثالث تناولنا فيه الحروب بالوكالة والميلشيات وكيف تم استخدامها كأداة للسيطرة والهيمنة على الدول العربية، وأخيرا وفي المطلب الرابع تم إسقاط نظرية الدومينو على أحداث العنف في العالم العربي الذي هو نتاج للتطرف.

استخلصنا من ما تم من عرض وتحليل ان التدخلات الخارجية لعبت دوراً مهماً ومحورياً في تنامي ظاهرة التطرف بالعالم العربي حيث كان من أبرز أشكال التدخل اليد الخفية التي امتدت لتتدخل في أزمات الدول العربية المعاصرة، إضافة إلى ممارسة القوى الخارجية سياسة صناعة العدو وسياسة الاحتواء فقد صنعت العدو المتمثل بالحركات المتطرفة ولم تعمل على القضاء عليها بشكل كامل ومارست عليها سياسة الاحتواء لخدمة أهدافها الاستراتيجية، كما استخدمت الحرب بالوكالة التي خاضتها بعض الحركات بالنيابة عنها وأدت إلى مزيد من التطرف

[1] iiyrot@gmail.com

والعنف، كما خلصنا بأن هناك عوامل مهمة تلعب دوراً في زيادة التطرف وعلى رأسها بنية الدولة التي عانت من مجموعة من الإشكالات والتي أيضاً لعب التدخل الخارجي دوراً رئيسيا فيها.

الكلمات المفتاحية: التدخلات الخارجية، التطرف، العالم العربي، الاستعمار، العنف، الهيمنة.

Abstract

The study investigates the influence of external interventions on the growth of extremism and violence as a phenomenon in the Arab world. The study intends to obtain its results by examining the theories implemented by external powers to intervene in Arab countries and how these interventions resulted in the growth and nourishment of extremism as well as an increase in violence. In addition to revealing how this extremism is successively disseminated to Arab countries,

To achieve the study's objectives, the analytical method was used to identify the relations between the numerous variables, leading to a scientific analysis of this phenomenon and its roots through four sections: First, we discussed the theory of enemy formation. Secondly, the theory of containment of foreign fundamentalist movements is being pursued by the great powers. The third section dealt with proxy wars and militias and how they were utilized to gain control and dominance over Arab countries. Finally, in the fourth section, the domino theory was projected onto the violence in the Arab world, which is the product of extremism.

The analysis led us to the conclusion that foreign interventions played a significant and vital part in the growth of extremism in the Arab world, as one of the most evident forms of intervention was the invisible hand that intervened in the crises of contemporary Arab countries. In addition to the practice of foreign powers, the policy of enemy formation, and the policy of containment, they made extremist movements the enemy and did not work to eliminate them completely, but rather followed a policy of containment to serve their strategic goals and used the proxy war that some movements fought on their behalf, leading to more extremism and violence. We also found that there are fundamental factors that contribute to the growth of extremism, the most

prominent of which is the state's structure, which has been plagued by a variety of issues and in which external interference has also played a significant role .

Key Words: External interventions, extremism, the Arab world, colonialism, violence, hegemony.

مقدمة:

لقد بات التطرّف في وقتنا الحاضر من أكثر الأحداث التي تشغل العالم، فهذا العصر يُعتبر العصر الذهبي لمكافحة التطرّف وتتبع آثاره، والبحث عن دوافعه وأسبابه، لذلك فإن هناك جهوداً قد بُذِلت وتُبذل للحد من هذه الظاهرة والتقليل من آثارها، حيثُ إنّ هناك بَوناً كبيراً بين عدد المتطرفين مقارنة بالغالبية العظمى من الشعوب، إلاّ أنّ أثرهم وخطرهم -على قلة عددهم- يتجاوز عددهم بكثير، فيمكن لشخص متطرف واحد أنْ يُروع الآلاف من المواطنين[1].

أمّا على الصعيد العربي فقد ساهم في نمو ظاهرة التطرّف ثلاثة أحداث رئيسية أولها الحرب الأفغانية واستخدام المقاتلين العرب ضد الاتحاد السوفييتي[2] وثانيها أحداث الحادي عشر من سبتمبر واحتلال العراق وأفغانستان: حيثُ أنّه ومنذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر والتي حصلت في الولايات المُتّحدة وتأثر بها المجتمع الدّولي بشكل كبير، أصبح من المُلِح إجراء بحث شامل لظاهرة التطرّف والإرهاب بأبعادهِما ودلالاتهما المختلفة واتخاذ قرارات وإجراءات تُعالج قطعياً وجزئياً مظاهر التطرّف والإرهاب، هذا وقد أصدرت الأمم المُتّحدة نحو ثلاث عشرة اتفاقيةً وإعلاناً دولياً حول التطرّف والإرهاب[3] ولكنّها لم تتوصل إلى تعريف شامل للتطرف والإرهاب بسبب اختلاف المصالح الدّولية والتفسيرات والتأويلات الخاصة بذلك، خصوصاً من جانب القوى المتنفذة على الساحة الدّولية. بهذا الصدد فقد حذّر مقرر الأمم المُتّحدة الخاص المعني بحقوق الإنسان (بن أميرسون Ben Emmerson) من أنّ عدم وجود اتفاق على تعريف التطرّف والإرهاب يجعل بعض الدول تستغله لقمع المعارضة التي تملك آراء سياسية مخالفة لها، أو تتخذ قرارات تمييزية ضد الأفراد أو الجماعات[4].

أما ثالثها فقد كان الربيع العربي، حيثُ بات من الواضح أنّ ظاهرتي التطرّف والإرهاب استفحلتا لدرجة كبيرة بعد موجة ما أُطلق عليه الربيع العربي، والتي بدأت في مطلع العام 2011م والتي كان من نتائجها تفشي الفوضى وانفلات الأمن وضعف هيبة الدّولة الوطنية وتفككها بل تآكلها أحياناً كما هو حاصل في ليبيا واليمن وغيرها من الدول العربية، إضافة إلى محاولات التفتيت والتقسيم كما هو حاصل في العراق وسوريا، وذلك بفعل التدخلات

[1] زهرة الثابت، أيديولوجيا التطرّف الديني في المنطقة العربية: أسبابها، مظاهرها، وطرائق علاجها من خلال دراسة مقارنة بين تونس وليبيا، تونس، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات المجلد 1، العدد 2، 2019، ص 89.

[2] (AFGHANISTAN AND THE GENESIS OF GLOBAL JIHAD, Canadian Mennonite University, 2005, Retrieved from: https://www.jstor.org/stable/24469676

[3] دراسة حول تشريعات مكافحة الإرهاب، الأمم المتحدة: المكتب المعني بالمخدرات والجريمة، فيينا، 2009، أنظر الموقع الإلكتروني:
https://bit.ly/3oS90u7

[4] Ben Emmerson, International expert expresses concern over lack of definition of violent extremism, United nations, 2016, Retrieved from: https://2u.pw/hMHPQ

الخارجية من طرف القوى العظمى، وبذلك ارتفع منسوب التطرّف والإرهاب ليشمل خريطة واسعة وتضاريس مختلفة وأنظمة متباينة حتى في ظل استمرار الدّولة[1].

كما نرى فإن الفاعلون الخارجيون يلعبون دوراً مهماً في التأثير على الاستقرار السياسي في العالم العربي، فالدّولة ليست الفاعل الوحيد المؤثر فيه، فلا يخفى على أحد تدخلهم في العالم العربي وفي قضاياه الرئيسية منذ استقلال الدول العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، فمنذ ذلك الحين طرأت العديد من التحوّلات والتطوّرات في طبيعة الفاعلين الخارجيين وأدوارهم وتأثيرهم في عملية الاستقرار السياسي في العالم العربي[2].

وللتعرف على دور التدخلات الخارجية في تنامي التطرف سوف نتعرف على أهم النظريات التي من خلالها كرست القوى الخارجية تدخلاتها بالدول العربية وكيف عملت على تنامي التطرف وتغذيته في هذه الدول، وذلك من خلال استخدام المنهج التحليلي وتوظيفه في محاولة ظاهرة الكشف عن العلاقات بين المتغيرات المختلفة وصولاً إلى تحليل علمي لهذه الاشكالية وجذورها.

إشكالية الدراسة:

غالباً ما يُنظر إلى العالم العربي باعتباره أرض التطرّف، لذا فإن ظاهرة التطرّف الآخذة بالاتساع في المنطقة والعالم باتت تُعدّ في الآونة الأخيرة من أكثر القضايا التي تثير اهتمام النُّخب الفكرية والثقافيّة والسياسية، كما أنّ نمو الظاهرة وانتقالها إلى أطوار وأشكال جديدة ربما لم تكن موجودة من قبل يدعو إلى قراءة أكثر عمقاً بعيداً عن الفهم السطحي.

حيثُ إنّ معظم الباحثين يُرجع أسباب تنامي هذه الظاهرة في المجتمعات العربية إلى جُملة من العوامل المتشابكة وليس نتيجة عامل رئيسي واحد فقط، يمكن أنْ يُفرز إشكالات ويؤثر بشكل مباشر على بقية العناصر، وبما أنّ التطرّف هو ظاهرة تنمو تحت غطاء الدّولة وفي كَنفها فان الدولة العربية بعد الاستقلال لم تستطع -في غالبها- أنْ تبني دولة وطنية طبيعية قادرة على تحقيق هوية وطنية جامعة لمختلف الفئات الاجتماعية للمواطنين، وفي نفس الوقت لم تستطع أنْ تحقق التنمية أو تتخلص من التبعية الخارجية، وبقيت القوى الخارجية تتدخل في رسم سياساتها والتحكم بمقدراتها والسيطرة على ثرواتها، اضافة الى انها منحت المجموعات المتطرّفة شرعية الوجود الى أن

---

[1] خير الدين حسيب، الربيع العربي نحو آلية تحليلية لأسباب النجاح والفشل، مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد 34، العدد 398، 2012، ص 11-18.

[2] جاسم محمد طه، أثر أدوار الفاعلين من غير الدول على الاستقرار السياسي والأمني في المنطقة العربية، مجلة تكريت للعلوم السياسية، جامعة الموصل، العدد 14، ص 270، أنظر الموقع الإلكتروني:
https://2u.pw/xsW1I

طرحت هذه الجماعات نفسها بديلا للدولة التي اوصلتها التدخلات الخارجية الى حالة الفشل، كل هذا يقودنا إلى السؤال الرئيسي للمشكلة وهو: **كيف ساهمت التدخلات الخارجية في تنامي التطرّف في العالم العربي؟**

نشتق من الإشكالية الرئيسية أسئلة فرعية هي كالتالي:

ما هي الأساليب والنظريات التي اتبعتها القوى الخارجية للتدخل بالدول العربية؟

كيف عملت تدخلات القوى الخارجية بشؤون الدول العربية في تنامي وتغذية التطرف؟

كيف انتقل العنف والتطرف تباعا الى الدول العربية؟

دراسات سابقة

في دراسة اجراها عبد الفتاح ماضي (2019) بعنوان العوامل الخارجية والثورات العربية: أربع إشكاليات للبحث انتهت الدراسة الى أن ثورات عام 2011 أظهرت بوضوح أهمية العوامل الخارجية، خاصة من حيث تداعيات التدخل المباشر للفاعلين الخارجيين على مآل هذه الثورات، ومن حيث تأثر الصراعات والمخاوف المتبادلة بنين الأطراف المختلفة) الداخلية والخارجية) إضافة الى أن هناك قوى إقليمية ودولية ترى مصالحها في منع الديمقراطية التي تهدد بتغيري الوضع الراهن في البلدان العربية.

وأيضاً في دراسة أعدها (أيان بريمر 2021) المحلل المتخصص في الشؤون الدولية يشير فيها إلى أنّ ما يحدث في منطقة الشرق الأوسط ما هو إلاّ حلقة من حلقات عملية عالمية من التدمير الخلّاق على مستوى النّظم الجيوسياسية. إذاً فدور التدخل الخارجي بات واضحاً خاصة بعد تدخل القوى العظمى وعلى رأسها الولايات المُتّحدة الأمريكيّة في ثورات الربيع العربي سواءُ من خلال التدخل غير المباشر عبر دعم ما يسمى التحوّل الديمقراطي في المنطقة العربية، أو من خلال تقديم المساعدات والمعونات والمنح، أو من خلال التدخل المباشر عسكرياً كما حصل بالتدخل العسكري من قبل قوات الناتو ضد نظام معمر القذافي في ليبيا، كما أنّ التدخل الخارجي لعب دوراً مهما أثناء تفجر هذه الثورات بقصد دعمها، أو فيما يسمى بالمراحل الانتقالية بهدف توجيه سياساتها حيثُ تدخلت القوى الكبرى في شؤون الدول العربية وعلى رأسها الولايات المُتّحدة التي تدخلت في مسار الثورات العربية للحفاظ على المصالح الأمريكيّة في المنطقة، وهو تدخل اتخذ منحى أكثر صلابة في التعامل مع ليبيا التي تدخلت فيها الولايات المُتّحدة دون غطاء شرعي بحجة المساعدات الإنسانية ولم تتوقف إلاّ بعد سقوط نظام القذافي.

كما يرى المؤرخ الأميركي(مايكل دويلMichael W. Doyle) في كتابه (مسألة التدخل) الصادر في العام 2015م فإن نفس المشهد تكرر في ليبيا، حيثُ كان هدف التدخل الخارجي هو إسقاط النظام فقط متجاهلاً الجزء الآخر وهو إعادة بناء الدّولة وتحسين حياة الناس وتوفير الحرية والأمن، فتم إسقاط نظام (القذافي) وتركوا البلاد تغرق بالفوضى والعُنف، أمّا في سوريا فقد كان الأسلوب مختلفاً ولكنه أيضاً كان بعيداً عن قاعدة التوازن بين

الوسائل والنتائج، فقد أُدخلت إلى سوريا ميليشيات مختلفة مرتبطة بقوى خارجية تحت مرأى قوات التدخل الأجنبي، تميزت هذه الميليشيات بعدم انتمائها للوطن السوري وبقيت قضيتها مرتبطة بقوى خارجية سواء جاء ذلك ضمن إطار التدخل الأميركي أو دعم نظام الأسد بمليشيات مسلحة إيرانية وغير إيرانية. نلاحظ هنا أنّ كل هذه التدخلات لم تضع في حساباتها أي شيء يتعلق بمرحلة إعادة بناء الدّولة السورية وسلامة وأمن مواطنيها والمحافظة على وحدة الأراضي السورية وسيادتها، فالتدخلات الخارجية في العالم العربي كانت مرتبطة باستراتيجيات تخص مصالح قوى خارجية بعيداً عن محنة الشعب في أي من هذه الدول العربية، وكانت النتيجة أنّ من تدخلوا سرعان ما تَخلّوا عن مطالب شعوب هذه الدول وتجاهلوا رفضها لنظام الحكم فيها، وتركوها تعاني من التطرّف والعُنف والإرهاب.

ويرى (Daniel Byman دانيال بايمان) في مقال له نُشر في مجلة (ناشونال إنترست الأميركية The National Interest) أنّ سبب لجوء الدول إلى الحروب بالوكالة هو تقليل التكاليف السياسية والاقتصادية وعدم المواجهة المباشرة مع الدول الكبرى، ورغم أنّها لا تتم داخل الدّولة المعنية بالتدخل في شؤون الدول الأخرى ولكنّها تبقى شكلاً منقوصاً من الحروب، ففي سوريا تدخلت مجموعة من الدول وكرّست الحرب بالوكالة مثل: (فرنسا وإيران وإسرائيل والأردن وروسيا والسعودية وتركيا والإمارات وبريطانيا والولايات المُتّحدة الأمريكيّة) قامت هذه الدول برعاية مصالحها من خلال عمليات القصف وتقديم المال والعتاد العسكري والتدريب الذي استهدف الحُكومة تارةً وجماعات الثّوار والميليشيات تارةً أخرى، كما دعمت مصالحها بالمحافل الدولية مثل الأمم المُتّحدة فالحرب بالوكالة هي خيار استراتيجي للقوى العظمى تخوضه عادةً من خلال الميليشيات.

فرضية او ادعاء الدراسة: تقوم فرضية الدراسة على انه وعلى الرغم من توافر العديد من العناصر الداعمة للتطرف داخل الدول العربية الا ان الفاعل الاساسي الذي يجعل من التطرف حالة دائمة وظاهرة سياسية تتسم بها دول العالم العربي هو العامل الخارجي.

لتناول هذه الإشكالية ودعم صدقية الفرضية سنقوم بتقسيم الدراسة إلى أربعة مطالب، يبحث المطلب الأول في اليد الخفية للتدخل الخارجي، أما المطلب الثاني فيبحث في موضوع صناعة العدو ونظريّة الاحتواء للحركات الأصولية، وسيتناول المطلب الثالث الحروب بالوكالة والميليشيات (Armed non-state actors) أما المطلب الرابعة فسيتحدث عن نظريّة (الدومينو Domino Theory).

المطلب الأول: اليد الخفية

عند التدخل في أزمات الدول العربية المعاصرة مثل: (سوريا، والعراق، وليبيا، واليمن) تضع الأطراف الخارجية الوازنة في معادلة العالم العربي هدفين واضحَين أولهما: إسقاط النظام الاستبدادي القائم وثانيهما: إعادة بناء الدّولة بأدوات وأساليب ديمقراطية، لكن الباحثين في هذا المجال وبناء على التجارب السابقة يعتقدون أنّ نتائج

هذا التدخل كانت أسوأ من الحالة التي دعت إلى التدخل، فلماذا إذاً تم التدخل؟ وهل كان هذا التدخل مُخططاً لمنح هذا الشعب حريته وتخليصه من النظام المستبد وتحسين ظروفه المعيشية؟ أم أنّ هذا التدخل كان لأهداف سياسية على رأسها إسقاط النظام القائم وإغراق الدّولة في حالة من الفوضى والتخبط لأهداف وأجندات خارجية؟

إنّ التدخل الخارجي في شأن دولة ما بهدف تخليص شعبها من المعاناة ومساعدته في عيش حياة كريمة له معايير سياسية وقانونية اصطلح عليها الخبراء والمختصون، وأجازها القانون الدّولي ووضع لها معايير محددة، والتي تتلخص في أنّ التدخل يتم بهدف الموازنة بين الوسائل والنتائج، فأي تَدخل خارجي يحدث دون الأخذ بعين الاعتبار قاعدة التوازن يقود الدّولة إلى حالة سيئة تفوق في سوئها الوضع القائم فيها، ومن أوضح الأمثلة على التدخلات غير المتوازنة هو التدخل في العراق، فقد تم تنفيذ خطة غزو العراق بطريقة مجتزأه، فتم إسقاط النظام القائم دون إعادة بناء الدّولة العراقية حسب الخطة الأمريكيّة الموضوعة، وهو الأمر الذي اعترف به وزير الخارجية الأمريكي في حينه (كولين بأولColin Powell) بقوله: أنّهم أعدوا خطة تفصيلية ومدروسة لإعادة بناء الدّولة بعد الغزو، لكن وزارة الدفاع تجاهلت الخطة التي وضعتها وزارة الخارجية ورفضت تنفيذها على الأرض، فانهارت الدّولة العراقية وانتشر العُنف والإرهاب وتعددت المنظمات المتطرّفة[1].

وكما يرى المؤرخ الأميركي (مايكل دويلMichael W. Doyle) في كتابه (مسألة التدخل) الصادر في العام 2015م فإن نفس المشهد تكرر في ليبيا، حيثُ كان هدف التدخل الخارجي هو إسقاط النظام فقط متجاهلاً الجزء الآخر وهو إعادة بناء الدّولة وتحسين حياة الناس وتوفير الحرية والأمن، فتم إسقاط نظام (القذافي) وتركوا البلاد تغرق بالفوضى والعُنف، أمّا في سوريا فقد كان الأسلوب مختلفاً ولكنه أيضاً كان بعيداً عن قاعدة التوازن بين الوسائل والنتائج، فقد أُدخلت إلى سوريا ميليشيات مختلفة مرتبطة بقوى خارجية تحت مرأى قوات التدخل الأجنبي، تميزت هذه الميليشيات بعدم انتمائها للوطن السوري وبقيت قضيتها مرتبطة بقوى خارجية سواء جاء ذلك ضمن إطار التدخل الأميركي أو دعم نظام الأسد بمليشيات مسلحة إيرانية وغير إيرانية. نلاحظ هنا أنّ كل هذه التدخلات لم تضع في حساباتها أي شيء يتعلق بمرحلة إعادة بناء الدّولة السورية وسلامة وأمن مواطنيها والمحافظة على وحدة الأراضي السورية وسيادتها، فالتدخلات الخارجية في العالم العربي كانت مرتبطة باستراتيجيات تخص مصالح قوى خارجية بعيداً عن محنة الشعب في أي من هذه الدول العربية، وكانت النتيجة أنّ من تدخلوا سرعان ما تَخلّوا عن مطالب شعوب هذه الدول وتجاهلوا رفضها لنظام الحكم فيها، وتركوها تعاني من التطرّف والعُنف والإرهاب[2].

---

[1] عاطف الغمري، التدخل الخارجي في العالم العربي، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2016، أنظر الموقع الإلكتروني:

https://2u.pw/VSMMC

[2] عاطف الغمري، مرجع سابق.

نُلاحظ أنّه وعند محاولة تفسير الدَّور الخارجي في بناء وإدارة الدّولة العربية وتأثيره على ظاهرة التطرّف يظهر لنا أنّ الدَّور الخارجي يعتبر قضية مركزية ومؤثرة وذلك لعدة أسباب، السبب الأول: علاقة التبعية القائمة بين الدّولة العربية والقوى الخارجية، والثاني: طبيعة النُظم الاقتصادية والاجتماعية الموجودة في الدول العربية، فبشكل عام معظم الأنظمة العربية أنظمة ذات تبعية خارجية، كما أنّ أغلب النُّخب الحاكمة تتلمذت في العالم الخارجي وتمارس نفس المنهجيات والأساليب التي تتلمذت عليها، أمّا الجانب الثاني والمهم فهو وجود جانب من الصراع المجتمعي والسياسي والثقافي في العالم العربي يُعزى إلى العلاقة مع العالم الخارجي وهذا بشكل أساسي يعتبر أحد مولدات التطرّف والعُنف في العالم العربي.

بناءً على ما تقدم فمن المهم معرفة السبب الذي يدفع الدول الخارجية للتدخل في أحداث معينة في العالم العربي، ولماذا تُبرر لنفسها بعض المواقف المغايرة لقيمها وسياساتها؟ يمكن أنْ يرجع ذلك لطبيعة العلاقة الناشئة بين هذه الدول والأنظمة السياسية في العالم العربي، فالدول الخارجية تُتهم بدعمها للأنظمة الاستبدادية والحركات والجماعات المتطرّفة، فنجدها تُقدم دعماً لأنظمة عربية اتخذت من انتهاك حقوق الإنسان وقمع الحريات منهج حياة، وفي الوقت نفسه تتلقى هذه الأنظمة دعماً من دول خارجية تَعتبر الحريات وحقوق الإنسان القيمة العليا لسياساتها، وفي نفس السياق نجد أنّ بعض الدول الخارجية تقف ضد حكومات منتخبة أو ضد مسارات ديمقراطية لطالما نادت بها وحثّت الدول على اتباعها، مثل ما حصل في الانتخابات الفلسطينية التي أفرزت فوز حركة حماس[1] حينها تم رفض نتائج الانتخابات على المستوى الدولي من قبل الدول العظمى[2] لذا فإنّنا نجد أنّ الدول الخارجية أحياناً تقف ضد الإرادة الجماهيرية، وهذا يعود إلى سبب رئيس هو التناقض مع مصالحها.

إنّ فهم هذه الإشكاليات هو ما يعزز الادعاءات التي تَعتبر أنّ هدف هذه الدول العظمى الحفاظ على مصالحها من خلال دعم أنظمة غير شرعية ورفض أنظمة شرعية، ويدلل على ذلك العديد من المؤشرات الداعمة لتلك الادعاءات، فقد لعب التدخل الخارجي بالشؤون العربية من قبل القوى الإقليمية والدولية دوراً واضحاً في توجيه ثورات عام 2011م ففي ليبيا لم يسقط النظام لولا التدخل والدعم الخارجي، ونتيجة لذلك أصبحت البلاد ساحة تَنافس

---

[1] حركة المقاومة الإسلامية، وتكتب اختصاراً حماس وهي حركة فلسطينية، إسلامية سُنية، شعبية، وَطنية، مقاومة للاحتلال الصهيوني. وهي جزء من حركة النهضة الإسلامية، تؤمن أن هذه النهضة هي المدخل الأساسي لهدفها وهو تحرير فلسطين كاملة من النهر إلى البحر، وهي أكبر الفصائل الفلسطينية تمثيلًا في المجلس التشريعي الفلسطيني حسب آخر انتخابات تشريعية في فلسطين عام 2006، جذورها إسلامية وتعرّف نفسها على أنها حركة تحرر وطني ذات فكر إسلامي وسطي معتدل، ترتبط حركة حماس فكرياً بجماعة الإخوان المسلمين.

[2] Amina Jamshaid ,HAMAS' ELECTORAL VICTORY: REACTIONS OF THE ARAB MEDIA (January - July 2006), Institute of Strategic Studies Islamabad, Retrieved from:

https://2u.pw/6m4FR

لنفوذ القوى الإقليمية والدولية التي لم يكن في يوم من الأيام بناء دولة المؤسسات الديمقراطية من أهدافها أو ضمن أولوياتها[1].

وفي اليمن طَرحت أطراف إقليمية بغطاء خارجي ما عُرف بالمبادرة الخليجية التي أجهضت الثورة اليَمنية وحافظت على الحزب الحاكم القديم مما أدَّى إلى تَجدد الصراعات التي امتدت إلى دُولٍ إقليمية أخرى، وفي البحرين تم إيقاف الحراك الشعبي بتدخل خليجي مباشر، وفي مصر عمل الدعم الإقليمي والدولي للثورة المضادة على إفشال (ثورة 25 يناير) وإعادة إنتاج نظام بوليسي قمعي، أمّا في سوريا فقد تحوّلت الثورة إلى صراع دموي نتيجة تدخل أطرافٍ خارجية إقليمية ودولية متعددة، مثل: (أمريكا وروسيا وتركيا وإيران) وغيرها من الدول، أمّا في تونس فيُعزى النجاح النسبي للثورة التونسية بأن تونس لم تكن يوماً ساحة تنافس للدول الكبرى، فالتأثير الخارجي في الدول العربية تتداخل فيه العوامل التاريخية والسياسية والاقتصادية والاستراتيجية، فالعالم العربي له تاريخ طويل مع المظاهر السلبية للتدخل الخارجي، فنشأة الدول الوطنية أو القُطْرية العربية جاءت بالأساس بتأثيرات وتدخلات استعمارية خارجية في عالم ثنائي القطبية وذلك في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وما أسفر عنها من تنافس الدول الاستعمارية على المنطقة وتجنيد العرب ضد الدّولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى واحتلالها لسنين عديدة، ثم اقتسام مواقع النفوذ في الوطن العربي بين (فرنسا وبريطانيا) ورسم حدود مصطنعة في المنطقة العربية قبل خروجهما من المنطقة والذي تُوّج باتفاقية (سايكس بيكو Sykes- picot agreement1916) التي قسّمت الوطن العربي إلى أقطار متعددة، إضافة إلى أنّها زرعت الدّولة الصهيونية كياناً استيطانياً إحلالياً يتبع الغرب اقتصادياً وسياسياً ويرتبط معه بعلاقة عضوية، لتضمن مصالحها الاستراتيجية المتمثلة في استمرار تدفق النفط لدولها واستخدام الدول العربية كسوق استهلاكي كبير، إضافة إلى الاستفادة من موقعها الاستراتيجي، لذا لا يمكن تجاهل هذه النشأة غير الطبيعية للدول القُطْرية وتأثيرها على بنية الدّولة التي كان من نتائجها أنْ تشكلت العلاقات بين القوى الكبرى والأنظمة العربية على أساس التبعية والهيمنة، فهذه الأنظمة تعتمد على حماية القوى الغربية الكبرى في تثبيتها واستمرارها في الحكم بدلاً من أنْ تعتمد على شعوبها في شرعية وجودها واستمرارها[2].

وجدير بالذكر أنّه وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وفي ظل دولة ما بعد الاستعمار بقي للسياسة الخارجية الأميركية قواعد أساسية تحكُم علاقاتها مع العالم العربي والإقليم بعيدة كل البعد عن دعم الحريات والديمقراطية، وركزت فقط على تبعية قرار النفط وضمان تدفقه إلى الغرب بأسعار زهيدة، إضافة إلى الحفاظ على أمن إسرائيل وضمان تفوقها العسكري النوعي على محيطها العربي والحفاظ على توازن القوى الإقليمي، وحماية حلفائها من

---

[1] يوسف محمد الصواني، انتفاضة 17 فبراير في ليبيا: إسقاط النظام وقضايا بناء الدّولة، منتدى المعارف، بيروت، 2013، ص 148 - 152.

[2] عبد الفتاح ماضي، العوامل الخارجية والثورات العربية: أربع إشكاليات للبحث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 36 - كانون الثاني / يناير 2019 سياسات عربية، قطر، ص 11-12.

الرؤساء العرب، وما ترتب على ذلك من علاقات سياسية وعسكرية عميقة جمعت بين أنظمة وجيوش المنطقة العربية وأنظمة وجيوش غربية[1].

بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001م على الولايات المتحدة الأمريكيّة أصبحت المنطقة العربية الساحة الرئيسية للحرب على الإرهاب، وبدعوى هذه الحرب بدأت الولايات المُتّحدة في سياسة جديدة لتغيير الأنظمة وأطلقت عليها اسم تغيير النظام(Regime Change) وحمّلت هذه الأنظمة مسؤولية قمع الحريات وإنتاج التطرّف والعُنف، فبدأت باحتلال أفغانستان والعراق، ورَفَعَت شعارات الديمقراطية وبناء الدّولة (Nation Building) إلاّ أنّها لم تُنتج سوى القتل وتهجير الملايين وتدمير مقدرات هذه الدول، وإرجاعها عشرات السنين إلى الوراء، إضافة إلى تمدد النفوذ الإيراني بالمنطقة العربية وتكريس الطائفية والاستبداد في العالم العربي[2].

وتبرز الممانعة الغربية لأي انتقال ديمقراطي من خلال الدعم العسكري والاقتصادي الذي تمنحه لبعض الأنظمة العربية الاستبدادية، فالولايات المُتّحدة قدّمت معونات عسكرية لنحو (70) في المئة من الدكتاتوريات في العالم من خلال السياسة التي اتبعتها في الحرب الباردة بدعوى دعم الديمقراطية وتغيير الدكتاتوريات المستبدة[3] في هذا الإطار قال الباحث الأميركي (David D. Kirkpatrick) والمتتبع للعلاقات الأميركية- المصرية منذ السبعينيات: إنّ العلاقات الأميركية- المصرية حالت دون إنجاح فرص الانتقال الديمقراطي في مصر، فعلى سبيل المثال وبعد تدخل الجيش وإطاحته بالرئيس المصري المنتخب محمد مرسي في العام 2013م لم يَرِد في خطابات الإدارة الأميركية مصطلح الانقلاب، واكتفت بنبذ العُنف والدعوة لعقد انتخابات جديدة على وجه السرعة، وكان السيسي قد أبلغ واشنطن في آذار/ مارس 2013م من خلال جنرالات البنتاغون الذين نُقل لهم الملف المصري بأن حكم الإخوان في مصر قد انتهى[4].

أمّا الاتحادُ الأوروبي فلم يطلق على ما حدث في العام2013م انقلاباً، واستمر بالتعامل مع النظام في مصر، ما عدا السويد والنرويج اللّتين اعتبرتا أنّ ما حدث هو خروج على الشرعية[5] هذا وقد اعتبر وزير الخارجية (جون

---

(1) Eid Mohamed, The Role of America in a Changing Arab World, Brookings Institution, 2012, Retrieved from: https://2u.pw/yicIv

(2) عبد الفتاح ماضي، مرجع سابق، 2019، ص 13.

(3) Whitney Webb, "Exporting 'Democracy': US Provides Military Aid to More Than 70 Percent of World's Dictatorships, MintPress News, 2017, Retrieved from: https://bit.ly/2FX0NQv

(4) David D. Kirkpatrick, "U.S. Sought Delay of Morsi's Ouster, Egyptian Leader Says," The New York Times, 2014, Retrieved from: https://goo.gl/RTH2th

(5) Jason Brownlee, Democracy Prevention: The Politics of the U.S.-Egyptian Alliance, New York: Cambridge University Press, 2012.

كيريJohn Kerry) أنّ ما حدث في مصر يمثل استعادة للديمقراطية[1] كما تحدث الجنرال الأمريكي (مارتن ديمبسيMartin Dempsey) رئيس هيئة الأركان المشتركة في جلسة استماع بمجلس الشيوخ بعد أيام من بيان 3 تموز/ يوليو 2013م عن مدى أهمية المصالح المشتركة بين الولايات المُتّحدة والجيش المصري على وجه الخصوص، مع تأكيده على أهمية الاستمرار في الشراكة القوية بين الطرفين، مُنوهاً إلى أنّ بلاده تتمتع بالمرور التفضيلي في قناة السويس، وإلى التزام الجيش المصري باتفاقيات كامب ديفيد، وإلى أنّ الجيش الإسرائيلي يَعتبر الجيش المصري شريكاً قوياً[2]، أمّا بخصوص المساعدات المقدمة لمصر فقد أضاف (الكونغرسCongress) إلى القانون الذي يُنظم هذه المساعدات عبارة: "إذا كان هذا في مصلحة الأمن القومي الأميركي" مما يتيح لوزير الخارجية بالتنازل عما يسمى شهادة الديمقراطية المطلوبة لاستمرار المساعدات، وبذلك تم تكييف السياسة الأمريكيّة وضبطها حسب مصالحها الاستراتيجية[3].

كما أشار الرئيس الأمريكي (دونالد ترامبDonalsd Trump [4]) في نيسان/ أبريل 2018م إلى أنّ الأنظمة العربية لن تدوم أكثر من أسبوع إذا رُفع الدعم الأميركي عنها، لأنّ الولايات المُتّحدة هي التي تحميها[5] وبذلك يُصبح واضحاً حجم تأثير التدخل الخارجي في الأنظمة العربية وفي بُنية الدول العربية، فإنّ ما يحكم المصالح كما تتبناها القوى الغربية هو النفط والتجارة ومبيعات السلاح وأمن إسرائيل ومكافحة الإرهاب، وبناءً على ذلك يتم التعامل مع الحركات المتطرّفة حسب نظريّة الاحتواء وإبقاؤها تحت السيطرة الغربية، ومنع وصول حكومات وطنية تُغير ميزان القوة الإقليمي.

على مدار عقود مضت لعب العامل الخارجي دوراً رئيسياً ومؤثراً في تحريك الشارع العربي وإحداث تغييرات فيه، فقد كشف موقع (ويكليكسWikileaks) وثائق سرية كشفت بأن الولايات المُتّحدة الأمريكيّة دفعت ملايين الدولارات إلى منظمات تدعم الديمقراطية في مصر وفي بعض الدول العربية، كما ساهم موقع

---

[1] Michael R. Gordon & Kareem Fahim, "Kerry Says Egypt's Military Was 'Restoring Democracy' in Ousting Morsi, The New York Times, 2013, Retrieved from: https://nyti.ms/2PFl64r

[2] Nomination of Gen Martin E. Dempsey, U.S. Senate Committee on Armed Forces, 2013, Retrieved from: https://goo.gl/cQVDmX

[3] عزمي بشارة، ثورة مصر: من الثورة إلى الانقلاب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة/ بيروت، 2016، ص 462.

[4] هو دونالد جون ترامب (Donald John Trump) ولد في العام 1946 في نيويورك، وهو ابن ملّاك عقارات ثري، ارتاد كلية وارتون بجامعة بنسلفانيا قبل أن يتولى مسؤولية أعمال عائلته. وهو الرئيس الخامس والأربعون للولايات المُتّحدة الأمريكية من الفترة20 يناير 2017 إلى 20 يناير 2021 وهو أيضًا رجل أعمال وملياردير أمريكي، وشخصية تلفزيونية ومؤلف أمريكي ورئيس منظمة ترامب، والتي يقع مقرها في الولايات المُتّحدة.

[5] Remarks by President Trump and President Macron of France in Joint Press Conference, Remarks, The White House, 2018, Retrieved from: https://goo.gl/QpTYeH

(ويكليكسWikileaks) بما حصل في العالم العربي لأنه كشف وثائق سرية عديدة تتعلق بالحكام والطبقة الحاكمة وبيّن حجم الفساد الموجود في هذه الدول في وقت محدد الأمر الذي أدّى إلى خروج الناس إلى الشارع للمطالبة بالقضاء على الفساد[1].

ويرى بعض المحللين أن الربيع العربي جُزء من المشروع الأمريكي للتغيير في الشّرق الأوسط، وفي هذا الشأن يشير (أيان بريمرIan Bremmer) المحلل المتخصص في الشؤون الدولية إلى أنّ ما يحدث في منطقة الشرق الأوسط ما هو إلاّ حلقة من حلقات عملية عالمية من التدمير الخلّاق على مستوى النّظم الجيوسياسية. إذاً فدور التدخل الخارجي بات واضحاً خاصة بعد تدخل القوى العظمى وعلى رأسها الولايات المُتّحدة الأمريكيّة في ثورات الربيع العربي سواءُ من خلال التدخل غير المباشر عبر دعم ما يسمى التحوّل الديمقراطي في المنطقة العربية، أو من خلال تقديم المساعدات والمعونات والمنح، أو من خلال التدخل المباشر عسكرياً كما حصل بالتدخل العسكري من قبل قوات الناتو ضد نظام معمر القذافي في ليبيا، كما أنّ التدخل الخارجي لعب دوراً مهما أثناء تفجر هذه الثورات بقصد دعمها، أو فيما يسمى بالمراحل الانتقالية بهدف توجيه سياساتها حيثُ تدخلت القوى الكبرى في شؤون الدول العربية وعلى رأسها الولايات المُتّحدة التي تدخلت في مسار الثورات العربية للحفاظ على المصالح الأمريكيّة في المنطقة، وهو تدخل اتخذ منحى أكثر صلابة في التعامل مع ليبيا التي تدخلت فيها الولايات المُتّحدة دون غطاء شرعي بحجة المساعدات الإنسانية ولم تتوقف إلاّ بعد سقوط نظام القذافي[2].

ولتوضيح الدَّور الخارجي من ناحية عملية من وجهة نظر المواطنين العرب سوف نستعرض الرسم البياني الناتج عن سؤال المواطنين في الوطن العربي بالسؤال التالي: هل تعتقد أن السياسات الراهنة للدول الآتية (أمريكا وروسيا وإيران وفرنسا والصين وتركيا) تهدد أمن المنطقة واستقرارها؟

---

[1] ويكليكس: واشنطن مولت منظمات مصرية تدعو إلى الديمقراطية، صحيفة البلاد، 2011، أنظر الموقع الإلكتروني:

https://2u.pw/uHSq7

[2] فرح محمد نصر لامه، المؤتمر العلمي حول العالم العربي في عالم متغير: تحوّلات الربيع العربي- مقاربة نظرية، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية 2013، ص 8-9.

رسم توضيحي1

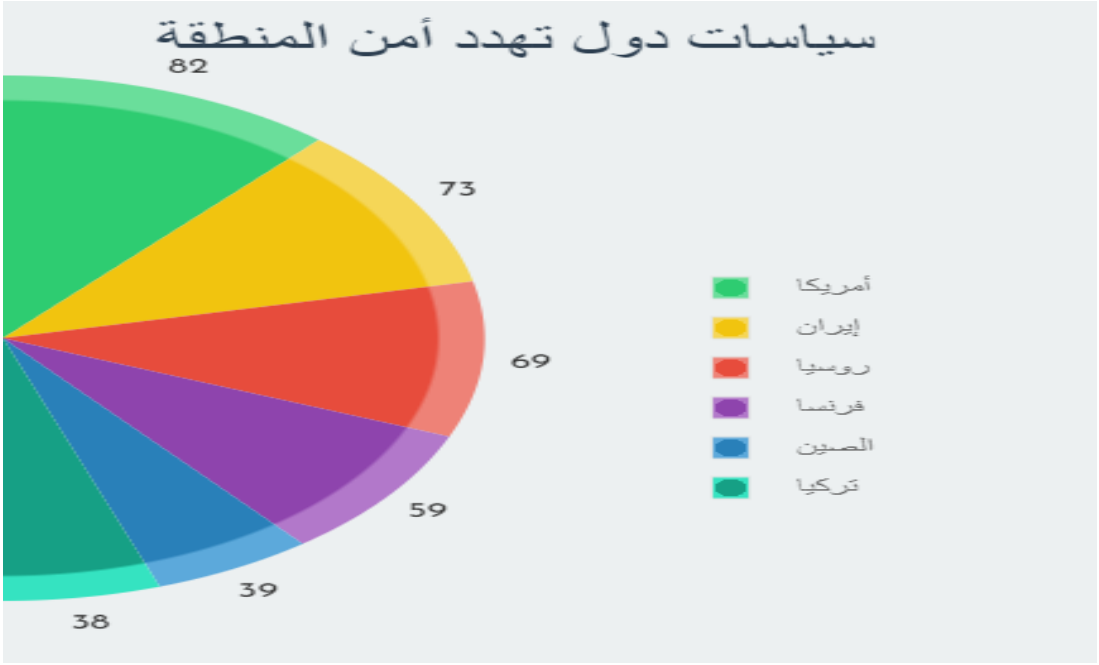

*المصدر: اتجاهات الرأي العام في المنطقة العربية حسب نتائج المؤشر العربي لعام 2016، مجلة سياسات عربية، وحدة استطلاع الرأي العام: المؤشر العربي، العدد 24، كانون الثاني- يناير 2017، ص 126.

تاريخياً، عملت الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المُتّحدة الأمريكيّة على التدخل بالشؤون العربية وفرض هيمنتها على قضاياه من خلال استراتيجيات وممارسات على الأرض هدفها صناعة العدو واحتواء واستخدام الحركات المتطرّفة،[1] وهذا ما سيتم مناقشته في الفرع الأول، وفي الفرع الثاني سوف يتم تناول الحروب بالوكالة والتي استطاعت القوى الخارجية من خلالها من تقليل أكلاف الحروب والتدخلات في مصائر الشعوب العربية، وفي الفرع الثالث سنتناول موضوع الميليشيات وأهدافها وكيفية تشكيلها واستخدامها من قبل الجهات الخارجية، أمّا في الفرع الرابع فسوف نوضّح كيف انهارت بعض الدول العربية بعد الربيع العربي حسب تأثير (الدومينو Effect Domino).

المطلب الثاني: صناعة العدو ونظريّة الاحتواء للحركات الأصولية الخارج

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أصبحت أمريكا هي القطب الرئيس في العالم وقد حافظت أمريكا على نفوذها في العالم وبوجه خاص في العالم العربي، فالعراق طالما حظي بالاهتمام الاستراتيجي الأمريكي وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر والتي أعطت أمريكا المبرر للتقدم في مدّ نفوذها في العالم العربي، فباحتلال العراق

[1] Fadi Farasin, Cihat Battaloglu, Adam Atauallah Bensaid | Feb 2017What is Causing Radicalism in the MENA? RESEARCH PAPER, Arab Center for Research and Policy Studies, p 15, Retrieved from:

https://2u.pw/CCyWH

والتوغل بأراضيه عسكرياً وسياسياً حققت أمريكا هدفاً هاماً وهو ضمان الوصول إلى الدول العربية المحيطة، وضمان سيطرتها على المناطق الغنية بالمواد الخام بعيداً عن أي خطر أو تهديد روسي أو إيراني[1].

وعلى الصعيد الدولي قصدت أمريكا إظهار قوتها العسكرية وتكريس هيمنتها على السياسة الدولية، والاحتفاظ بحقها في توجيه ضربات فردية وفق معاييرها الذاتية وزرع القواعد العسكرية بشكل دائم خاصة في العالم العربي، كما عملت أمريكا على دعم إسرائيل كحليف عضوي وجعلها قوة إقليمية وازنة، كما هدفت إلى الاستفادة من الموقع الاستراتيجي للعراق والذي يعتبر نقطة التقاء استراتيجي بين منطقة الخليج ووسط آسيا وشمال غربها والشرق الأوسط، والسيطرة على ثرواته النفطية التي تُعتبر ثاني أكبر احتياطي نفطي في العالم، وبالتالي انفرادها كلاعب رئيسي بالمنطقة العربية وفرض سياساتها على دول (الاتحاد الأوروبي وروسيا والصين) وفرض العزلة على إيران ومحاصرتها للإخلال بميزان القوى وإعادة رسم الخارطة السياسية العربية والتدخل لإحداث التغييرات اللازمة لتتلاءم مع المصالح الأمريكيّة[2].

على الجانب الآخر استفادت أمريكا من الانتشار السريع للإسلام السياسي، وانتقاله من المحلية إلى العالمية، ودخوله في مواجهة مباشرة مع الولايات المُتّحدة والغرب، وبعض الأنظمة المعتدلة في العالم العربي، وتنفيذه الكثير من أعمال العُنف ضد الغرب بشكل عام والولايات المُتّحدة بشكل خاص، مثل تفجير مركز التجارة العالمي، والهجمات على السفارات الأمريكيّة في (نيروبي ودار السلام) فبعد الحادي عشر من سبتمبر شرعت أمريكا بالعمل على أكثر من صعيد في تمهيدها لضرب عدوها الجديد الذي صنعته بسياساتها الرخوة من خلال خلق هامش لهذا العدو للتحرك المحدود في قنوات رسمتها مسبقاً، وبنفس الوقت عملت على الإبقاء عليه ليكون بمثابة الذريعة لحملاتها العسكرية المستقبلية، وهذا ما عُرف بمفهوم الاحتواء، وهو ليس مفهوماً جديداً حيثُ استخدمته الولايات المُتّحدة في مواجهة الاتحاد السوفيتي، وقد ظهر هذا المفهوم على يد الدبلوماسي الأمريكي الشهير (جورج كينان George F Kennan)[3].

طبقت الولايات المُتّحدة بتعاملها مع الحركات الأصولية في العالم العربي سياسة الاحتواء ولم تعمل على القضاء عليها بشكل كامل، وقد هدفت من ذلك عدم إسقاط العدو واستمرار وجوده لخدمة أهدافها الاستراتيجية، والتي تتمثل في المحافظة على المبرر للتدخلات الأمريكيّة العسكرية في منطقة تكتسب أهمية استراتيجية بالنسبة لها، من ناحية النفوذ السياسي والموارد النفطية، وتبقى تحافظ على مستوى من التوازن الذي يخدم مصالحها، فنرى

---

[1] الموسوي نواف الموسوي، العرب والعالم بعد11/ أيلول مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002، ص 75.

[2] سعيد رفعت، التصور الأمريكي الجديد للمنطقة ووضع العرب فيه، مجلة شؤون عربية، العدد 112، 2002، ص7-9.

[3] هشام القروي، كينان ونظرية الاحتواء، موقع بحوث، 2010، أنظر الموقع الإلكتروني:

https://2u.pw/zTikc

أنّها في بعض الحالات تُسقط هذه الحركات في حال وصولها للسلطة وتَسلمها زمام الأمور كطالبان في أفغانستان وحماس بفلسطين والإخوان في مصر[1].

كما وضعت أمريكا الكثير من الحركات الإسلامية على قائمة الإرهاب وحظَرتها في الغرب وفي العالم وذلك بهدف تحقيق احتواء مُطلق للإسلام السياسي والسيطرة عليه في المنطقة بشكل جزئي، وإبقاء خطره موجوداً، وتغييب وجود أتباعه ليبقوا العدو الضعيف والمسيطر عليه والذي يبرر الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة من جهة، ويضعف قدرة الحركات الإسلامية في ضرب المصالح الأمريكيّة من جهة أخرى[2].

يتّضح لنا أن التدخل الخارجي يلعب دوراً محورياً في مجريات الأحداث في العالم العربي، ولا تخفى أهمية العامل الخارجي ومدى تأثيره في عدم تحقيق الربيع العربي أهدافه والذي يظهر في الرسم البياني التالي والناتج عن استطلاع للرأي في الدول العربية.

رسم توضيحي2

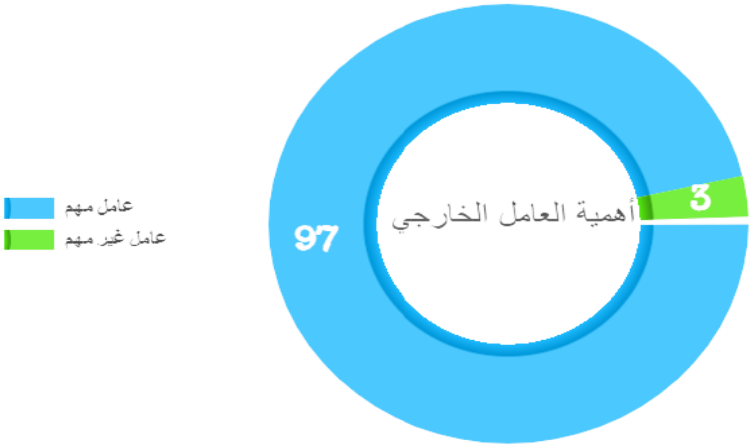

*المصدر: اتجاهات الرأي العام العربي تجاه دور العامل الخارجي في عملية التحوّل الديمقراطي، مجلة سياسات عربية، وحدة استطلاع الرأي العام: المؤشر العربي، العدد 36، كانون الثاني- يناير 2019، ص 114.

المطلب الثالث: الحروب بالوكالة والميلشيات

هي تلك الحروب التي يخوض فيها الأطراف صراعاً إقليمياً أو أهلياً بالوكالة لصالح طرف من الأطراف العظمى التي تملك النفوذ والهيمنة، وذلك خدمة لمصالح هذه الأطراف، وتتمحور هذه الصراعات والحروب حول

[1] ايان شابيرو، نظرية الاحتواء: ما وراء الحرب على الإرهاب، الطبعة الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2012، ص 123-126.

[2] TERRORIST GROUPS, Office of the Director of National Intelligence, 2021, Retrieved from:

https://www.dni.gov/nctc/groups.html

إسقاط النظام واستبداله بنظام آخر يراعي مصالح الدول العظمى، كما يهدف إلى ضرب الاستقرار لهذه الأنظمة بهدف التأثير على سياستها الداخلية والخارجية بما يخدم مصالح الدول العظمى، حيثُ تعمل هذه الدول على تَجنب حروبٍ مباشرة بينها، فالدول العظمى تستخدم الدول أو الجماعات المناهضة لخصومها حتى وإن كانت ذات نظم سياسية تختلف في توجهاتها وسياساتها[1].

لقد طرأ على الساحة السياسية العربية خلال السنوات الماضية تزايداً كبيراً لظاهرة الحروب بالوكالة في سياق جيوسياسي تسببت هذه الحروب في مجموعة من التحوّلات العميقة في العالم العربي، فقد سقطت وتفككت دول عريقة وتعرضت دولاً أخرى لمعضلات سياسية قادتها إلى الفشل، في ذات الوقت ظهرت جماعات طائفية مسلحة عملت على تشكيل كيانات سياسية مستقلة في وقت قياسي، فأصبحت الساحة العربية مجالاً لصراعات وتوازنات القوى الدولية والإقليمية ومكاناً استراتيجياً لإدارة الحروب بالوكالة في مطلع الألفية الجديدة، وبذلك انتقل التنافس وتقاسم النفوذ بين الدول الكبرى من الحرب الباردة إلى الحروب بالوكالة داخل الساحة العربية من خلال فاعلين محليين يلتزمون بأجندات قوى إقليمية ودولية، فأدَّى ذلك إلى تفتيت العديد من الدول الوطنية وخلق كيانات متطرفة مستقلة، فمنذ غزو الكويت والتحالف الأمريكي لغزو العراق تراجعت أولويات الأمن القومي العربي وازدادت ظاهرة الحروب بالوكالة في الفضاءات الجيوسياسية في العالم العربي، وحوّلت الدول العظمى وعلى (رأسها أمريكا وروسيا) والقوى الإقليمية الأخرى الساحة العربية إلى ساحة تُمارس فيها الحروب بالوكالة، حاولت هذه القوى زعزعة الاستقرار الإقليمي من خلال تهديد استقرار الدولتين المركزيتين في العالم العربي وهما السعودية ومصر، كما عملت على تنمية الدَّور العدائي لإسرائيل في العالم العربي، والذي يدور في فلكه معظم تحركات القوى الغربية في العالم العربي[2].

إن تنافس القوى العظمى وصل إلى حد الصراع على النفوذ الدولي والإقليمي، وألقى هذا الصراع بظلاله على تفاعلات القوى الإقليمية في البيئة السياسية في العالم العربي والتي عانت من اضطرابات سياسية وأمنية واقتصادية وديموغرافية خاصّة بعد ثورات الربيع العربي. وتتضح مآلات الصراع من خلال سماح القوى العظمى للقوى الإقليمية بهامش حرية للعمل والتحرك بالإقليم، ويظهر ذلك بوضوح من خلال تدخلات (تركيا وإيران) وبعض الدول الخليجية في (سوريا واليمن) وغيرها من الدول العربية، وذلك من خلال التدخل المباشر عن طريق الجماعات الطائفية المرتبطة بها ومن خلال التدخل غير المباشر بدعم المعارضة المسلحة، فإيران تتدخل بشكل

[1] James J. Wirtz, Understanding Proxy Warfare, Texas National security review, 2020, Retrieved from:

https://2u.pw/Rx9YM

[2] **Alexandra Stark,** Give Up on Proxy Wars in the Middle East, foreign policy journal, 2020, Retrieved from:https://2u.pw/yOZe7

مباشر عن طريق (فيلق القدس) الإيراني وبشكل غير مباشر عن طريق جماعات مرتبطة بها مثل: (حزب الله وكتائب أبو الفضل العباس وعصائب الحق في العراق) أمّا تركيا فتدخلت في ليبيا وسوريا ومصر وفي أزمة دول الخليج مع النظام القطري[1] فقد صرح (أردوغانErdoğan) في فبراير 2020م بأن جيشه قد أرسل نحو (51) ألف جندي كتعزيزات عسكرية إلى سوريا مدعومين بمئات المركبات المدرعة والدبابات والمدفعية الثقيلة[2].

أمّا السعودية فقد تدخلت وبعمق في الشأن اليمني فشكّلت تحالف لضرب (الحوثيين) والقوات الموالية للرئيس السابق (معمر القذافي) وبسبب غياب النظام العربي وعدم ممارسة دوره الوحدوي تعمقت الخلافات الطائفية والدينية في العالم العربي، فأصبحت الفرصة مهيأة لإيران والتي تُمثل (المذهب الشيعي) لتعزيز مكانتها الإقليمية بوسائل عسكرية واقتصادية ودبلوماسية، وأيضاً تركيا التي تُمثل المذهب السنّي، حيثُ عمل القطبان الإيراني والتركي على زيادة النعرات الطائفية والمذهبية في المجتمع العربي، كما منحت القوى الكبرى الجماعات المتطرّفة حرية الحركة في العالم العربي، وغضّت البصر عن نشاطاتها وأبعدت نفسها عن الصراعات الجارية، مما ساعد في ظهور الجماعات المتطرّفة وإتاحة الفرصة لاحتضانها ودعمها من قبل قوى إقليمية وازنة[3].

ولكن هذه الصراعات والتدخلات التي تخوضها (إيران وتركيا) في العالم العربي لها أكلاف كبيرة على المستوى الداخلي والخارجي، فعلى المستوى الداخلي تكبّدت الدولتان خسائر مادية وبشرية أثارت غضب شعوبها وأدّت إلى تراجع الأوضاع الاقتصادية وانهيار العملة الإيرانية والتركية، أمّا على المستوى الخارجي فإيران وتركيا ليستا إلاّ أدوات يتم استخدامها من قبل القوى العظمى لفرض حالة سياسية في العالم العربي تعمل على الحفاظ على الهيمنة وتؤدي إلى استمرار وتوسع نفوذ ومصالح القوى العظمى[4].

أمّا في ليبيا فقد دعمت (روسيا والسعودية والإمارات) زعيم المليشيا (خليفة حفتر) الذي حاول السيطرة على البلاد في الوقت الذي اعترفت الولايات المُتّحدة الأمريكيّة بشكل رسمي بالحُكومة المنافِسة في طرابلس، وكما ذكرنا تقوم السعودية والإمارات في اليمن بدعم جهتين متنافرتين، فمن جهة دعمت الوحدات العسكرية للنظام السابق، ومن جهة أخرى دعمت الانفصاليين الجنوبيين والجماعات القبلية التي تعمل ضد قوات الحوثي والتي تتلقى

---

[1] ماجد كيالي، اضطرابات المشرق العربي في صراعات القطبين الأمريكي والروسي من الثورات الشعبية إلى الحروب بالوكالة، جامعة الدول العربية - الأمانة العامة، عدد 158،2014، ص 126-127.

[2] Daniel Brumberg, Russian-Turkish-Iranian Cross-Purposes on Syria's Future, Arab Center Washington DC, 2020, Retrieved from:

https://2u.pw/TXlzB

[3] ماجد كيالي، مرجع سابق، ص 128-130.

[4] Daniel Brumberg, op.cit.

الدعم من إيران. إنّ الحرب بالوكالة تتميز بقلة كُلفة الحروب والتي تصل إلى حدّها الأدنى، ولذلك فإنها مرغوبة سياسياً، فالقليل من الأميركيين يعرفون أنّ الولايات المُتّحدة تقصف ليبيا من خلال الميليشيات التي تدعمها للقيام بهذا العمل. وجدير بالذكر أنّ الرئيسين (دونالد ترامب وباراك أوباما) انتهجا سياسة الحروب بالوكالة على الرغم من اختلافهما في إدارة ملف السياسية الخارجية، فقاما بمكافحة الإرهاب بدون نشر القوات الأمريكيّة على نطاق واسع، وإنما من خلال وكلاء وميليشيات لهما في العالم العربي[1].

كل هذه التدخلات في الشأن العربي قادت الساحة العربية إلى أنْ تصبح ساحة للصراع الدولي والإقليمي وخاصة في (سوريا والعراق) وباتت مصر غير قادرة على لعب دورها الإقليمي بسبب ما تعانيه من حالة عدم الاستقرار، كما قطعت (السعودية والإمارات وقطر والبحرين) علاقاتها الدبلوماسية مع بعضها البعض، وظلّ التوتر سيد الموقف في العلاقة الخليجية التركية، كما أعربت الدول الخليجية عن تخوفها من تراخي الولايات المُتّحدة في التعامل مع إيران، الأمر الذي أدَّى إلى زيادة النفوذ الإيراني في المنطقة العربية، وبدأت الدول الخليجية تبحث عن صياغة مفهوم استراتيجي شامل للدفاع المشترك عن أمنها بعد أنْ كانت تعتمد في أمنها على المساندة الغربية وخاصة الأمريكيّة، كل ذلك جاء في ظِل ضُمور الدَّور الإسرائيلي لصالح الدَّور التركي الإيراني، ربما هذا ما يفسر سعي إسرائيل إلى استعادة دورها في المنطقة بعقد اتفاقيات التطبيع مع دول عربية عديدة[2].

فالحرب بالوكالة هي خيار استراتيجي للقوى العظمى تخوضه عادةً من خلال الميليشيات Armed non-state actors) التي تظهر عندما ينتشر العُنف وتتكرس الانقسامات العرقيّة والدينية الطائفية وتحصّل هذه الجماعات على بعض الميزات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية وتحتكر بعض هذه الجماعات-على اختلاف مشاربها- السّلطة والامتيازات الاقتصادية والسياسية، وفي نفس الوقت تعاني جماعات أخرى من الحرمان والاستبعاد السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فيصبح المحدد الرئيسي للحالة الاقتصادية والاجتماعية هو الانتماء السياسي أو الديني أو الاثنين معاً، مما يعمل على توجيه ولاء الأفراد إلى الجماعات وكيانات معينة في الدّولة مما يؤدي إلى فقدان الأنظمة السياسية لشرعيتها، ودخول البلاد في مرحلة من الاضطرابات الأهلية والعُنف الذي يؤدي إلى حالة من عدم الاستقرار وزيادة التطرّف. فعلى سبيل المثال ادّعى مقاتلو (داعش) في (سوريا والعراق) أنّهم يهدفون إلى إسقاط الأنظمة الفاسدة، أمّا في (اليمن) فادّعى الحوثيون أنّهم يقاتلون بسبب انعدام العدالة الاجتماعية والفقر وانتشار الفساد، وفي العام 2012م كانت نسبة المواطنين اليمنيين الذين يعيشون تحت خط الفقر (54%) مما سهّل على القاعدة والحوثيين العمل على تجنيد الشباب، لهذا كله انتشرت ظاهرة الميليشيا مستفيدين من حالة الإهمال وحالة الاستبعاد التي تعاني منها الجماعات والأقليات الدينية والسياسية، فيتم تعبئة المنتمين لهذه الجماعات وجرّهم

---

[1] لماذا تلجأ الدول إلى الحروب بالوكالة؟، قناة الجزيرة: جولة الصحافة، 2018، أنظر الموقع الإلكتروني: https://bit.ly/3oO8Tjb

[2] ماجد كيالي، مرجع سابق، 131-133.

إلى استخدام العُنف المسلح كأحد أدوات التعبير عن زيادة الإحساس بالعجز والعزلة عن المجتمع والعداء للقوانين والأنظمة على اعتبارها أدوات القمع والاستبداد[1].

والميليشيا هي مجموعة من المواطنين الذين يشاركون في أنشطة شبه عسكرية، وتتشكل هذه الميليشيات كردّ فعل على حالة خاصة أو أزمة معينة تحدث في الدول[2]. أمّا على المستوى العربي فالميليشيات المسلحة عبارة عن أجنحة عسكرية وُجدت للدفاع عن تكتلات طائفية أو إثنية أو فئوية تظهر آثارها عندما تضعف الدّولة وتعم الفوضى فلا تستطيع الدّولة حماية الوطن والمواطن. بعض هذه الميليشيات يكون ولاؤها للأنظمة السياسية الحاكمة ويجند المقاتلين الموالين للنظام والبعض الآخر يتكوّن من مجموعات ثورية أو منشقّين من مجموعات متطرفة، وغالباً ما تكون هذه الميليشيات مستقلة بغض النظر عن ولاءاتها، ومن الميزات المهمة للميليشيات بأنها غالباً تكون أقل تكلفة وأكثر مرونة من القوات العسكرية النظامية، كما أنّها تمتلك خبرة محلية كبيرة مما يسمح لها أنْ تنشط بفعالية في المناطق التي يصعب على القوات النظامية العمل فيها، إلاّ أنّها تفتقر إلى المهنية والحِسّ الوطني فيمكن أن تمارس العُنف والإرهاب ضد مواطني الدّولة نفسها، الأمر الذي تستغله بعض الأنظمة للتنصل من المسؤولية الدولية المتعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان[3].

لقد نما دور الميليشيات المسلحة بشكل كبير في ظل ضعف الجيوش العربية وأمست من القوى الفاعلة والمؤثرة في الدول العربية على مستوى السياسة الداخلية والخارجية، وعلى صعيد التفاعلات الداخلية بين الأحزاب والقوى السياسية ومؤسسات المجتمع المدني، هذا وقد ساهمت هذه الميليشيات في تحويل النّزاعات السياسية إلى نزاعات إثنية وعرقية، كل ذلك أدَّى إلى عسكرة المجتمع وإضعاف الدّولة المركزية وانفراط عقد الدّولة، هذه الميليشيات جاءت نتيجة لتسيّس الجيش وإدخاله إلى العملية السياسية على أُسس طائفية وعرقية ومذهبية، يكون ولاء هذه الميليشيات للنظام السياسي وليس للدولة، وتنشأ هذه الميليشيات في دول استبدادية غير مندمجة فتصبح شرعيتها محطَّ نزاع، في هذه الحالة تستند الدّولة في إدارتها وعملياتها التوزيعية للثروة الوطنية على بُنى عصبية وطائفية ومذهبية[4].

---

[1] عبد العالي حور، تحوّلات المؤسسة العسكرية في العالم العربي: عسكرة المجتمع ونشوء الميليشيات، مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، مركز جيل البحث العلمي، العدد 8، 2017، ص 64-65.

[2] Hamilton Neil, A militias in America: a reference handbook contemporary world issues, ABC-CLIO Oxford England 1996, p 6.

[3] Frederic Wehrey, ARIEL I.Taming the Militias: Building National Guards in Fractured Arab States, 2015, Retrieved from: https://2u.pw/tJ2GZ

[4] عبد العالي حور، مرجع سابق، 2017، ص 49.

المطلب الرابع: نظريّة (الدومينو Domino Theory)

هي نظريّة ظهرت في عقد الخمسينيات في الولايات المُتّحدة الأمريكيّة وتتلخص بأنّه إذا كان هناك دولة في إقليم معين تحت نفوذ ما فإن الدول المحيطة بها ستخضع لنفس النفوذ من خلال تأثير الدومينو، وأول رئيس أميركي تكلم عن هذه النظريّة هو (دوايت أيزنهاورDwight D. Eisenhower) وذلك في خطابه الشهير الذي ألقاه في العام 1954م. من ناحية نظريّة تفترض هذه النظريّة وجود تدخل خارجي قوي قادر على زعزعة حالة الاستقرار القائمة بين مجموعة متجاورة من الكيانات المنتظمة في إقليم معين، وتفترض أنّه بمجرد نجاح القوى الخارجية في التأثير على كيان معين وزعزعة استقراره فتنتقل هذه التأثيرات إلى الكيانات المجاورة لتنتج حالة من الفوضى وعدم الاستقرار بشكل متتالي، وتنتقل هذه التأثيرات بشكل سريع وتعتمد سرعة سقوط الأنظمة على استعدادها الذاتي للتأثر بالموجة، وتُعَظّم هذه النظريّة من أهمية العامل الخارجي لإحداث تغييرات معينة في إقليم ما. وقد استخدم الباحثون هذه النظريّة في مجال النظم السياسية المقارنة وخرجوا بنتائج تفيد بأن ارتفاع وانخفاض درجة الديمقراطية في دولة معينة ينتشر ويعدي الدول المجاورة التي تشبهها في البيئة السياسية والاجتماعية، ينسحب هذا على التغيير الحاصل داخل دولة معينة، فغالباً يحدث تغييراً متشابهاً في الدول المجاورة لها[1].

علماً أنّ الولايات المُتّحدة الأمريكيّة قد اتبعت نهج نظريّة الدومينو منذ فترة طويلة لإعداد العالم العربي للتأثر بهذه الموجة من خلال تحطيم بنية الدّولة العربية وإنتاج دول هجينة ليسهل تفكيكها سياسياً واجتماعياً وديموغرافياً واقتصادياً، حيثُ أنّ هذه النظريّة تراهن وبشكل خاص على تساقط الأنظمة السياسية الرخوة (Soft State) وهي الدول التي لا تحترم القوانين ولا تعمل على تنفيذها إلاّ فيما يتعلق بالأمن الخاص بالنظام السياسي القائم. وبالنظر إلى الدول العربية نجد أنّها تعاني من صعوبات اقتصادية وسياسية مزمنة في ظل تراخي القوانين وتعطيل الدساتير وتطويعها لما فيه مصلحة النُّخبة الحاكمة، إضافة إلى تقوية قوات الأمن التي تحافظ على أمن النظام كما أنّها تتأثر بشكل كبير بالتدخل الخارجي الذي يعطي الإشارة لرحيل رأس النظام السياسي الأمر الذي حوّل حروب الجيوش إلى حروب الشعوب بهدف تطويع المجتمعات واستبدال الأنظمة السياسية[2]. وعلى سبيل المثال وبتاريخ 18 ديسمبر 2010م نَشبَت اضطرابات في تونس كردّة فعل عفوية على قيام شاب بإضرام النار في نفسه احتجاجاً على الأوضاع المعيشية الصعبة، ومن هنا بدأت التظاهرات، وفي غضون شهر انهار نظام (بن علي) فكان هو حجر الدومينو الأول الذي يسقط في العالم العربي.

---

(1) Peter T. Leeson & Andrea M. Dean, the Democratic Domino Theory: An Empirical Investigation, George Mason University, 2009, p 533.

(2) نادية حلمى، نظرية الدومينو: الاختراق الناعم في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، المركز الديمقراطي العربي، 2016.

https://2u.pw/KWwXz

أمّا الدومينو الثاني فكان سقوط الرئيس حسني مبارك بعد أسبوعين من الاضطرابات الشديدة التي عصفت بمصر، وتركزت بين الشعب من جهة والنظام من جهة أخرى، وانتقلت بعد ذلك إلى أنحاء كثيرة من العالم العربي وفي معظم الحالات كان رد الأنظمة عنيفاً ودموياً خاصة في (ليبيا وسوريا) وسقط العديد من الزعماء مع أنظمتهم السياسية ما عدا نظام بشار الأسد في سوريا، والذي ظهر جلياً أنّ القوى الدولية وتدخلاتها العميقة في سوريا عملت على تثبيت نظامه على الرغم من هشاشة الدّولة السورية. لقد كان العامل المساعد للربيع العربي الذي أغفلته الأنظمة هو خدمة الإنترنت والتي هي مُدخل غربي والتي استطاع المتظاهرين من خلالها الوصول إلى وسائل التواصل الاجتماعي مثل: (Facebook وTwitter) مما أتاح لهم التواصل والتخطيط على مستوى واسع بصورة سهلة للغاية، علماً أنّ الأنظمة السياسية هي التي سعت للحصول على خدمة الإنترنت من الغرب، فقد كان نجل القذافي يملك أكبر شركة مزودة لخدمة الإنترنت في ليبيا، وكان الأسد رئيس المنظمة التي أدخلت الإنترنت إلى سوريا، وكانت خدمة الإنترنت في تونس تقدم من قبل حكومة بن علي، وبعد سقوط بن علي تنبه الزعماء العرب لهذه السقطة فعملوا على قمع الاضطرابات من خلال تقييد الوصول إلى مواقع التواصل الاجتماعي[1] علماً أن خدمة الإنترنت كانت أداة من أدوات التدخل الخارجي.

لم يكن الربيع العربي مفاجئاً للقوى الغربية فقد توالى سقوط الأنظمة بشكل سريع، وذلك لمجموعة من العوامل أولها: هشاشة الدّولة وثانيها: قوة وتجذر المعارضة، وثالثها: أنّ الحركات السياسية موجودة على أرض الواقع، ورابعها: العامل الرئيسي الذي كان له تأثير كبير وهو رفع الغطاء عن هذه الأنظمة من قبل القوى الخارجية فسقطت مثل أحجار الدومينو واحداً تلو الآخر، وأيضاً كان للإعلام دور كبير في انتشار العُنف مثل النار في الهشيم من دولة إلى أخرى، كما أنّ ممارسة الاحتجاج مرتبطة بالثقافة القومية العربية والاشتراكية العربية وذلك بسبب التاريخ الطويل في معارضة سياسات إسرائيل والغرب، خاصّة فيما يتعلق بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني وحرب العراق. لقد كان من المتوقع أنّه بمجرد سقوط نظام عربي واحد سينتقل الربيع العربي بسرعة إلى بلدان أخرى، وذلك لأنّ أحجار الدومينو مرتبه منذ فترة طويلة، وأن سقوط أي حجر سيؤدي إلى سقوط الأحجار الأخرى على التوالي[2] كما هو واضح بالشكل التالي:

[1] Matthew VanDyke, The Arab Spring and the Democratic Domino Theory, the freedom fighter blog, 2012, Retrieved from: https://2u.pw/p0xm0

[2] Matthew VanDyke, ibid, 2012.

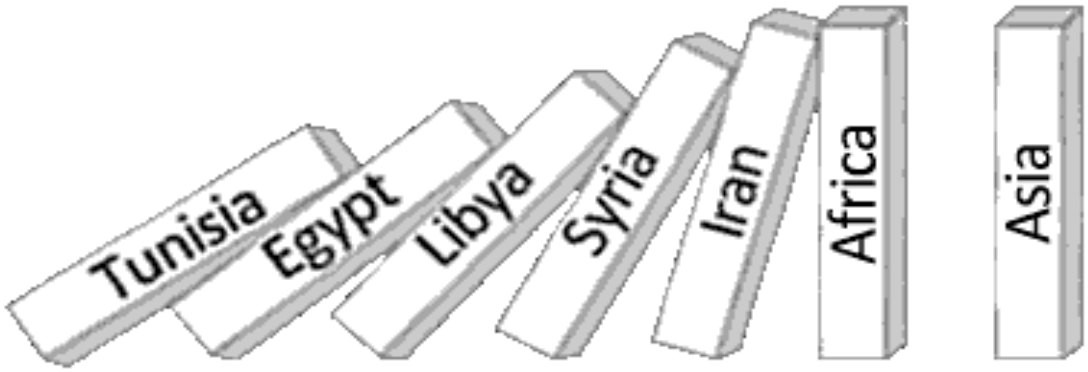

*المصدر: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، نظرية الدومينو: الاختراق الناعم في الشرق الأوسط.

الاستنتاجات

انطلاقا من العرض والتحليل السابقين يتبين لنا ان التدخلات الخارجية تلعب دوراً مهماً ومحورياً في تنامي التطرف بالعالم العربي لعل أبرز أشكال التدخل اليد الخفية التي تمتد لتتدخل في أزمات الدول العربية المعاصرة ويكون هذا التدخل لأهداف سياسية على رأسها إسقاط النظام القائم وإغراق الدّولة في حالة من الفوضى والتخبط لأهداف وأجندات خارجية مما يساهم في تنامي وتغذية التطرف بشكل كبير، كما تقوم القوى الخارجية بشكل مستمر بصناعة العدو لخدمة اغراضها وتقوم ايضاً باحتواء الحركات المتطرفة وليس القضاء عليها لكي تبقي على صراعات ونزاعات داخلية بالدول العربية ليتسنى لها التدخل وقتما شاءت وكيفما شاءت.

كما استخدمت القوى الخارجية الحرب بالوكلة كأداة لخلق صراع اقليمي وأهلي لصالح طرف من الأطراف العظمى التي تملك النفوذ والهيمنة، وذلك خدمة لمصالح هذه الأطراف، وتتمحور هذه الصراعات والحروب حول إسقاط النظام واستبداله بنظام آخر يراعي مصالح الدول العظمى، كما يهدف إلى ضرب الاستقرار لهذه الأنظمة بهدف التأثير على سياستها الداخلية والخارجية بما يخدم مصالح الدول العظمى، حيثُ تعمل هذه الدول على تَجنب حروبٍ مباشرة بينها، فالدول العظمى تستخدم الدول أو الجماعات المناهضة لخصومها حتى وإن كانت ذات نظم سياسية تختلف في توجهاتها وسياساتها.

إضافة الى ذلك فقد أدى تنافس القوى العظمى على النفوذ الدولي والإقليمي الى التأثير المباشر في تفاعلات القوى الإقليمية في البيئة السياسية في العالم العربي والتي عانت من اضطرابات سياسية وأمنية واقتصادية وديموغرافية خاصّة بعد ثورات الربيع العربي والتي استخدمت فيه -في كثير من الأحيان ميلشيات متعددة المشارب ساعدت هذه القوى على خلق بيئة هشة تتأثر بشكل مباشر بالتدخلات الخارجية، فنرى أن الأنظمة العربية سقطت نظام بعد آخر متأثرة بنظرية الدومينو الغربية. كما انه لا يمكن تجاهل دور القوى الخارجية خارج إطار الدولة

وصراعاتها سواء الأيدولوجية، او الصراعات الجغرافية في تغذية التطرف والعنف داخل الدول الاخرى، وفي الغالب يكون موجه من قوى خارجية سواء من خلال الدعم او اثارة الخلاف نفسه.

غير اننا لا نستبعد دور عوامل أخرى ومن بينها بنية الدولة فما زالت تعاني في بنيتها من إشكاليات لعل أبرزها؛ أولا: الخلل في معادلة أوزان القوى الناظمة لإدارة الدولة، والثاني عدم قدرة الدولة العربي على إعادة انتاج عقد اجتماعي وسياسي جديد قادر على ضمان ضبط التوازن بين الثروة والسلطة التي نتجت عن جمله من التحولات في بالعالم العربي والتي لعب أيضاً التدخل الخارجي دورا كبيرا فيها، وما زالت تهيمن على سلطاتها السلطة التنفيذية وهناك غياب لدور السلطة التشريعية وإن وجدت فهي غير فاعلة بالمستوى المطلوب مجتمعياً وغير قادرة على تحقيق التوازن بين السلطات السياسية.كما أن هناك إشكالية في باقي مكونات الدولة العربية سواء المجتمع المدني أو النخب الاقتصادية؛ فالمجتمع المدني مغيب دوره بالكامل، وفي بعض الأحيان متهم من أنه يمثل مصالح قوى خارجية، أما النخب الاقتصادية فهي الأخرى أصبحت تنازع قوى الدولة للسيطرة على السياسات العامة وتوجيهها وزيادة وزنها السياسي في السلطة السياسية، وهذا ما يطلق عليه مزاوجة رأس المال مع السياسة في العالم العربي.

المراجع:

الكتب:

- ايان شابيرو، نظرية الاحتواء: ما وراء الحرب على الإرهاب، الطبعة الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.
- خير الدين حسيب، الربيع العربي نحو آلية تحليلية لأسباب النجاح والفشل، مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد 34، العدد 398، 2012.
- زهرة الثابت، أيديولوجيا التطرّف الديني في المنطقة العربية: أسبابها، مظاهرها، وطرائق علاجها من خلال دراسة مقارنة بين تونس وليبيا، تونس، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات المجلد 1، العدد 2، 2019
- سعيد رفعت، التصور الأمريكي الجديد للمنطقة ووضع العرب فيه، مجلة شؤون عربية، العدد 112، 2002.
- عبد الفتاح ماضي، العوامل الخارجية والثورات العربية: أربع إشكاليات للبحث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 36 - كانون الثاني / يناير 2019 سياسات عربية، قطر.
- عبد العالي حور، تحوّلات المؤسسة العسكرية في العالم العربي: عسكرة المجتمع ونشوء المليشيات، مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، مركز جيل البحث العلمي، العدد 8، 2017.
- عزمي بشارة، ثورة مصر: من الثورة إلى الانقلاب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة/ بيروت، 2016.
- فرح محمد نصر لامه، المؤتمر العلمي حول العالم العربي في عالم متغير: تحوّلات الربيع العربي- مقاربة نظرية، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية 2013.
- ماجد كيالي، اضطرابات المشرق العربي في صراعات القطبين الأمريكي والروسي من الثورات الشعبية إلى الحروب بالوكالة، جامعة الدول العربية - الأمانة العامة، عدد 2014.
- الموسوي نواف الموسوي، العرب والعالم بعد11/ أيلول مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002.
- يوسف محمد الصواني، انتفاضة 17 فبراير في ليبيا: إسقاط النظام وقضايا بناء الدّولة، منتدى المعارف، بيروت، 2013.

المواقع الالكترونية:

- جاسم محمد طه، أثر أدوار الفاعلين من غير الدول على الاستقرار السياسي والأمني في المنطقة العربية، مجلة تكريت للعلوم السياسية، جامعة الموصل، العدد 14، ص 270، أنظر الموقع الإلكتروني: https://2u.pw/xsW1I

- دراسة حول تشريعات مكافحة الإرهاب، الأمم المتحدة: المكتب المعني بالمخدرات والجريمة، فيينا، 2009، أنظر الموقع الإلكتروني:

https://bit.ly/3oS90u7

- عاطف الغمري، التدخل الخارجي في العالم العربي، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2016، أنظر الموقع الإلكتروني:

https://rawabetcenter.com/archives/35879

- لماذا تلجأ الدول إلى الحروب بالوكالة؟، قناة الجزيرة: جولة الصحافة، 2018، أنظر الموقع الإلكتروني: https://bit.ly/3oO8Tjb
- ويكليكس: واشنطن مولت منظمات مصرية تدعو إلى الديمقراطية، صحيفة البلاد، 2011، أنظر الموقع الإلكتروني:

https://2u.pw/uHSq7

- نادية حلمى، نظرية الدومينو: الاختراق الناعم في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، المركز الديمقراطي العربي، 2016.

https://2u.pw/KWwXz

- هشام القروي، كينان ونظرية الاحتواء، موقع بحوث، 2010، أنظر الموقع الإلكتروني:

https://2u.pw/zTikc

المراجع باللغات الأجنبية

- Alexandra Stark**,** Give Up on Proxy Wars in the Middle East, foreign policy journal, 2020, Retrieved from:
- Amina Jamshaid, HAMAS' ELECTORAL VICTORY: REACTIONS OF THE ARAB MEDIA (January - July 2006), Institute of Strategic Studies Islamabad, Retrieved from:
- Ben Emmerson, International expert expresses concern over lack of definition of violent extremism, United nations, 2016, Retrieved from: https://2u.pw/hMHPQ

- David D. Kirkpatrick, "U.S. Sought Delay of Morsi's Ouster, Egyptian Leader Says," The New York Times, 2014, Retrieved from: https://goo.gl/RTH2th
- Eid Mohamed, The Role of America in a Changing Arab World, Brookings Institution, 2012, Retrieved from: https://2u.pw/yicIv
- Fadi Farasin, Cihat Battaloglu, Adam Atauallah Bensaid | Feb 2017What is Causing Radicalism in the MENA? RESEARCH PAPER, Arab Center for Research and Policy Studies, p 15, Retrieved from:
- Hamilton Neil, A militias in America: a reference handbook contemporary world issues, ABC-CLIO Oxford England 1996.
- https://2u.pw/6m4FR
- https://2u.pw/CCyWH
- https://2u.pw/yOZe7
- https://www.dni.gov/nctc/groups.html
- James J. Wirtz, Understanding Proxy Warfare, Texas National security review, 2020, Retrieved from:https: https://2u.pw/jn8iP
- Jason Brownlee, Democracy Prevention: The Politics of the U.S.-Egyptian Alliance, New York: Cambridge University Press, 2012.
- Matthew VanDyke, The Arab Spring and the Democratic Domino Theory, the freedom fighter blog, 2012, Retrieved from: http://www.matthewvandyke.com/blog/
- Michael R. Gordon & Kareem Fahim, "Kerry Says Egypt's Military Was 'Restoring Democracy' in Ousting Morsi, The New York Times, 2013, Retrieved from: https://nyti.ms/2PFl64r
- Nomination of Gen Martin E. Dempsey, U.S. Senate Committee on Armed Forces, 2013, Retrieved from: https://goo.gl/cQVDmX
- Oxford England 1996. Frederic Wehrey, ARIEL I.Taming the Militias: Building National Guards in Fractured Arab States, 2015, Retrieved from: https://2u.pw/tJ2GZ
- Peter T. Leeson & Andrea M. Dean, the Democratic Domino Theory: An Empirical Investigation, George Mason University, 2009.

- Remarks by President Trump and President Macron of France in Joint Press Conference, Remarks, The White House, 2018, Retrieved from: https://goo.gl/QpTYeH
- TERRORIST GROUPS, Office of the Director of National Intelligence, 2021, Retrieved from:
- Whitney Webb, "Exporting 'Democracy': US Provides Military Aid to More Than 70 Percent of World's Dictatorships, MintPress News, 2017, Retrieved from: https://bit.ly/2FX0NQv

أوضاع المسلمين في الغرب وتحديات الإسلاموفوبيا والإرهاب

The situation of Muslims in the West and the challenges of Islamophobia and terrorism

أ.د. الطاهر حاج النور أحمد زروق[1] **Dr. Al-Taher Hajj Al-Nour Ahmed Zarrouk**

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر/ جامعة زالنجي – السودان

Professor of Modern and Contemporary History/ University of Zalingei - Sudan

إسحاق حافظ علي النور **Ishaq Hafez Ali Al-Nur**

باحث، جامعة زالنجي Researcher, University of Zalingei

الملخص

أجريت الدراسة في العام 2018م بهدف الوقوف على أوضاع المسلمين في الغرب وتحديات الإسلاموفوبيا والإرهاب، واستخدم المنهج التاريخي والوصفي، وجمعت البيانات من المصادر والمراجع ذات الصلة.

أهم النتائج:

- تعتبر ظاهرة الخوف من الإسلام أو الإسلاموفوبيا ظاهرة مرضية فقط.
- تنامي انتشار الإسلام في أوربا أدى إلى مخاوف الدول العربية من انتشاره بصورة موسعة بينهم.
- الدولة الإسلامية (داعش) والقاعدة من صنع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية والمخابرات الأنجلو أمريكية.
- تنظيم داعش من أكثر التنظيمات تطرفاً وحتى تنظيم القاعدة لا يعترف به.

أهم التوصيات:

- لابد لعلماء الأمة الإسلامية استخلاص الفكر الحقيقي لمعنى الجهاد وشروط الدولة الإسلامية الصحيحة المبنية على العلم والاعتدال.
- على مؤسسات المجتمع المدني التكافل والتعاضد في محاربة الفقر والجهل (البيئة الحاضنة للتنظيمات المتطرفة).

[1] eltahir2015@gamil.com

- على المعنيين وصناع القرار البحث المتواصل لمعرفة أسباب تنامي ظاهرة التعاطف والتأييد لتنظيم داعش والعمل على الحد منها.

Abstract

The study conducted in 2018 with an aim to stand on Muslims' statuses in the west and challenges of Islam Phobia and terrorism, used historical descriptive approach, and the data collected from the sources and relevant references.

Results:

- Phenomenon of fear form Islam or Islam Phobia as considered as a pathological phenomenon only.
- Uptick of Islam spreading in Europe led to an apprehension of Arab countries of its spreading in expanded way between them.
- The Islam country Daesh and Al-Qaida are made for American Central Intelligence Agency and Anglo American intelligence.
- Daesh system is the most radical system and unto Al-Qaida system does not acknowledge with it.

Recommendations:

- Scientists of Islamic nation must extract the realistic thought of Jihad's meaning and stipulation of true Islamic country based on knowledge and modernization.
- To the civil community based institutions to unify and solidarism for combating ignorance and poverty, the foster environment of radical systems.
- For concerned and decision makers the continuous searching to know the reason of uptick phenomenon of sympathy and the favor for Daesh systems and working out to get rid of it.

Keywords: the West Islamic Phobia , Terrorism Challenges.

مقدمة:

انتقل الإسلام إلى أفريقية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم وصل بنوره إلى شواطئ الأطلنطي في بداية النصف الثاني من القرن الأول، ثم إلى شبه جزيرة إيبريا التى استقر فيها ومكث الإسلام بالأندلس حتى عام 1502م عندما أصدر كل من الملك فرونانده والملكة إيزابلا مرسوماً يعلن المسيحية الكاثوليكية الدين الوحيد في إيبريا، وبالإسلام مسارات أخرى إلى أوربا منها عبر البحر المتوسط إلى صقلية وسردينيا وتحول جزء من هذا البحر إلى بحيرة إسلامية. ووصل المسلمون إلى قبرص وكريت وشبه جزيرة البلقان ووسط أوروبا، وتمكن المسلمون من الوصول إلى بلاد بولندا ولتوانيا وشرق البحر الأسود وخاضوا ضدهم حروباً بحرية وبرية واستمر تقدم الإسلام في وسط أوربا فوصل إلى المجر وقارب فينا عاصمة النمسا.

وفي العصر الحديث وصل الإسلام إلى أوربا الغربية وإلى شمالها حيث شهدت أوربا أعداد من قوى المسلمين العامة في مختلف المجالات، كما شهدت دخول أعداد من أبناء أوربا في دين الإسلام طواعية ودخول عدد كبير أيضاً من المسلمين من شمال أفريقيا ووسطها لاجئين ومحاربين فظهر مصطلح (الإسلاموفوبيا والإرهاب) في نشأتها الأولى الأدبيات والكتابات الغربية تعود إلى عشرينيات القرن الماضي حيث استخدامه مستشرق بلجيكي هو هنري لامنسHenri Lammens ولد في سنة 1862م وتوفي في بيروت 1937م الذي عاش في لبنان لسنوات في سياق كتاب له عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما أن المصطلح ورد ذكره أيضاً في كتاب للرسام الإستشراقي الفرنسي إيثيان ديني بعنوان الشرق كما ينظر إليه من الغرب.

غير أن الأبعاد السياسية لمفهوم الإسلاموفوبيا بدأت تتبلور منذ أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الماضي إثر بروز ظاهرة ما يسمى بالصحوة الإسلامية أو صعود الإسلام السياسي في العالم العربي والإسلامي وخاصة بعد الثورة الإيرانية بزعامة الإمام الخميني عام (1979م) وتزايد الاهتمام الغربي بدراسة ظاهرة الصعود السياسي للتيارات الإسلامية والأصولية وتأثيرات ذلك على الغرب. فظاهرة الإسلاموفوبيا موقف سياسي عنصري له جذوره القائمة على المحددات الأنثروبولوجيّة للشعوب التي انتشر فيها الإسلام وهو ما سهل طرح الإسلام كعدو حضاري للغرب قبل سنوات من تفجيرات 11 سبتمبر وهو أيضاً الذي يبرز المخاوف الغربية من امتداد الإسلام وانتشاره في مجتمعاتها.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة البحث في التساؤلات التالية:

- أي الأسباب الرئيسة التي أدت إلى ظاهرة تصعيد ظاهرتي الإسلاموفوبيا والإرهاب؟
- كيف نقيم ظاهرة الإسلاموفوبيا تقييماً أيدولوجيا؟
- هل للقائمين بأمر الدين الإسلامي من المشائخ ومجالس الفتاوى دور في ظاهرتي الإسلاموفوبيا والإرهاب؟

أهداف البحث:

محاولة تشخيص ظاهرة الإسلاموفوبيا تشخيصاً دقيقاً ليتسنى وضع الحلول الناجعة التي تحول دون المزيد من العداء والصراع بين الإسلام والغرب وتوضيح صورة الإسلام والحقيقة التي حرمت المستشرقين ومن ورائهم ساسة الغرب على تشويهها لضمان عدم انتشار الإسلام في الغرب.

الوقوف على طبيعة المشكلة من تعاطف وتأييد للتنظيمات الإرهابية ووضع الحلول والآليات لدفق تنامي الظاهرة.

أهمية الدراسة:

تعود أهمية هذا الموضوع الذي جاء تحت عنوان أوضاع المسلمين في الغرب وتحديات الإسلاموفوبيا والإرهاب إلى التبصير في الجوانب المخفية من تاريخ ظاهرة الإسلاموفوبيا والإرهاب وتوضيح مفهومها وخطرهما للعام.

منهجية الدراسة:

استخدم الباحث في الدراسة المنهج التاريخي الوصفي ومنهج النصوص لقراءة أحداث تلك الفترة.

المحور الأول

تعريف الإسلام فوبيا

تاريخ ظهور مصطلح الإسلاموفوبيا:

ظهر مصطلح الإسلاموفوبيا منذ عقد، وأطلق استخدامه في (1996م) على يد من يطلقون على أنفسهم لجنة المسلمين البريطانين، والفوبيا من الإسلام، وتعني الكلمة أو التعبير الخوف الذي لا مبرر له في الإسلام ولكنه الآن يستخدم ليعني التعصب والتحيز ضد المسلين وهو ينضم لمجموعة تزيد عن أكثر من (5) نوع من الفوبيا أو المخاوف المرضية التي تغطي كل جوانب الحياة تقريباً، والإعلام الغربي مصاب بمرض نفسي اسمه مرض الرهاب من الإسلام، ويسمى هذا المرض فوبيا أي الذعر والهلع الشديد من عودة الإسلام إلى سابق عهده وقوته .([1])

الإسلاموفوبيا في اللغة:

لقد نال المصطلح درجة من القبول اللغوي والسياسي إلى حد قيام السكرتير العام للأمم المتحدة السابق كوفي عنان برئاسة مؤتمر بعنوان مواجهة الفوبيا من الإسلام في ديسمبر 2004م فضلاً عن إدانة قمة المجلس الأوربي

[1] - مصطفى بن تمسك، الإسلاموفوبيا مقارنة جيوسياسية بدون طبعه بدون تاريخ بدون مكان نشر، ص4.

للفوبيا من الإسلام في مايو 2002م أن رفض الغربيين عامة للإسلام وبالتالي للمسلمين، أخذ في السنوات الخمس الأخيرة منحى خطيراً إذ تحول إلى مرض يمكن تسميته بالرهاب أو فوبيا من الإسلام والمسلمين ([1]).

الإسلاموفوبيا في الإصطلاح:

أضحى استعمال المفهوم أدراجاً لغوياً وسياسياً منذ مؤتمر تحدي الإسلاموفوبيا الذي أشرفت عليه الأمم المتحدة سنة 2004م وقد جاء هذا في التقرير إعتراف دولي بالأسباب العميقة التي ولدت وأججت مشاعر الرهاب من الإسلام، وهي بالأساس أسباب سياسية متعلقة بالوضع الجيوسياسي العربي الذي تسبب فيه الاستعمار الغربي للمنطقة العربية وإحتلال فلسطين، وهو ما فاقم العداء بين الشرق والعرب، وخاصة تنامي مشاعر الاضطهاد والنكبة لدى العرب المسلمين ومحاولتهم استعادة حقوقهم وتقرير مصيرهم بأنفسهم، لكن الآلة الإعلامية والسياسة الغربية، لا تفتأ في تصويرهم على أنهم برابرة وأعداء الديمقراطية وتحركهم مشاعر الضغينة تجاه الغرب، ولذلك فهم خطر على الأمة الغربية ويجب استئصالة([2]).

الرهاب من الإسلام هو شكل من العزل الحضاري القائم على تصنيف الشعوب وفق انتماءاتهم العقائدية تختزل هذه الرؤية المسلمين في الانتماء العقائدي ولا تتميز بين تصورات الإسلام التي تختلف من مكان إلى آخر ومن فرد إلى آخر، بل تحجز الكل داخل تصور كلي ومطلق، الإسلام موسوم بالتحجر وغير قابل للتطور لأنه فوق التاريخ، بل قل تنتمي مفردات الإسلاموفوبيا (الرهاب من الإسلام) إلى سجل ثقافة الكراهية والتميز العنصري والعداء للسامية الذي كرسته الدراسات الاستشراقية عن الإسلام والمسلمين عبر تاريخ الصراع بين الإسلام والتقليد اليهودي – المسيحي.

الكراهية هي إحدى الإسلاموفوبيا مشتقات الأكزينوفوبيا Xenophobie (كره للأجانب أو المخاوف المرضية من الأجانب أو الكراهية العميقة للأجانب). وقد اكتسب هذا المصطلح معاني إضافية في أوربا في الثلاثين عاماً الماضية، وأصبح المقصود به في فرنسا وألمانيا مثلاً مثل المهاجرين الأجانب في المغرب والجزائر وتركيا ويوغسلافيا ([3]).

وعندما تشير لجان الاتحاد الأوربي إلى هذه العبارة فأنهم يقصدون الأجانب داخل الدول الأوربية وليس الأجانب في دول العالم عموماً أما مفردة (إسلاموفوبيا) فإنها تتضمن المخاوف بنوعيها، مخاوف من المسلمين أينما وجدوا في العالم، بحيث تمتد مشاعر الرهبة والعنف الرمزي إلى درجة التعميم الزائف الذي يتعامى عن رؤية

---

[1] - نعيم إبراهيم الطاهر، ظاهرة الإسلاموفوبيا ((الرهاب في الإسلام)، كتحدي سياسي للعالم الإسلامي، بحث مقدم إلى مؤتمر (الإسلام والتحديات المعاصرة) المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية – عمان، 2007م،ص34

[2] - المرجع نفسه، ص 36.

[3] - مصطفى كامل الأناضول كير الإسلاموفوبيا في عهد ترامب الأشد منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر، قوقل صحيفة رأي اليوم 2017/12/27م، ص 5.

التنوع بين المسلمين أنفسهم وبين مختلف التأويلات والمدارس الفقهية التي رسمت (بغير وعي منها) تعددية مثيرة داخل الإسلام ولا يمكن للغرب أن يتقاضى عنها بيد أن آلة الاستشراف الغربي لا تريد أن ترى هذا التنوع وهذه التعددية في إسلامات المسلمين فتحشرهم داخل وصفة عدائية شاملة ومطلقة الاسم، ما يعني نمواً غير مسبوق لمنسوب العدائيات اليوم كونياً ومساوقاً مع مخططات العولمة التوسعية([1]).

وفيما يشيطن الكثيرون اليمنيون من دعاة الكراهية بعد أن تم تطبع وابل أحاديث الكراهية التي يقصفون بها المسلمين وأصبحت ضوضاء بيضاء معتادة تُبث في البرامج الحوارية بالتلفزيون والإذاعة تمضي الدوائر اللبيرالية تستخدم الأضاليل على الإسلاموفوبيا وتنميها وتروجها بزعم أنها نقيض وجهات نظرهم الخاصة، ولنا في تعليقات هوارد دين الزعيم الديمقراطي الليبرالي على إقامة مسجد بالقرب من موقع هجمات 11 سبتمبر مثال على هذا الخطاب، قال وهو يتحدث إلى راديو WABC عن بناء مركز إسلامي على مقربة من موقع مركز التجارة العالمي سيكون إهانة حقيقية لمن فقدوا حياتهم في 2001/9/11م ثم مضى قائلاً، وبذات الأسلوب الذي يستخدمه الديمقراطيون للتحقيق من عنصريتهم (اعتقد أن إقامة المساجد في المدن الأمريكية أمر طيب([2])، لأن أعداد المسلمين الأمريكيين تتزايد واعتقد أن غالبيتهم معتدلون أمل أن يستطيعوا التأثير على المسلمين على أنحاء العالم، وذلك لأن الإسلام عاد إلى ما كان في القرن الثاني عشر في بلاد مثل أفغانستان وإيران حيث يقومون برجم الناس حتى الموت وهذا يمكن إصلاحه ليس بالضغط على المسلمين وإقصائهم، بل باحتضانهم والعمل على أن يصبحوا مثل غيرهم من الأمريكيين ومن الأمريكيين الذين تصادف أنهم مسلمون). ليس حديث هوارد دين بالمستغرب أو الجدي\، عليه فالكثيرون من مختلف المشارب الثقافية والسياسية في أمريكا يشاركون في الروايات المضللة الناجمة عن الإسلاموفوبيا تسود الإسلاموفوبيا جميع مستويات الحياة الأمريكية، من اليمين إلى اليسار ومن المتدينين الملحدين. يمكن القول أن بوش وداعمية أشخاص يسيطر عليهم هوس الإسلاموفوبيا ويعتقدون أن كل مسلم حقير أحمق إرهابي، ومن ناحية أخرى أن الديمقراطيين والليبراليين يعمدون سهولة نشر التنميقات التي تستدعي بعقلانية العرب والمسلمين وعداهم للحداثة من أجل تبرير دعمهم لهيمنة الولايات المتحدة الاقتصادية والسياسية وكما سنرى فإن مشاعر الإسلاموفوبيا جلية في قطاعات عديدة في المجتمع الأمريكي، تنفشها الوسائط الإعلامية ومراكز الأبحاث والخبراء والمتفقهون المزعومون والمخبرون المحليون والأكاديميون المارقون، واللوبيات وتنظيمات النشطاء لا يشعر فقط بالوابل اليومي لخطاب الكراهية وأفعال الكراهية من خلال التحليلات والصور المهينة المزدرية التي تحتاج شاشات التلفزيون والوسائط الإعلامية المطبوعة وحتى لوحات الإعلانات في الطرق السريعة، بل أنهم أيضاً يخضعون للرقابة الحكومية وتقتفى آثارهم وتحركاتهم في الشوارع والمساجد والجامعات، وترصد تجمعاتهم وأموالهم وتبرعاتهم الخيرية. علاوة على ذلك فإن حكومة الولايات المتحدة تتجسس عليهم، وتقمعهم وتقاضيهم

[1] - استيفين شهبي، الإسلاموفوبيا الحملة الأيدولوجية ضد المسلمين ط1، مكتب سطور، القاهرة 2012م، ص 37

[2] - المرجع نفسه، ص 38.

تجسد جميع مناقشات المجتمع المدني والإعلام عن الحرب وعن العراق وأفغانستان والإسلاموفوبيا. تشكل الإسلاموفوبيا بنية جميع النقاشات حول الحرب على الإرهاب تنزيل جميع النقاشات حول إصلاح العلاقات مع العالم الإسلامي نوازع هوس الإسلاموفوبيا تغلبت على جميع النقاشات حول فلسطين وأصبحت جميع النقاشات حول إيران وقدرتها النووية ودورها الإقليمي تعبيراً عن الإسلاموفوبيا، كما تشكل الكراهية الإستراتيجية المعتمدة للمسلمين والخوف منهم حدد جميع النقاشات حول الهيمنة على النفط والطاقة ([1]).

المحور الثاني

أسباب تزايد ظاهرة الإسلاموفوبيا

عادت ظاهرة الإسلاموفوبيا أو الخوف من الإسلام إلى الظهور بقوة في أعقاب ما عرف بثورات الربيع العربي لتسجل بذلك الوجه الثانية وكانت المرة الأولى للظاهرة جاءت عقب هجمات 11 سبتمبر 2001م التي تبناها تنظيم القاعدة وأحدثت تحولات قوية في العلاقات الدولية بين العرب والدول الإسلامية بشكل عام.

من أبرز تزايد هذه الظاهرة صدور عدة قرارات أوربية وأمريكية يظهر منهاه الخوف من التمدد الإسلامي في هذه الدول، أبرزها تأييد محكمة العدل الأوربية قوانين تمنع ارتداء الحجاب للمرأة داخل المؤسسات الخاصة لمنع إبراز أي رمز إسلامي بحجة الحفاظ على حياديه المؤسسة بالإضافة إلى قرار دونالد ترامب الرئيس الأمريكي بحظر دخول المسلمين إلى الولايات المتحدة من عدة دول إسلامية([2]).

وعلى الرغم من فشل التيار اليمني في اكتساح الانتخابات بعدة دول أوربية على مدار السنوات الماضية إلا أنه نجح في الحصول على مزيد من القاعدة بعدة برلمانات على مستوى القارة العجوز ما يعني ببساطة أن الأفكار المتطرفة بدأت تجد لها مكاناً في عقل رجل الشارع على مستوى أوربا تدريجياً([3]).

وأشار تقرير نشرته صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية إلى ظهور العديد من الجماعات المسيحية المتطرفة وانتشارها مؤخراً العديد من الدول الأوربية ومنها المانيا وفرنسا واليونان والمجر، تلك الجماعات التي كانت تتسم بالصوت المنخفض في وقت قريب لكنها فرضت نفسها بقوة ولافت تجاوباً من رجل الشارع عبر استخدام فراعة المهاجرين والتطرف الذي بات يهدد الأمن الأوربي من جهة نظرهم([4]).

كما أن التصريحات التي صدرت مؤخراً من بعض المسئولين الغربيين تؤكد تفاقم الظاهرة ومنها التصريحات التي أطلقها الرئيس الأمريكي التي قال فيها ((اعتقد أن الإسلام يكرهنا... هم يكرهوننا بشكل لا يصدق))

---

[1] - المرجع السابق، ص 40.

[2] - إستيفن شهي، الأسلاموفوبيا، الحملة الأيدولوجية ضد المسلمين، مرجع سابق، ص 42

[3] - مصطفى كامل الأناضول، كير الإسلاموفوبيا في عهد ترامب، مرجع سبق ذكره، ص 7

[4] - محمد الدرجلي، أسباب تزايد ظاهرة الإسلاموفوبيا في أوربا، صحيفة الوفد، مقال منشور بتاريخ 2017/3/26م، ص 13.

كما صعد رئيس الوزراء الهولندي مارك رونه انتقاداته للهولنديين المسلمين ممن يواجهون صعوبات بالاندماج ووصفهم بالغرباء الذين يعيشون بالقيم الهولندية مخبراً إياهم إما يكونا مع هولندا أو ضدها ([1]).

المحور الثالث

صعود تيارات الإسلام السياسي في المنطقة العربية

تنوعت أساليب تعاطي جماعة الإخوان المسلمين مع السلطة في أعقاب نجاحها في الوصول إليها عقب ثورات الربيع العربي ما بين التحالف والانسحاب للانفراد بالسّلطة وهو ما جعل لكل دولة إخواناً بمنهجية مختلفة. وتعتبر ثورات الربيع العربي بمثابة الانفراجه لطريقة جديدة لجماعة الإخوان فشكلت أحزاب قاعدة دول عربية منها مصر والمغرب وتونس وبدأوا في الظهور إلى العلن بالرغم من فشلهم في مصر إلا أنهم نجحوا في دول عربية أخرى منها تونس والمغرب ([2]).

ومن أكثر التي نجح فيها تنظيم الإخوان في الحكم المغرب، حيث وصل حزب (العدالة والتنمية) للحكم للمرة الأولى عام 2012م وشكل حكومته الجديدة برئاسة عبد الإله بنكيران، ثم تولى سعد الدين العثماني الذي شغل منصب الأمين العام للعدالة والتنمية بين عامي 2004- 2008م رئاسة الحكومة.

خوف اليهود من زيادة النفوذ الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية:

لا تزال هناك مخاوف يشعر بها اليهود في إسرائيل من زيادة النفوذ الإسلامي داخل دهاليز السياسة الأمريكية عقب تزايد أعداد التحول إلى الدين الإسلامي في الغرب، وذلك بالرغم من نشر صحيفة (هآرتس) الإسرائيلية تقريراً لها يشير إلى أن أقل من اللوبي اليهودي الصهيوني.

ويرجع هذا إلى تركيز الناخبين اليهود في عدد من المناطق الجغرافية المهمة من حيث تأثيرها الانتخابي لنيويورك وفلوريدا وكاليفورنيا، وإلى الانخراط الكبير لليهود في الحياة الأمريكية العامة، وإلى نسبة التبرعات التي يقدمونها للأحزاب خاصة الحزب الديمقراطي ([3]).

ويعزز من ذلك زيادة تعداد المسلمين المهاجرين وتزايد وعيهم السياسي وتزايد جماعات الضغط العربية في الكونغرس الأمريكي التي أصبح لها نشاطاً ملموساً داخل واشنطن.

---

[1] - محمد الدرجلي، أسباب تزايد ظاهرة الإسلاموفوبيا في أوربا وأمريكا، المرجع السابق، ص 13.

[2] - ياسين مهدي صالح، ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب (الإسلاموفوبيا) مواجهات فكرية) ص 13.

[3] - المرجع السابق، ص 14

الخوف من تزايد أعداد المسلمين في أوربا:

نشر معهد (بيو) الأمريكي للأبحاث تقريراً حول انتشار الإسلام ووجدوا أن هذا الدين هو الأسرع انتشاراً بين الأديان الأخرى، متوقعاً أن بحلول عام 2070م سيكون الدين أكثر إتباعاً في أوربا مقارنة بالأديان الأخرى.

وأشار التقرير أن من ضمن هذه الأسباب هو زيادة عدد المواليد بين المسلمين، مشيراً إلى أنه بحلول عام 2050م سيكون عدد مسيحي بريطانيا وفرنسا أقل 50% من السكان وكذلك أستراليا ويتوقع أن يشكل المسلمون 10% من سكان أوربا في نفس العام ويتوقع أن يصبح شخص واحد بين كل 50 شخصاً مسلماً في الولايات المتحدة.

وكذلك يرى اليمين المتطرف أن هذه الأرقام تجعل من السهل عليه استخدامها وكان الإسلام في منافسة مع المسيحية، وكان المسلمين يزاحمون المسيحين في أوطانهم ويكادون أن يرثوها دون جهد بذلوه.

ازدياد الهجمات الإرهابية على الدول الأوربية:

شهدت القارة العجوز سلسلة من الهجمات الإرهابية منذ تنظيم داعش الإرهابي في سوريا والعراق. وبأدوات مختلفة من خلال الدهس والطعن بالسكين أو الفأس، يأتي ذلك بعد الحادث الإرهابي الذي شهدته المنطقة، وكانت أفظع الحوادث التي شهدتها أوربا هو حادث فرنسا في يوليو (2016م) حيث اقتحم منفذها تجمع المواطنين، كان يقود شاحنة بمدينة نيس في فرنسا، مما أدى إلى مقتل نحو 85 شخصاً وإصابة العشرات بحسب ما جاء في بيان لوزارة الداخلية. وكان المتشددين يختلفون بالعيد الوطني الفرنسي.

خوف المجتمع الغربي من تقييد حريتهم إزاء التقاليد الإسلامية:

يُعد الجهل بالإسلام وتعاليمه وأخلاقياته السبب الرئيس للخوف منه فمن الطبيعي أن الإنسان يخاف مما يجهله ([1]).

فعلى سبيل المثال حرية المقامرة، وتناول الكحول، والاشتغال بالربا، وممارسة البغاء والعلاقات الجنسية المثلية والسماح بالعلاقات الجنسية خارج إطار الزوجية من الأسباب الرئيسة التي جعلتهم يخافون الإسلام لأنهم يعتبرون الإسلام وتعاليمه تهديداً لهذه السلوكيات التي يعتبرونها من أسباب الحرية التي يدعون أنهم من أرسو قواعدها.

ويتضح مما سبق أن الخوف من الإسلام أمر واقع في المجتمع الغربي من وجهة نظرهم التي دائماً وأبداً على مدى التاريخ تأبى إلا أن تضع الإسلام والمسلمين في قفص الاتهام وزوراً.

[1] - محمد الدرجلي، مصدر سبق ذكره، ص3

المحور الرابع

سياسية الإسلاموفوبيا

لقد استحكم مرض الإسلاموفوبيا بالسياسة الغربية تجاه الإسلام، والساسة الغربيون يعترفون مع شيء من الدهشة والحيرة أنه فعلاً هناك ما يخيف في الإسلام كدين كاسح له قابلية التنامي والانتشار بسرعة مذهلة وهذا ما أثبته بعض الخبراء الإستراتيجيين الغربيين أنفسهم عندما اعترفوا بأن الإسلام هو أكثر الأديان نمواً وأقواها تأثيراً في النفوس، وأوفرها أتباعاً جُدد، والسياسة الغربية كانعكاس لهذا الخوف المرضي مع ضعف المسلمين الظاهر عكس هذا الخوف الشديد في خططها القديمة والحديثة، وهذا ما أكده كامبل بانرمان قرار هذا ا لموقف باعتبار العالم الإسلامي خطر على أوربا([1]).

حيث قال وزير خارجية بريطانيا في افتتاح المؤتمر: (... أن الحضارة الأوربية مهددة بالانحلال والفناء والواجب يقضي علينا أن نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا).

وقد خرج المؤتمر في بعض توصياته على اعتبار المسلمين هم أعظم خطر يهدد أوربا ولذا عملوا على منع إيجاد أي اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط، لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربا ثم قرروا انشاء قومية غربية معادية للعرب والمسلمين، شرقي قناة السويس ليبقى العرب متفرقين، وهكذا قامت بريطانيا بإنشاء دولة يهودية في فلسطين ([2]).

فكان هدفهم من إنشاء الدولة اليهودية إبقاء العرب ضعفاء حيث يعتقدون أن العرب هم مفتاح الأمة الإسلامية، ويقول مورو: (لقد ثبت تاريخياً أن قوة العرب تعني قوة الإسلام، فليدمروا العرب بتدمير الإسلام).

إن الغرب قد شخص بدراساته مصادر قوة المسلمين وعمل على إضعافها في كل سياساته، فعمل على أبعاد القادة المسلمين الأقوياء عن استلام الحكم في دول الإسلام، حتى لا ينهضوا بالإسلام، هذا ما عبر عنه خير تعبير المستشرق البريطاني مونت جمري في التايمز اللندنية عام 1968م. حيث قال: (إذا وجد القائد المناسب الذي تكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العام مرة أخرى).

عموماً فإن وحدة الفكر الأوربي والغربي عموماً تجاه الحرب ضد المسلمين لا تحتاج إلى كثرة اجتهادات وشهادات والعملة الإستراتيجي المجمعون عليه يلخصه قول المبشر لورانس براون: (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن أصبحوا لعنة على العالم وخطراً وأمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، إذا بقوا متفرقين

---

[1] - محمد شحدة مصطفى الوحوش، حلول الأرض والشعب، مكتبة الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1992م، ص 46.

[2] - المرجع السابق، ص48

فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير يجب أن يبقوا متفرجين ليبقوا يلاقوه وتأثير) وهذا ما نحن عليه اليوم، كأننا ننفذ إستراتيجية الغرب هذه حرفياً)([1])

خاتمة:

إن تنظيم (داعش) الآن يعتبر من أشرس التنظيمات تطرفاً في العالم وحتى تنظيم القاعدة لا يعترف به، ويعتبره خارجاً متطرفاً.

الدولة الإسلامية (داعش) والقاعدة وجميع الكيانات تتبع فكرة الجهاد الإسلامي هي من صنع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية والمخابرات الأنجلو أمريكية المتعاونة كالبريطانية والموساد الإسرائيلي.

تسبب تنظيم (داعش) في استعداء الغرب وأمريكا ودول المنطقة، وعمل على معاداتها للإسلام والمسلمين مما أربك الساحة العربية والدولية، وأدى لإعداد تحضيرات غير واضحة المعالم دولياً لمواجهة هذا التمدد الأفقي للإرهاب الذي يقف الجميع عاجزين عن تفسيره.

تعتبر ظاهرة الخوف من الإسلام أو الإسلاموفوبيا ظاهرة مرضية فقط لأن الغرب لم يتعرف على الدين الإسلامي الحنيف وأن الإسلام دين تسامح ودين سلام عكس ما يظنه الغرب.

تنامي انتشار الإسلام في أوربا أدى إلى مخاوف الدول الغربية في انتشاره بصورة كبيرة بينهم مما دعاهم إلى إنشاء حركات تنظيمات إرهابية لبث كراهية المسلمين وتشويه صورة الإسلام.

[1] - محمد بهجة الأثري، تقديم محب الدين الخطيب، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، المطبقة السلطية ومكتبها مصر، ص 365.

قائمة المصادر:

- استيفن شهبي، الإسلاموفوبيا، الحملة الأيدلوجية ضد المسلمين، ط1، مكتب سطور، القاهرة 2012م.
- محمد الدرجلي أسباب تزايد ظاهرة الإسلاموفوبيا في أوربا وأمريكا صحيفة الوفد، مقال منشور بتاريخ 2017/3/26م.
- محمد الدرجلي، أسباب تزايد ظاهرة الإسلاموفوبيا في أوربا وأمريكا، صحيفة الوفد، مقال منشور بتاريخ 2017/3/26م.
- محمد بهجة الأثري، تقديم محب الدعي الخطيب، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، المطبعة السلفية، ب ت، مصر.
- محمد شحدة مصطفى الوحوش، حلول الأرض والشعب، مكتبة الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1992م.
- مصطفى بن تمسك، الإسلاموفوبيا مقارنة جيوسياسية، بدون، طبعة بدون تاريخ.
- مصطفى كامل الأناضول، كير الإسلاموفوبيا في عهد ترامب الأشد منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر، صحيفة رأي اليوم، 2017/12/27م.
- نعيم إبراهيم الطاهر، ظاهرة الإسلاموفوبيا (الرهاب في الإسلام كتحدي سياسي للعالم الإسلامي) بحث مقدم إلى مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة، المنعقد بكلية أصول الدين الجامعة الإسلامية، عمان 2007م.
- ياسين مهدي صالح، ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب (الإسلاموفوبيا) مواجها فكرياً، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، بدون مكان.

المراجع الأجنبية:

- Organization of Islamic Cooperation.
- Adam Lowther. Beverley, Terrorism’s unanswered questions (USA: Greenwood publishing group 2009)
- Kushner Harvevey, Encyclopedia of Terrorism (New York: Columbia University press 2006)

منعطف الثّورة التونسية: من ثورة شعب إلى عطالة نسق

Turning point of the Tunisian revolution : From a peopple's revolution to system inactivity.

د. المنجي حامد[1] ***Dr. Hamed Mongi***

جامعة قفصة / المعهد العالي للدّراسات التطبيقية في الانسانيات بقفصة

University of Gafsa / ISEAHG.

ملخص:

يمثّل المقال دراسة حالة المجتمع التونسي وثورته التي بدأت حبلى بأحلام شباب بات قريبا من الفقر والبطالة ومثقلا بواقع غياب التّنمية والعدالة الاجتماعية. ومثّل حدث انتحار الشّاب البوعزيزي في ولاية سيدي بوزيد بداية تجدّد أمل الحياة لشريحة اجتماعيّة هامّة من المجتمع. وسرعان ما أصبح حدثا مُدولنا وله تأثيرا كبيرا في أغلب الدّول خاصّة بسبب ظهور احتجاجات في مجتمعات مجاورة. وتحوّل إلى حدث يُبطن ما لا يُظهر، فزادت حوادث الإرهاب منها "حادثة باردو" و"حادثة بنقردان" و"أحداث جبل الشّعانبي". وأصبح الحراك الاجتماعي شاملا وفي تحالف صريح بين بعض الأحزاب الدّينية، واللّيبرالية المتوحّشة. وأمام الحاجة إلى العيش ولو بالحد الأدنى للمجتمع التّونسي وتزايد عدد الأحزاب في مشهد يعبّر عن "فائض قيمة سياسي" وتخمة أيديولوجيّة متقنّعة بقناع المسار الدّيمقراطي، تحوّلت "ثورة الحرّية والكرامة" إلى مشروع أعرج. وبدأ وهج الثّورة ينقص تدريجيّا، وتراجعت الثّروة، وتهالك الاقتصاد الوطني، وكثر التردّد في أخذ القرار ممّا رجّح التوقّعات بفشل "مجتمع الثّورة" في تأمين الثّروة واحتمال تحوّل حلم الشّباب بالتّشغيل والتّنمية إلى مجرّد خيال.

الكلمات المفتاحية: النّخبة، المجتمع، الشّباب، الثّورة، الثّروة.

Abstract

The Tunisian revolution started pregnant with the dreams of a people who are close to poverty and unemployment and burdened by the absence of development and social justice. Considered the suicide of the young Bouazizi in the gouvernement of Sidi Bouzid – in the center-west of Tunisia the begeninning of a renewal of hope in life. For

[1] ha.mongi2017@gmail.com

an important social segment of society is long overdue. It quickly by became an internationalized event and had a great impact on most of society.

Thus, if the Tunisian revolution knew great social, regional and international dreams and expectations. But she soon knew a turning point that did not count her youth, which raised the ceiling of his dreams.it has turned into a curse practiced on its dreamy youth and the absence of wealth to afflict the revolution.

Keywords: Elite, the society, young, development, revolution, and wealth.

مقدّمة:

بدأت أحداث 2010 وما تداول على تسميتها "الثّورة التونسيّة" مطالبة "بالشّغل والحرّية والكرامة الوطنيّة" وبعد سنوات قليلة من عمرها تحوّلت إلى مشهد مسرحيّ يقوم على التّضليل للمجتمع التّونسي (Georges Balandier.2006) ([1]). ومن خصائصها أنّها قامت على عنصر المباغتة وعدم التوقّع (raymond boudon,1977) ما جعلها محطّ أنظار كلّ العالم، الذي عبّر أغلبه عن إعجابه بثورة كانت الأقلّ في خسائرها مقارنة بتجارب من التّاريخ وحاملة أحلام مجتمعها. وعبّر الشّباب التّونسي على مدى عشريّة كاملة (2010-2020) عن تطلّعاته وظهرت فيها تشعّبات اليومي المثقل بالبطالة وغابت الثّروة التي طالبت بها الثّورة وسط صراع نخبة لم تنجح في تحقيق التّنمية.

وعبّرت هذه العشريّة عن عمق أزمة التّحوّلات الاجتماعيّة في مستوى البنية والوظيفة وقدرة المجتمع على إعادة قراءة ذاته في سياق التحوّلات الإقليميّة والدّوليّة المفتوحة على كلّ الاحتمالات. واتّجه المجتمع التّونسي إلى هندسة جديدة وانتشار أفقي في الفضاء العام عبر أطر وبنى سوسيو-سياسيّة فاقت في عددها كلّ التوقّعات ([2]) ساهم فيها أغلب مكوّنات المجتمع (زهير بن جنّات. 2016.22). وظهرت بالتّوازي مع ذلك تمثّلات جديدة للحرّية والدّيمقراطيّة والعدالة الاجتماعيّة معبّرة على مشروع مجتمعي جديد بطعم مختلف يقوم على الإفراط في التنوّع (من فعل التحجّب في الوسط الجامعي إلى فعل التظاهر عاريات الجسد).

فالأرضية النظرية هو "مسرحة الثورة" (Erving Goffman. 1959.1973.1996) وتحويلها إلى قصّة بلا عنوان، وارتداد أحداثها وتدحرج مسارها في اتجاه معاكس لحركة التّاريخ، أو ما يسمّيه ابن خلدون "بالتاريخ الدّائري" (l'histoire cyclique) (علي الوردي. 1994) وعودة المجتمع التّونسي إلى واقع ظنّ شبابه أنّه ذهب بدون رجعة. وبالتّالي بدت لنا إشكالية الورقة مراوحة بين معرفة الأسباب الكامنة وراء الارتداد، والفاعل الرّئيسي فيه، ثم معرفة أهمّ النّتائج النّاجمة عنه خلال فترة تجاوزت فيها التّجربة العشرة سنوات.

وسنعمد في هذا السّياق إلى تمشّي منهجي يبدأ أوّلا بحدث انتحار البوعزيزي والامتداد الرّمزي لهذا الفعل واستتباعاته داخل البلاد وخارجها. ثمّ نرصد ونحلّل ثانيا ملامح منعرجات "الثّورة" سواء في الكمّ الحزبي أو في برامج هذه الأحزاب التي حاد أغلبها عن روح الثّورة وتطلّعات شبابها. لنصل في الأخير إلى الوقوف على مطبّات أحداث 2010 بعد عشريّة كاملة من عناء المجتمع التّونسي وتمرين في الدّيمقراطيّة نتج عنه تزايد نسب الفقر

[1] - مجتمع المسرح هو مفهوم سوسيولوجي في الأصل ويقصد به بالونديي مجتمع تتكّري يخفي ما لا يظهر ويحوّل المعيش اليومي إلى مشهديّة تحدّد معالمها لعبة السّلطة. كما يؤكد إيرفنغ غوفمان في كتاباته أنّ الحياة اليومية تشبه المسرح وتقوم على الأقنعة لنجاح مهمّة التّمثيل في أدوار محدّدة في المجتمع وتحقيق التفاعل.

[2] - وصل عدد الأحزاب 244 حزب في سنة 2020 كما وصل عدد الجمعيّات المدنيّة إلى 23676 جمعيّة في نفس العام بعدما كان المجتمع التونسي لا يعرف التعدّدية على مدى تاريخه السّياسي والاجتماعي.

والبطالة والتّهميش وبالتالي الفشل في تحقيق العبور إلى تونس كما حلم بها شرائحها الفقيرة وشبابها العاطل عن الشّغل.

أولا: فعل انتحار البوعزيزي وأبعاده العامّة.

سرعان ما تحوّل الشّاب البوعزيزي المنتحر في مدينة سيدي بوزيد إلى أسطورة (Mohamed Kerrou,2018,32)، ورغم دور الإعلام إلا أنّ نتائج انتحاره بيّنت أنّه حدث فاقد لعقل استراتيجي ومهندس مدبّر. فلم يكن البوعزيزي يقصد قلب نظام حكم واندلاع ثورة في البلاد، ولكن بمجرّد وقوع ذلك ظهرت اللّحظة السوسيولوجية التي سمحت بفتح أفق دخول المجتمع التونسي في مرحلة جديدة حبلى بالتحدّيات، وأنّ حدث الانتحار كان بمثابة دخول المجتمع في بحر لا نعلم أطرافه طال امتداده أغلب البلدان العربية.

امتداد الثّورة التّونسية في العالم العربي:

تقتضي الضّرورة المنهجيّة تعريفا لمصطلح الثّورة والوقوف على أدبياتها وأهمّ لحظاتها التّاريخية ليكون نصّ الورقة في سياقه الأكاديمي. فرغم تعدّد القراءات والتّعريفات إلا أنّها تلتقي جميعها في "المجال الإجرائي والواقعي بعيدا عن التّسامي النّظري والانكفاء على الذّات" (المولدي قسومي. 2020. 7). فالثّورة ليست مفهوم طوباوي بل هي ما يطال تركيبة المجتمع تماما مثل الثّورات التي وقعت في المجتمع الغربي الصّناعي وما نتج عنها سياسيّا في الثورة الفرنسيّة والثورة البلشفيّة وغيرهما. فهو حدث مصحوب بهيجان متحرّك وله عمقه التاريخي الذي يجمع بين الاحتجاج الشّامل في المجتمع (الشّمول)، وأثره على النّظام العام (قلب النّظام)، ووجود أساس معيّن في شكل أهداف عامّة (شغل، حرّية، كرامة وطنيّة) ثمّ أخيرا وجود اعتراف أغلبي يجمع على وجاهة الحدث (الوصمة التي لحقت بقوى "الثّورة المضادّة"). ولعلّ هذا ما دفع عياض بن عاشور بتسميتها "ثورة بلا ظفرين" (عياض بن عاشور.71.2020.)، رفعا للحرج عن الباحثين والالتباس المعرفي الذي قد ينجم على التّسمية. ولعلّ ذلك هو الذي جعل ثورة المجتمع التّونسي غير معزولة، لا على خصوصيّة الواقع، ولا على مسارات الشّعوب المجاورة له جغرافيا. ويجد ذلك مسوّغاته خاصّة عندما نعرف أنّ الفضاء الافتراضي لا يمكن أن يُفهم إلا بوصفه بناء لزاوية على مستقبل الشّعوب ودمج لمجتمعات محلّية كانت مغلقة ضمن تصوّر قرية معولمة ومفتوحة على كلّ العالم. فلا يمكن أن نفهم ما وقع في تونس بعيدا على أزمة "مجتمع الحوض المنجمي" في حركة 2008 في الجنوب الغربي التّونسي وولوج الاعلام وتغطيته لهذه الحركة رغم الحصار الذي فرضته السّلطة على هذا المجتمع المحلي في تلك الانتفاضة. ولا يمكن أن نفصل ما وقع في تونس عن أحداث المجتمع اللّيبي والتوتّر السّياسي في مصر واليمن وسوريا والسّودان وغيرها من بلدان العالم العربي. وهذا لوحده يدلّ على أنّ العالم أصبح بلا حدود، وأنّ الجغرافيا

يحدّدها أثر الفعل الاجتماعي وترسم معالمها شبكة الانترنات التي تسافر وتقطع المسافات لوصف ونشر وتغطية احتجاج أو حركة اجتماعيّة أو اعتصام.

لقد عبّرت الثّورة التونسيّة على نفسها بوصفها نموذج غضب مجتمعي وقوّة تغيير لم تكبّد البلاد خسائر كبيرة، وقد لخّصت شعارات شبابها نبل مجتمعي دفع البعض بتسميتها "ثورة الياسمين" ضدّ من يسمّيهم ماركس "بالبروليتاريا الفكرية". فالمشروع المجتمعي الذي عبّرت عنه شريحة هامّة من المجتمع التّونسي ولخّصه شعار "شغل – حرّية – كرامة وطنية" كان عابرا للحدود (محمد سويلمي.2021. 562)، وليس مجرّد مشروع نخبة تحاول أن تعيد إنتاج نفسها وتستعيد بريقها الذي أصبح في الميزان.

لقد حقّقت الثّورة التونسية نجاحا كبيرا في بدايتها وكان لها تأثير عابر للجغرافيا بفعل حماسة شبابها، ولها صورة ناصعة وتجربة نموذجيّة للعبور لا تخضع للمؤسّسات التّقليدية أو التنظّم في أطر حزبيّة قديمة (منير السعيداني.2012. 81). فرغم الفوارق النّوعية وتباعد الشّعوب في مستوى أنماط عيشها ونظمها، إلا أنّ رياح الثّورة التونسية طالت أغلب المجتمعات. فقد نتج عن حرب أكتوبر 1973 بين سوريا ومصر ارتفاع أسعار النّفط، وانقسم المجتمع العربي إلى مجتمعات غنيّة بثرواتها النّفطية وأخرى فقيرة باقتصادها الهشّ. وظهرت ملامح التّمايز داخل هذه المجتمعات رغم وحدة اللّغة (اللّغة العربيّة) والعقيدة (الدّين الإسلامي). وظهرت نتيجة ذلك مفارقات وجود أفقر المجتمعات وأغناها ([1]) ضمن نفس الجغرافيا. ومثلما عرف المجتمع اليمني والصّومالي عدّة مظاهر دالّة على الفقر عرفت قطر والكويت والإمارات ([2]) مظاهر دالّة على الرّفاه.

ولعلّ هذا التّباعد في أنماط العيش وحجم الثّروة بين هذه المجتمعات المذكورة، قد غيّر الطّباع الودودة القائمة على رابطتي اللّغة والدّين، فرغم عوامل التّقارب الكثيرة إلا أنّ الواقع يظهر من أهمّ معوّقات هذا التّقارب.

وفي الوقت الذي تأسّس فيه مجلس التّعاون العربي واتّحاد المغرب العربي (1989) وشعر الغرب بالمخاطر ضدّ مصالحه، أصبحت هيمنته هي المحدّد لكتابة التّاريخ العربي المعاصر خاصّة عندما تبيّن أنّ "ثورات الرّبيع العربي" وصل أثرها إلى بلاد الشّام وبدأت معالم الثّورة التونسيّة تظهر لوحة سوداء (أحمد عاطف.2017. 373) أحرقها زيف تمنّيات الشّباب المحفوفة بالعاطفة وغلب على العصر "الجهل المقدّس" (أوليفييه روا.2012). وبالتّالي مثّلت الثّورة التّونسيّة تماما مثل "نخلة البيت التي ترمي ثمارها في الشّارع"، لا هي خارج حديقة المنزل وعدم

[1] - يذكر أنّ البلدان المصنّفة نامية تحتوي على مفارقات كبيرة فتوجد بها البلدان الأشدّ فقرا والأكثر ثروة في الوقت نفسه. فبلدان الخليج تستهلك الصّناعات الغربيّة، وهي التي تشغّل في أكبر المصانع في أوروبا المتخصّصة في صناعة السّيارات وصناعة الأسلحة، في المقابل توجد بعض الدّول العربيّة أغلب سكّانها تحت خط الفقر.

[2] - يشار هنا أنّ أغني الأسر في العالم تعيش بين قطر والكويت والإمارات، وتتصدّر قطر نسبة 14% من الأسر الغنيّة عالميّا وتحتلّ سويسرا المرتبة الثّانية فيما تحتل كل من الكويت ثم الإمارات المراتب الثّالثة والرّابعة.

تعليق آمال كبيرة على ما يمكن أن توفّره من فائدة للأسرة، ولا هي على ملكها بما يجعل أفرادها يجنون ثمارها لوحدهم.

الثّورة والمنعطف (le détour) ([1]):

لقد عمّ أثر الإرهاب أغلب الدّول المغاربيّة وانتشرت شظاياه وظهرت موسيقى الثّورة التونسية، فتنامت ظاهرة محاولة الانتحار، وظهرت أشكال الاحتجاج عبر خياطة الفم أو إضراب الجوع الوحشي. وتقلّص نسق الإنتاج في القطاع العام والخاص (زيادة في عدد الإضرابات) وتراجع الاقتصاد (ارتفاع الأسعار وتراجع الدينار التونسي)، وظهرت الثّورة ممسكة بالتّاريخ عبر مصطلحات حقوق الإنسان، والحرّية، والعدالة الاجتماعيّة، والدّيمقراطيّة (فاتن السّبعي. 2017. 297). ولمّا كانت مشهديّة عالية القيمة استغل أفراد "النّظام البائد" حدث الاحتفال بالثّورة وتسلّل أغلبهم إلى غرفة القيادة، وبات مولود الثّورة أشبه بجنس هجين له جسد مشوّه، وبقيت مطالب الشّباب والطّبقة الوسطى بعيدة عن التحقّق رغم الدّور الذي كان لهما مع الاتّحاد العام التّونسي للشّغل في الشّوارع منذ الأيّام الأولى في الحوض المنجمي عام 2008 وصولا إلى حادثة انتحار الشّاب البوعزيزي في مدينة سيدي بوزيد عام 2011.

ولعلّ الارتباك الذّهني لنخب ما بعد 2011 وعجزها على استثمار اللّحظة قد عبّر عن حالة عطب ثقافي أسّس لما يسمّى "الحياة العارية" (جورجيو أغامبين.1997) ([2]) ينتعش فيها الإرهاب بعنوان العودة إلى السّلف الصّالح. فتداعيات ما يحدث كانت معبّرة عن غرائز الشّباب وسطوة أشكال احتجاجيّة استعراضية هجينة وقعت مثلا في القيروان وفي بنقردان ورُفعت فيها الرّايات السّوداء بدل إعلاء راية البلاد ([3]). وكثرت في الوقت نفسه دكاكين السّياسة وهرطقة شيوخ الدّين (Mohamed Kerrou.2018.127) وأصبحت الضّرورة ملحّة لتعديل الأمزجة وإخضاع الحسّ للعقل ومقاومة الذين يحتلّون المساجد ويفتكّون صفات العارفين بالدّين. كما أصبحت "فعالية العمل" محلّ شكّ وريبة لأنّ السّلطة في أيادي الشّيوخ الذين يتغذّون من أعمار الشّباب وتمنعهم من فرص "العيش الكريم".

وأصبحت أحداث 2011 تسفيها لثورة أرادوها عاجزة عن تغيير النّمط المجتمعي السّائد وبات التّغيير مفتوحا على احتمالات مدمّرة لكلّ أمل في بعث قيم انسانيّة عالميّة، وأصبحت قيم الحرّية والكرامة والمقدّس والحب والعدالة مدعاة لمراجعة جذريّة. وزاد ذلك من بعثرة الرّصيد المجتمعي فباتت الأسرة مشتّتة (حقوق المرأة وحقوق

---

[1] - "المنعطف" هو في الأصل عنوان كتاب لجورج بالونديي قمنا باستثماره في المنعرج الذي وقع للثورة.

[2] - يفرّق الفيلسوف الايطالي في إصداره بين أن نعيش وأن نحيا، أي بين مجرّد الحياة وبين رغد العيش رغم أنّه فرق سائل (قياسا على مفهوم الحداثة السائلة) ومرن وغير مستقرّ.

[3] - نعود في هذا الإطار إلى ما تعرف بحادثة منّوبة وتجرّأ طالب سلفي برفع الرّاية السّلفيّة سوداء اللّون مكان الرّاية الرّسمية وصدّه من طرف طالبة ومنعه من إنزال العلم التونسي على جامعة منّوبة.

الطفل وحقوق المسنّين)، والقبيلة متداعية، والحزب متشرذما، والمدرسة واهنة. وتعزّز الشّعور بالقلق لدى شريحة هامّة من الشّباب وتضاعف خوف المجتمع من المتوقّع (المنجي الزّيدي. 2021)، ما زاد من أثر اللّوحة السّوداء التي كتمت أصوات الشّباب الحالم بالحرّية. وتراجع مستوى التوقّعات من الثورة عبر شعارات "الإسلام هو الحل" وأصبح "التكبير" (الله أكبر) مؤشّرا لحادثة قتل جندي أو اغتيال قيادي سياسي أو بداية لعمليّة إرهابية، وامتلأت المساجد بالمصلّين وعمّت الفوضى وانتشر الفساد والرّشوة.

ترويكا: المال، والسّياسة، والدّين ... ومجتمع الأجنحة المتكسّرة (الهادي التيمومي. 2013. 105) ([1]).

قامت العولمة، وهي المثقلة بالدّسائس، بضمّ المحلّي والخصوصي تحت ستارها، وأصبح لا يُنظر للعالم إلا بالقدر الذي تسمح به الدّول المهيمنة ومقدار الضّوء الذي تسلّطه على المحلّي. وظهر المجتمع التونسي مدخلا لهذا النّهج، فانتشرت ظاهرة الإثراء السّريع عبر تقاطع السّياسة بالرّياضة أو السّياسة بالتّجارة. وظهرت في الأثناء مشاريع ضخمة وتشبيك كبير تتقاطع فيه عناوين السّياسة والثروة المالية المتخفّية بغطاء عقائدي ديني بشروطها الخاصّة، بما لا يترك فرصة للخصوصي. وأسّس ذلك لانتشار الأصوليّة الدّينيّة بتلويناتها المختلفة (جمعيّات وأحزاب) ونتائجها الثّقيلة (تسفير الشّباب إلى البلدان التي تعيش حروبا، هجرة غير نظاميّة، انتشار ظواهر العنف وتجارة المخدّرات).

وعلى أرضيّة المخاتلة ظهرت علاقة خصوصيّة بين العولمة والأصوليّة الدّينية (التّنظيم العالمي للإخوان المسلمين) والقافلة اللّيبراليّة. وتجسّدت عند فاعلين يتميّزون بعطب حسّي إزاء "الصّالح العام" ويسعون باسم الدّين والانتماء القبلي ولمناطقي والجهوي والحزبي إلى تنمية ثقافة العنف ونشر "الفردانيّة السّلبيّة". وتوازيا مع ذلك باتت تجربة الحكم السّائد في تونس بعد 2010 تشبه "ماكدونالّية عالميّة" تبدأ فيها حكومة وسرعان ما تنته ليُفسح المجال لتجربة أخرى تظهر بديلة داعمة "لمجتمع الرّفاه" ومعبّرة عن وصول نوع من "السّيولة الفكرية" (Liquidité intellectuelle) إلى أدنى مستوياتها عبر صعود مهرّجين جدد على خشبة المسرح ما أنتج على المدى الطّويل (10 سنوات) حالة "عصيان عفوي" (Désobéissance spontanée) خاصّ عند شريحة الشّباب في ثلاث مناسبات مع بعض الفوارق البسيطة (2014 في الانتخابات الرئاسية والتشريعية، و2018 في الانتخابات البلدية، و 2019 في الرئاسية والتشريعية)(عن الهيئة العليا المستقلّة للانتخابات).

وتحوّل الحديث عن الثّورة التّونسيّة خطاب يقلّل من شأنها، والحديث على حقوق المرأة عنفا يُمارس عليها، مع مزيد تفكّك الأسرة والأطر الاجتماعيّة الحاضنة لاستمراريّة المجتمع وأمن أفراده. وأصبحت الطّفولة محلّ

[1] - يقصد صاحب الكتاب بالأجنحة المتكسّرة أن المجتمع يعيش الحدّ الأدنى وهو أشبه بالمجتمع الأعرج الذي لا يقدر على الحركة والبناء واستغلال الفرص التي منحها له التاريخ.

مزايدة سياسيّة ([1]) وحولها تجاذبات من اليمين واليسار (أحداث المدرسة القرآنية في سيدي بوزيد في جانفي 2019). وظهرت المفارقة بوضوح مخلّة بالنّظام العام وعبّرت عن خلل في الجسد الاجتماعي أثّر في مزاج الجميع. وأصبح التّفكير في طريقة تعفي بعض الفاعلين من الرّسوب وتضمن نجاحهم في نيل منصب ما في المحطّة الانتخابيّة القادمة أحد الأولويّات غير المعلنة. وكان ذلك معبّرا على تطلّعات أغلب النّخبة، وهو ما يفسّر الخطاب الذي يتوجّه للمرأة بدعوى الحرص على حقوقها دون الكشف على اعتبارها خزّانا انتخابيّا هامّا وتذرّر لا متناهي للأحزاب إلى جمعيّات "بثوب مدني" يظهر عليه زخرف الحداثة وورع التديّن ([2]) ولكن تحت مسمّيات عديدة تشغل الشّباب الحالم بالشّغل عن تحقيق أهدافه.

إنّ طموح المجتمع التونسي كان إلى الدّيمقراطيات الصّلبة المتشبّعة بطاقة الحياة والتي تنمو في أدقّ تفاصيل اليومي ويكون واقع النّاس تربة خصبة لنموّها. فلا جباية تتغذّى من لحم الفقراء، ولا سوق موازية سوداء يقع فيها "سلعنة" كلّ شيء وينتصب فيها المارقون، ولا مساومة بين "تجّار الدّين" وتجّار السّياسة تسمح لأصحاب المال بالعودة إلى نقطة الصّفر بدعوى "تدحرج الدّينار التّونسي" وضعف الاقتصاد الوطني.

ثانيا: الانتقال إلى الدّيمقراطيّة وآثار رسوب المجتمع.

لا تعتبر ديمقراطيّة "العشريّة السّوداء" في "تونس الخضراء" حكم يفيد وضوح الرّؤية والشّفافيّة في التّسيير، بقدر ما هي الحكم المركّب المعقّد الذي يقوم على أكثر من مشروع وفاعل ويجيب عن أكثر من سؤال ويشترك في بناء صرحه أكثر من مهندس. فهي ليست آلية انتقال بسيطة من نموذج "المجتمع البارد" ([3]) إلى نموذج المجتمع المتحرّك، الفاعل. ودليل ذلك أنّه لم يمنع تهافت "النّخب العتيقة"، وتحرّك الأقلام الخافتة، والكتابة حول الثّورة، وتمويه الشّباب المالك الحقيقي لها من ظهور أفراد لم تكن معروفة في تونس. فقد توافدت نخب كانت مهاجرة ([4]) وتصدّرت الصفّ الأول في المشهد العام وأظهرت ورعا دينيّا، وعقيدة وطنية لم يعهدها المجتمع التّونسي من قبل. وأمام فشل النّخبة بعد 2010 على صقل مواهبها وفق ما تقتضيه اللّحظة التّاريخيّة، تنامت ظاهرة الإسراف في الكلام والتنافس على الظّهور في وسائل الاعلام. وغير بعيد عن ذلك انتعش "مجتمع الاحتقار Axel) honneth.2006) وعمّت ظواهر الخوف، والتّعويل على الدّولة، والتّواكل، وهو ما سمح ضمنيّا بانسداد أفق التّنمية لمجتمع سُدّت فيه قنوات الحراك المهني. فبعنوان حقّ المرأة في المشاركة في البناء يُفرض قانون المناصفة بعيدا

[1] - يُذكر أنّ حدث استقبال رئيس الدولة أطفالا فاقدي السّند وأولياؤهم إرهابيون كانوا قد توفوا في ليبيا أو في سوريا أثار غضب قسما هاما من المجتمع التونسي في تساؤل حول استقباله لهؤلاء الأطفال وعدم استقباله لأبناء شهداء الحرس الرّئاسي الذين توفوا في عملية إرهابية في تونس.

[2] - نشر مركز الإعلام والتكوين والدراسات والتوثيق حول الجمعيّات في نوفمبر 2020 إحصائية لعدد الجمعيّات النّاشطة في تونس والتي وصلت إلى 23676 جمعيّة منها 2643 جمعيّة خيريّة.

[3] - مصطلح استعمله كلود لوفيستروس ويقصد به تلك المجتمعات التي تعيش نسق بطيء في تطورها وهي أساسا المجتمعات النّامية.

[4] - نذكر في هذا السّياق على سبيل الحصر بعض النّخب السّياسية مثل راشد الغنوشي والمنصف المرزوقي والصّافي سعيد.

عن مقياس الكفاءة، وتظهر مشاركة المرأة منّة من مهندسي المشهد "وصدقة لضعاف الحال"، وبعنوان التّشبيك الاجتماعي يتمّ توظيف أرباح الدولة وصناعة أسماء وأعلام.

فالدّيمقراطية أظهرتها ثورة 2011 درسا عصيّا على الفهم، وتدرّبا متواصلا على التّعايش، وتسويات لم نعهد مثلها من قبل. فأغلب الذين ظهروا على الرّكح هم أصلا من الذين يرتدون جلابيب من سبقهم في الحكم ويتشبّهون بخصاله ويفتخرون بشطحاته (رامي التّلغ. سبتمبر 2018) ويقيسون على "زمنه الجميل" ويظهرون أنّهم "فخّار زمان" ([1]) في تنكّر واضح لفضل الشّباب على منجزاته وعجزهم على تحقيق مطالبه من خلال العودة إلى أسلافهم.

ثورة الحرّية والكرامة، وغوغائية المشروع:

لقد تمّ في تونس السّطو على أحلام أغلب شرائح المجتمع من جزء هام من النّخبة وكبار تجّارها منذ عام 2011 وأُسدل السّتار على الدّولة التي باتت ضعيفة. وظهرت الحاجة -مثلما أرادوها- إلى "دولة زعيم" تُطلّ على مجتمعنا من زمن غابر. وظهر من عاصر بورقيبة وتقلّد مسؤوليّات عديدة في عهده بمظهر "عودة البورقيبية" كنسق ثقافي بما يخفي الحياد عن المشروع الحقيقي. ورغم غياب النّتوءات الطّائفيّة والعرقيّة والدّينيّة التي قد تضرب المجتمع التّونسي وتطال بنيته التي تميّزت بالوسطيّة والاعتدال في تاريخه البعيد، فإنّ ذلك لم يمنع من تسرّب ظاهرة الانفلات خاصّة في مستوى الممارسة الدّينيّة والغلوّ في التديّن بما يوحي ببداية موسم البحث عن موقع جديد ضمن المشهد العام. فضلا على تنامي منسوب الاحتجاجات والمطلبيّة الضّيقة. وقد أدّى ذلك إلى تشوّهات في المناخ العام، وظهور ما يسمّى "بالعفو التّشريعي العام". وتكلّس عقل النّخبة وتعطّب قدراتها العقليّة أمام كثافة التّاريخ (جورج بالونديي.2004. 33)، وتزايد تآكل المجتمع من الدّاخل. وفي الأثناء تناسلت الأطر السّياسيّة من أحزاب وجمعيّات تحت مسمّيات عديدة وظهرت كأنّها مزرعة لتفريخ مؤسّسات حزبيّة ضيّقة الأفق وعناوينها ملء فراغ (نداء تونس، التحالف من أجل تونس، حزب تونس الكرامة، حزب الوفاء لتونس، تونس الحديثة، شباب تونس الغد، صوت التونسي، حركة تونس المستقبل، آفاق تونس...). وتزايد في الأثناء عدد الشّيوخ والفقهاء والعارفين بالدّين وصنّاع الخرافة في المقابر ومقرّات الأولياء الصّالحين ([2]). وظهرت الشّعوذة الدّينية لمزيد تسفيه الثّورة وصار ختان النّساء ([3]) مقابل المساواة في الميراث، والتّربية الجنسيّة للأطفال، والدّفاع عن حرّية الإفطار في رمضان، ونبش المقابر، هي المحدّدات الأساسيّة.

---

[1] - أصل الكلمة للباجي قايد السبسي رئيس الجمهورية بين 2014-2018. وكانت بمناسبة هفوة ارتكبها كاد ان يسقط خلالها على الأرض إثر مؤتمر صحفي عندما كان رئيسا وقالها في سياق أنّ البورقيبيين القدامى لا كبوات لهم.

[2] - انتشار ظاهرة حفر القبور ونبش الأماكن الأثريّة بحثا عن الكنوز والتعدّي على مقامات الأولياء الصّالحين عبر حرق الأضرحة بدعوى أنّها شرك بالله.

[3] - هذا ما طالب به الدّاعية المصري وجدي غنيم عند زيارته لتونس، ودعّمه الحبيب اللّوز القيادي المعروف في حركة النّهضة، وأثار جدلا كبيرا في الوسط السّياسي وحتى تحت قبّة المجلس التّأسيسي.

أزمة السّلطة وأسوأ التوقّعات في تونس بعد 2011:

لقد منح الشّباب التّونسي لنخبه فرصة لتحقيق التّغيير منذ حركة 2008 في الحوض المنجمي وما بعدها، ولكن بعد سنوات ظهر مشروع "تحصين الثّورة" أشبه بجدار عازل للمجتمع، فأصبحت الثورة في الخلف والشّباب في عزلة مضاعفة دون أي وخز انساني لصنّاع المشهد الجديد.

وأكثر من ذلك غلب على النّخبة واقع الرّفاه وعالم الرّموز والتّشريفات والتّحفيزات في الظّاهر، والتّسويات والتّنازلات في الباطن. وازداد الاجتثاث الثّقافي (استهداف المعالم الثّقافية والحضاريّة) والتفسّخ القيمي وأثر "الحرب النّاعمة" تأثيرا، وأصبح قسم من المشهد العام يُدار في المساجد وفي الفضاء العام. كما أصبحت الدّولة تئنّ من فرط ضعف "ورثتها غير اللائقين" بلغة بورديو في مستوى تعاطيهم مع الإدارة، وباتت طيشا يقوم على ترويض الكهنة دون أن يعود ذلك بالنّفع على الشّباب الذي وجد نفسه أمام "ثورة بلا ثروة"(المنجي حامد.2019)، ومصيدة لكفاءات عبر استنزاف طُهريّة البعض، واستثمار جهود البعض الآخر في معارك براغماتيّة ضيّقة ([1]). وفي الأثناء انهمك كلّ من تسلّل إلى حقل السّياسة ومجالسة فريقها (Carol Alsharabati, Rabih El chaier. 4/2015.71-82) طمعا في المشاركة في صناعة بما يجعله أحد صنّاعه ومهندسا لأحداثه حتى لو كان ذلك تفويتا للفرصة على مجتمعه لتقبّل مذاق ثورته وطعم مساراتها. وقد ظلّت الإدارة التّونسيّة أحد محميّات ديمقراطيّة عرجاء لا تساعد على الحراك المهني وإطار للرّوتين والموت البطيء بدون أفق واضح. واكتشف المجتمع التّونسي في مرحلة متقدّمة نسقا سريعا لنهاية الزّعامات لأنّها تُصنع لمهام محدّدة، رغم أنّ أثر مخالبها يبقى في الاقتصاد والثّقافة والاجتماع.

في تداعي "شباب الثورة" وتراجع الثّروة:

لقد بيّنت عشريّة الثّورة غيابا لِحَمَلَة مشروع مجتمعيّ حقيقي، وأنّ بداياتها مع من يُعرفون بالفاعلين العاديين (les gens ordinaires) ليس مثل منعرجاتها الخطيرة والحدّ من عزائم شبابها عبر مقصورة النّخبة الغارقة في غربتها (William Genieys. 2016) والتي حادت عن مسارها العادي في مرحلة لاحقة. وفي سياق الشّعور بالخيبة لشريحة هامّة من المجتمع التّونسي، ركض قسم كبير منه إلى المحاضن الأولى والأطر التّأسيسية تحت مسمّى "السّلف الصّالح" أو "عودة البورقيبيّة". وهي محاضن تعرّضت إلى تشويه فأصبح ظاهرها ديني حضاري وباطنها ضمّ الحشود والزّج بهم في مؤسسات حزبية قاتلة (Gérald Bronner.2009.2016.2020.28). كما صُنع خيال التعبئة على عجل في زمن المضايق الصّعبة والرّغبة في حيازة رأسمال بشري وضمّ فاعلين كانوا أساسيين في "الزّمن البائد" ([2]). وسرعان ما كشف على قصور في الرّؤية وظهر في شكل مخابر لصناعة "المهدي

[1] - نذكر هنا ما لحق بالأكاديمي والمفكّر يوسف الصدّيق وفقيد الجامعة التونسيّة محمد الطّالبي من أشكال تكفير وهتك الأعراض إزاء مواقفهم التي أثارت جدلا كبيرا في المشهد السّياسي.

[2] - نذكر في هذا الإطار المستشار الاوّل لحركة النّهضة الذي كان أحد أعمدة النّظام البائد.

المنتظر" الذي يحدث بدعوى التّخفيف من صراع الأجنحة في السّلطة صلب الدّولة حفاضا على قوّتها ولكنّه يخفي الذّعر من مهندسو الثّورة وأرباب المشروع في العالم المتقدّم، وسقف المطالب التي رفعها الشباب وما ينتظره من نخبته.

إنّ استراتيجيّات قتل الأمل في نفوس الشّباب عبر تفشّي الفساد والزّيادة في نسب الفقر عند هذه الشّريحة العمريّة الاجتماعيّة وتعقيد واقع النّاس عبر تراجع أداء الإدارة وضعف الخدمات وتآكل مرافق الدّولة وتدمير أحلام المجتمعات المحلّية المهمّشة والتي لم تطالها مشاريع التّنمية هو الذي زاد من غياب تدخّل الدولة وارتفاع درجة العنف. وما أفادتنا به القراءة النّقدية "للثورة التونسيّة" هو التّهديد الذي أصبحت تمثّله لمكاسب تاريخ تونس الاجتماعي ([1]) رغم تعفّن أنظمته (دولة-الزّعيم مع الحبيب بورقيبة، ودولة-الأسرة الطّرابلسية مع زين العابدين بن علي). ولعلّ ما دفعنا إلى العودة إلى تجارب الحكم وسياسات التّنمية وخيارات التّعليم وغيره، هو ما يخفيه المجتمع التّونسي من عجز على كتابة تاريخه و"نزع طابع القداسة" (جورج بالونديي.2004. 119) عن هويّة دولة ارتبطت بتاريخ شخص. فليس ما ذهب إليه جايمس غليك في كتابه "نظرية الفوضى وعلم اللّامتوقع" (جايمس غليك. 2008) إلا تحليلا لمسارات الانفلات الذي يعيشه العالم المعاصر والذي بدأ منذ أن عجزت العلوم عن التنبّؤ بمستقبل المجتمعات ومعرفة مجريات الوقائع خارج رؤية نقديّة للتّاريخ ومسار الأحداث وخطّها التطوّري.

وليس ازدحام الشّوارع الكبرى والسّاحات الرّمزية في تونس بالمحتجّين والمعتصمين والنّشطاء والمعبّرين عن مستقبل أفضل وتنوّع الفضاء العام وقيمة المشهديّة بعد 2011، إلا تعبيرا عن امتلاء المقاهي بالعاطلين عن الشّغل الذين تحاصرهم رائحة احتراق مستقبل غير قابل للتكهّن، متناقلين وهج السّيجارة المشتعلة بين أصابعهم ومتحمّلين عبء الزّمن الذي يمرّ دون فرص المشاركة في بناء صرح تونس عبر الشّغل.

وهي كلّها تعبيرات على مخاض ثورة تداخل فيها مفهوم الانتفاضة بالانقلاب (سالم لبيض.2013. 43) فظهرت معطّلة عن دخول مجتمعها إلى التّاريخ لأنّها لم تُسمِع شبابها حشرجة الشّهقة الأخيرة لنظام تمرّدوا ضدّه وبدأ يستعيد عافيته، ولا يزال جداره مرتفعا يتّكئ عليه أغلب الكهنة والحالمين "بالأب الرّوحي (ماريو بوزو. 2018).

فقد تزامن ضرب عزائم الشّباب في تونس مع خروج أغلب "نفايات النّظام السّابق" وعرض مسرحيّات الصّور المكثّفة بعد أن خُيّل للمجتمع أنّه قام بثورة ورُفع كتم الأنفاس عن الفقراء وسجناء الرّأي.

وكانت علاقة الدّيمقراطية النّاشئة بالمال السّياسي من أكبر الأوبئة التي ضربت الشّرائح الفقيرة في المجتمع. وتحوّل نتيجة لذلك المجتمع إلى وكرا لصناعة الفساد، وتعزّز الاقتصاد الموازي، ودور السّوق السّوداء،

[1] - المخاطر التي تهدّد حقوق المرأة وما جاءت به مجلّة الأحوال الشّخصيّة من خلال أخونة المجتمع ومحاولات الإسلام السّياسي السّطو على ثقافة المجتمع.

والاستثمار في الطّفولة، وتوظيف المرأة في المعارك الانتخابية (Fethi Benslama, Farhad Khosrokhavar.2017.85)، والتّجارة بالدّين. وهي كلّها أعراض لأمراض عصر الثّورات تسلّلت لمحفل الثّورة وباتت تتغذّى من جسد المجتمع التونسي باسم "الجمهورية الثّانية".

وظهرت مظاهر البهلوانيات لدى جمع هام من الجماعات السّلفيّة وتحرّك الجرح الممتدّ في عمق التّاريخ وخشي الجميع من خطر تكرّر المأساة وعودة الفاعلين الذين يعملون من وراء السّتار. ولمّحت الدولة - في اللّحظة الفارقة- بتخلّيها عن وعودها في حماية الطّبقات المفقّرة عبر التّعليم الإجباري وشبه المجاني والتّشغيل الآلي والمجزي. وسرعان ما أظهرت وحشيتها عبر تعليب ثقافة المجتمع واستعمالها في دعاية مزيّفة ونجاحات واهية في مظهر لسلطة فولكلورية وحمل النّاس على الاعتقاد اللامتناهي في الثّورة ومهندسيها بوصفها طريق الرّفاه الاجتماعي والاقتصادي. وأصبحت الثّورة تُدار بأمزجة قابلة للتبخّر الآني لأنّ مشهديتها تُصنع صناعة، وتعزّز واقع الدّيمقراطيّة الشّكليّة السّالبة للحرّيات والتي فتحت الباب لسطوة الأصوليّة الدّينية عبر التخلّص التّدريجي من "الأنقياء الخلّص (Pierre Bourdieu et Jean Claude. 1964) ([1])" من التحكّم في إدارة دواليب الدّولة.

وقد كان للغرب المتقدّم دور كبير في التحكّم في بهاء الثّورة وبريقها وتحوّل حلم الدّيمقراطية إلى أرض يباب وعنصر أساسي لإيقاع "السّوق الموازية". وهو انفتاح الاقتصاد على السّياسة وحقّ رجال المال والأعمال من الاستثمار في سوق السّياسة وحيازة قدر هام من السّلطة عبر قدرتهم على صناعة السّاسة على المقاس. وظهر تقارب مفضوح بيّن أن لا فائدة لثقل الحزب وأهمّية خزّانه الانتخابي بلا أموال، وأدركت عديد الأحزاب أن لا حاجة إلى أفكار بقدر حاجتهم إلى أصوات ولا إلى كفاءات مدبّرة بقدر حاجتها إلى عدد تتخطّى به عتبة الانتخابات ويضمن لها دعما ماديّا وأصبحت استراتيجية الوفرة (سالم لبيض.2013. 102) هاجس الجميع.

ولعلّ ما ذهب إليه آلان توران حول مفهوم جديد للدّيمقراطية ليس إلّا وعيا منه بهيمنة أصحاب النّفوذ وسطوة السّلطة الرّابعة. فالأحزاب أغلبها ليست مطاحن للأفكار والمشاريع والايدولوجيا، ومعاركها الفعليّة تدار خلف المشهد بحسب قيمة المدفوعات لا بحسب بريق نخبها وكوادرها ومفكّريها ومشاريعهم الاجتماعيّة. ويدخل كل ذلك في مساحيق التّجربة الدّيمقراطيّة وما حملته من تنكّر.

وظهرت بالتالي ضرورة البحث عن مدى ضمانات التّنمية بدون مال وأعمال؟ وهل يمكن أن تتقدّم المجتمعات وهي تغرق في الفقر بعنوان الدّيمقراطية النّوعية؟ أليس "المال قوّام الأعمال"؟ هل يمكن اعتبار أنّ المأزق هو في مسالك المال ومجاريه الوعرة وآليات منحه للفاعل السّياسي الذي يظهر بمظهر الورع والمتديّن؟ ولكن ما هو دور الدّين في كلّ هذا؟ هل علينا الاستثمار بالدّين أم الاستثمار في الدّين لتنمية الجانب الرّوحي عند المجتمع؟ هل أنّ سياسة أهل "البرّ والإحسان" والاقتراض من المؤسّسات الدّولية ونجاح الدّولة "في توزيع الفقر"

[1] - هو مفهوم استعمله بيار بورديو كثيرا في سياق الردّ على ما يسميهم هو نفسه "بالورثة غير اللائقين" في تسيير دواليب الدولة ومصالح المجتمع.

والتّشجيع على الكسل عبر ثقافة المساعدات والتبرّعات عن طريق الجمعيات الخيرية هو أصل الدّاء بما يمنع من وجود ثقافة الاعتماد على الذّات وخلق فرص عمل وإنتاج متميّز مستقلّ وواعد؟

أسئلة عديدة تعترضنا وتكشف لنا بعض الثّنايا الموجبة في مسار التّحليل.

تعتبر الإرادة الحرّة لدى الشّعوب المتقدّمة أحد رساميلها الهامّة التي تجعل الفرد يُعمل عقله ويتحمّل تبعات خياراته ويحتكم إلى حساباته التي تكون دالّة على مسؤوليّة عالية في إطار الضّوابط العامّة. فالإرادة هي ممارسة مصدرها العقل وروحها الثّقافة. فهي القدرة على اندماج الضّمير والعقل وتحويل المعطى الفكري والثّقافي إلى طاقة انتاج وأسلوب في العيش. ولعلّ منظومة حقوق الإنسان التي عبّرت على درجة عالية من الرّقي في العالم المتقدّم، تحوّلت إلى أداة تمزيق كيانات سياديّة وتسرّبت إلى فضاءات محلّية وطالت عمق الشّعوب فأنهكت الأطر الاجتماعيّة المؤسّسة للمجتمع الأصل وضربت الأسرة في العمق بما لا ينسجم و"الحقيبة الثّقافية" في المجتمعات النّامية. فبدت خدعة في أغلب الأمثلة تشوّه نواة المجتمع وتجعله وليمة للرّأسماليّة المتوحّشة تحت غطاء عولمة القيم الإنسانيّة.

إنّ السّؤال الذي يمكن طرحه في هذا السّياق، هو لماذا كلّما تعالت الأصوات دعما لحقوق الإنسان، زاد منسوب التعدّي على هذه المنظومة؟ وما هو الوجه الخفيّ وراء التعدّي على الإنسانيّة في الوقت الذي تظهر فيه حقوق الإنسان بمثابة الأكسيجين الذي يتنفّسه طلاّب الحرّية في كلّ العالم؟

لقد التحقت مجتمعات "الرّبيع العربي" بظاهرة الغباء المعمّم والمعلّب تحت راية القيم الإنسانية وأصبحت حقوق الإنسان حقوقا لأنظمة بعينها وقوى محدّدة ومدعاة للدّهشة عبر تسلّل الأجنبي إلى بنية المجتمعات العربية التّقليدية وفعله فيها بما يضمن استمرار تخلّفها. وتأكّد أنّ الدّيمقراطيّة هي السّلاح لحماية الضّعفاء من الأقوياء لكنّها تقوم باعتقال نفسها عندما تقف إلى جانب الرّأسمال الأجنبي والمحلّي أو عندما يتبنّاها الفاعل الأكثر قوّة وتأثيرا وهيمنة. فهناك شرخ هام بين القويّ والأقلّ قوّة تدعمه في ذلك موجة السّخط، وهو ما جعل المشهد هجينا تتمّ هندسته في ورشات السّياسة. لقد باتت الدّيمقراطية تخفي قبحها ومطالبها الأرستقراطيّة بالعدالة، وبات رجل السّياسة يتخفى بالدّين والورع دليلا على ثقل واقعه وتعفّنه لأنّه يتغذّى من جهل المجتمع وسذاجة معتقداتهم .(Gérald Bronner 2009.2016.2020. 49)التي نادرا ما تخضع لسلطة العقل وغالبا ما يغريها المشهد العام.

وهذا ما جعل المشهد في المجتمع التونسي مزيجا بين رأسماليّة فردانيّة وعدالة رثّة جائعة، الأمر نفسه الذي أدّى إلى قتل الحرّية ودفن المساواة ومزيد تفقير المجتمع الذي قام بالثورة، فزادت ثروة الأغنياء وفقر الفقراء. وكما تشتغل مخابر البحث على تطوير تقنيات العلم والتكنولوجيا الحديثة لخدمة العقل العلمي، يشتغل السّياسيون على تسويق أفضل منتوجاتهم في المنابر الإعلاميّة وتصنع من جمهور الشّاشة كتلة راعية لنظام الحكم الأبويّ.

فهناك من يتلوّن ويتكيّف بحسب الذّوق العام، ويخرج كأنّه "صانع التّغيير" الذي تعلّق عليه المجتمعات آمالا كبيرة. وهناك من يمارس الضّغط ويتخفى وراء مشاريعه ومصانعه وثروته وأهمّية اليد العاملة التي يتكفّل

بتشغيلها ويناور في دواليب الدّولة، ويوظّف هذه الرّساميل بحسب مقتضيات اللّعبة. أمّا الآخر فيتسلّل إلى القبيلة والجهة والمنطقة التي ينتمي إليها ويعمل على التعبئة والتّحشيد وتوظيفها وممارسة الضّغط على حلفائه كما خصومه وفق خزّانه البشري، والأخير يستثمر في الرّياضة ويحقق مرابيح كبيرة ويوظّفها في السّياسة والدّولة والانتخابات وكل إناء بما فيه يرشح.

ثالوث: "شغل، حرّية، كرامة وطنية"... وفقه الحداثة (احمد كرومي. 11/2000. 53-65):

تعتبر القيادة الحكيمة هي عنوان الدّستور المحصّن والذي يعتبر الجدار المرتفع الذي يصدّ إغواء المختصّين في قصف السّلطة وتلقّف الثّغرات والتسلّل من خلالها لضرب المشروع من الدّاخل. فهو وسيلة استطلاع لإنارة الطّريق وآلية ضبط. والسّيادة فيه ليست زركشة لفظيّة، بل هي ممارسة صعبة، وعودة لمجريات الفعل كلّما اقتضى الأمر لحفظه والبناء عليه وإلا ضاعت السّيادة وضاع المجتمع معها. وهو مفهوم يدخل في مسلكيات اليومي ويطال تدقيقات المجتمع وتفاصيل معاشه والحصول على قوّته. ومعناها العام هي حفظ النّظام وهي قريبة من معنى السّداد والصّواب من القول والعمل. وفي علاقة بمفهوم السّيادة تحوّل "مجلس نوّاب الشّعب" إلى مكان إنفاق لزمن الثّورة في مماحكات مؤقّتة يحزم خلال نهايتها كلّ نائب مستنداته ضدّ الآخر، ويستعدّ لمعركة في ملفّات أخرى ومع طرف آخر، ثمّ يخرج من جديد عبر الفجوات التي أعدّها بنفسه.

بين رسوب مجتمع الثورة واستثماره في المستقبل:

إنّ أغلب المجتمعات المحلّية عليلة وأفكارها مشوّهة، وهي تمثّل مخبرا لتجارب الأحزاب دون ظهور تجارب قادرة على تثوير فكرها واستغلال إرثها الدّستوري أو الحقوقي بما يتلاءم وتطلّعات شبابها. لقد غرق المجتمع التونسي في الحروب الفكرية الطّاحنة والمبدّدة لكلّ طاقاته وفي صراعات واهية وتصريف طاقة بدون أهداف واضحة المعالم. وظهرت كاريزما مشعّة تتكوّن من "زعامات وهمية" ومقاولة جديدة في مجال السّياسة وكانت سببا في شعور قسم هام من الشّباب بالهوان في أغلب جهاته، وظهور نوع من السّخط عند المعطّلين عن الشّغل. وقد تحوّلت في الأثناء زعامات الثّورة إلى "نخبة جانحة" (Pierre las coumes et Carla Nagels. 2018) و"مجموعة من المحسنين" يتصدّقون بموارد الدّولة وتبيّن أنّها زعامات في الأصل لا تملك رؤية لتثوير الاقتصاد التّونسي أو الزّيادة في الطّاقة التّشغيليّة أو التّخفيض في درجة الفقر، غير الاقتراض والاقتراب من المؤسّسات الماليّة الكبرى. وتعزّز ذلك عندما ظهرت دول الخليج بمثابة أسمدة مضادّة لتنمية المجتمعات العربيةّ عبر مواردها البترولية وثرواتها الباطنيّة الهامّة لكنّها مثّلت سوقا استهلاكيّة لما تنتجه الدول المتقدّمة من تكنولوجيا عالية القيمة دون فوائد نوعيّة على الدّول النّامية.

ونتيجة استدامة الضّباب السّياسي الكثيف الذي حال دون ظهور عقيدة العمل وثقافة الإنتاج بوصفها "ثروة الأمم ([1])، تعطّلت الهبّة الاجتماعيّة ما زاد من مظاهر الغبن ومرارة الشّعور بالعطالة التي توحي بعطب نسقي وعلّة في رؤية النّخبة لمستقبل البلاد والقدرة على توظيف أفراد المجتمع (آدام سميث. 1776) ([2]).

لقد عجزت الدولة في هذه الفترة عن معالجة بعض القضايا المجتمعيّة ذات الصّلة بالتّنمية، وهو ما أعطى فرصة للمترصّدين ورفع درجة التوتّر لدى النّخبة -التي كانت تمثّل "زبدة المجتمع"(La crème de la société) إلى أقصاها عبر تنامي ظواهر العنف الرّمزي والمادّي المتبادل. وقد كان الاتّحاد العام التّونسي للشّغل أحد الفاعليين الأساسيّين في المشهد وكانت له في ذلك مشروعيّة تاريخيّة عبر انخراط قياداته في الحركة الوطنيّة والمساهمة في دحر الاستعمار وبعث أسس ما تُعرف بالدّولة الوطنية. فقد كان ممثّلا للسّياسة التّعاضدية في نهاية الستّينات، ومتحالفا مع حكومة الهادي نويرة ممثّل التوجّه الرّأسمالي النّاشئ. وسرعان ما نشأ صراع مع شريكه نتيجة ما كان يعانيه رأس السّلطة من مؤشّرات التّداعي وتواصلت علاقة التوتّر مع السّلطة إلى حدود 2010 عندما ظهرت ملامح تحوّل كبير اقتصادي واجتماعي وسياسي، وهو ما سمح بعودة الاتحاد العام التونسي للشغل إلى مجال الفعل والتأثير.

فرغم ما يظهر من أنّ منظّمة حشّاد فقدت بعض بريقها بعد ثورة 2011 إلا أنّ الأمر يخفي عكس ذلك. فقد عرفت عودة إلى دورها الأساسي من خلال الحفاظ على رأسمالها التاريخي ودورها الوطني. فقد يظهر في المشهد العام مظاهر تزييف وعي العمّال والابتعاد عن عقيدة العمل بعنوان حق النّقابات المهنيّة في أخذ القرار الذي تراه صائبا وأنّ منظّمة حشّاد لم تعمل على مقاومة حالات الانفلات على مستوى القطاعات والنّقابات التي التفت بزيّ ثوري وأصبحت تبتزّ وتساوم في السّلطة وهي شريكها التاريخي. وقد زاد شعور المستثمر بالقلق وأصبح أرباب العمل أشدّ حرصا على الانضباط الذي يؤدّي إلى تجاوز حالة الانكماش واعتبار يوم إضراب يساوي يوم إرهاب، وهو إرهاب اقتصادي يكلّف الاقتصاد التونسي الكثير من الخسائر.

ولكنّها رغم كل ذلك لعبت المنظّمة الشّغيلة دورا مركزيا في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع، ومثّلت نقطة الضّوء التي يتطلّع منها المجتمع التونسي إلى المستقبل نظرا لدورها المركزي في تعديل السّياسات.

ثالثا: تحليل أهمّ النّتائج:

أثبتت القراءات التي وجّهت للتّاريخ أنّ عطب الثّورات وانحراف خطّها عن المبادئ العامّة نتيجة نكوص نخبتها هو الذي يجعل المجتمع يحيد عن أهدافه الأصليّة. وقد أصبحت النّخب تخاف الغرق في الصّراع مع قوى المقاومة للتّغيير (Résistance au changement). وأصبح غياب استراتيجيّة واضحة في الصحة والتعليم

[1] - وهو إصدار تزامن مع بداية ظهور الثورة الصناعية وبداية تطور الفكر الاقتصادي رفض فيه صاحبه وجوب تدخل الدولة وتحدّث فيه بإطناب عن قوانين العرض والطلب والقيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية.

[2] - يقول تعالى "وبئر معطّلة لا يستقي منها ولا ينتفع بمائها".

والاقتصاد والاجتماع عنوان فشل على صناعة البديل. ولعلّ تحدّي تثوير قواعد التّعاون الدّاخلي في المجتمع التونسي من أهمّ المعوّقات التي تواجه المرحلة. فرغم العمق المجتمعي باعتباره قوّة دفع لمجابهة الصّعاب وطبيعة الهويّة المفتوحة والوسطيّة غير معطوبة التي تقدّم نفسها كأنّها عامل تزكية يبقى منسوب التحدّيات مرتفع. ولعلّ ما يُعرف "بمشاعيّة المعرفة" (المنجي حامد. آذار 2006. 66) لدى النّخبة الحاملة للمشروع المجتمعي الجديد هو الذي ينال من أحلام "الأفراد العاديين" الذين كانوا سببا في انطلاق شرارة الثورة.

لقد أمسك أقوياء المال في التجربة التونسية بمواقع القرار، فاخترق أغلبهم مجالات السّلطة السّياسية وقاموا بحيازة كل شيء دون أن يكلّفهم ذلك عناء الدّفع أو مشقّة الجهد وتمّ حصر كلّ ما يقع ومركزته لمزيد التحكّم. وانتشرت بالتزامن مع ذلك مفارقات تدلّ على تحوّلات مجتمعيّة عجيبة، فظهرت الحوكمة محل السّياسة، والخبير بمظهر المثقّف، والمهنة مكان الوظيفة، والمواطن برتبة شريك وظهرت نتاجا لذلك ما يُعرف "بالحداثة السّائلة" أو "الثّقافة المعلّبة".

فما حصل هو أشبه بحصاد الهشيم (الهادي التيمومي. 2013. 90)، فهو تنميط العمل وتعليب السّياسة، وأصبح مفهوم اللّعبة مفهوما دارجا وهو في صيغة المفرد بما يدلّ على الاحتكار بآليات غير معلنة ومتحكّم فيها مركزيّا وافتراضيا. فهي تشبيك للعلاقات والمصالح عبر عالم افتراضي متحكّم في حدوده، ويدمج الدّولة ويحوّلها من متحكّم إلى مجرّد لاعب مع بقيّة اللّاعبين (L'Etat gestionnaire). فالكلّ أصبح مجنّدا لخدمة السّوق وترضيته، وليست الحرب على الإرهاب إلا مظهر من مظاهر لعبة السّوق.

الخاتمة:

مثّلت الثورة التونسية أحد أهمّ الفرص لاندماج الشّباب المعزول عبر توفّر فرص التّشغيل والتنمية وتحقيق حدّ أدنى من شروط العيش الكريم. وعرفت شرخا هامّا كانت سببه النّخبة الممثّلة شكلا للمشروع المجتمعي الجديد، ما زاد من نسب البطالة والتهميش والفقر. وهو ما أطال من عمر الأزمة الاقتصادية وسبّب في ظهور مزاج مجتمعي جديد يمقت الثّورة ووهم الرّفاه الاجتماعي الموعود. وحوّل هذا المزاج الثّورة التّونسية إلى مدخل لمزيد الفتك بالشّرائح الاجتماعيّة الفقيرة وتعزيز الفوارق الاجتماعية على قاعدة الغني يزيد في ثروته والفقير يزيد في فقره. وتجسّد هذا الشّرخ جليّا بين شريحة الشّباب الذي عبّر على رفضه لمسار ديمقراطي كامل، ونخبة سياسية مترهّلة، واهنة وغير قادرة على تجديد آليات عملها بما يضمن مصالحة الكل مع الكل. ونتج عن هذا المسار الشّاق ولادة تجربة سوسيو-سياسية هجينة طبعت تاريخ تونس المعاصر وعمّقت البطالة والفقر والتضييق على الحرّيات وقتل أحلام الشباب.

المراجع:

الكتب:

- أعمال ندوة متخصّصة: **حركيّة المجتمع التونسي في عشريّة الثّورة بين إرادة الحياة واستجابة القدر.** بحوث متخصّصة وشاملة. محمد علي الحامي للنّشر. الطبعة 1. 2020.
- أعمال ندوة متخصّصة: **محاضن الإرهاب واستراتيجيات تفكيكها**. إدارة الدراسات والملتقيات والتكوين الديني. وزارة الشؤون الدينية. تونس 2019.
- أغامبين جورجيو: **المنبوذ: السّلطة السّيادية والحياة العارية**. باريس. ترجمة وتقديم وتعليق عبد العزيز العيادي. منشورات الجيل.1997.
- أوليفييه روا: **الجهل المقدّس: زمن دين بلا ثقافة**. ترجمة صالح الأشمر. دار السّاقي بيروت. الطبعة1. 2012.
- بالونديي جورج: **متحضّرون، على ما يقال**. تعريب عبد الرزاق الحليوي. تونس. المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون بيت الحكمة. 2004.
- بن جنات زهير: **المرأة والفضاء العام: نتائج بحث موجّه**. دار صامد للنشر والتوزيع. 2016.
- بوزو ماريو: **العراب**. ترجمة أماني حدّاد 2018. دار الشرق للنشر والتوزيع. أغسطس. 1969.
- التيمومي الهادي: **خدعة الاستبداد الناعم في تونس، 23 سنة من حكم بن علي**. الطبعة 2. دار محمد على الحامّي للنّشر.2013.
- الزّيدي المنجي: **مجتمع الخوف**. دار سحر للنّشر. تونس. جوان. 2021
- السعيداني منير: ...**يرير...ويبدع ما يريد... الشّباب في الانتقال الديمقراطي بتونس**. محمد علي الحامي للنشر .2012.
- سميث آدام: **بحث في أسباب وطبيعة ثروة الأمم**. معهد الدراسات الإستراتيجية - العراق. ترجمة حسني زينه. طبعة 1. بغداد-أربيل – بيروت. 2007.
- غليك جايمس: **نظرية الفوضى، علم اللامتوقّع**. ترجمة أحمد مغربي. دار السّاقي. طبعة 1. 2008.
- لبيض سالم: **تونس: الثورة في زمن الهيمنة**. مؤسسة الحصاد. ط1. 2013.

المجلات والدوريات:

- أحمد كرومي: "الحداثة / المواطنة والحقل الفقهي (عناصر من أجل مقاربة إشكاليّة)". **إنسانيات المجلّة الجزائريّة في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية**. نوفمبر 2000.
- حامد المنجى: "مجتمع المعلومات: فتنة البدائل الميكانيكية أم تكنولوجيا إناسية؟" **مجلة كتابات معاصرة**. عدد 59. مج 15. شباط / آذار 2006.

- حامد المنجي: "الدولة والمجتمع المحلّي وصناعة العنف: حالة الحوض المنجمي بالجنوب الغربي التونسي". مجموعة مؤلّفين. **التعصب والتطرف والعنف: مقاربات في المجتمع والدّولة والدّين**. إشراف منير السّعيداني. ط1. قسم الدّين وقضايا المجتمع الرّاهنة. مؤمنون بلا حدود للنّشر والتوزيع. المملكة المغربية. الرّباط. أكدال.2019.
- رامي التلغ: "البورقيبية في تونس من مشروع تأسيس إلى مجرّد فلكلور للتّوظيف السّياسي". **رصيف22.** 2018.
- سويلمي محمد: **"تونس من الثّورة إلى الجمهوريّة"**. جون اسبيزوتو وتماراسون وجون فول. **مجلّة نقد وتنوير**. عدد 10. السنة الثالثة. كانون الأول / ديسمبر 2021.
- عياض بن عاشور: **ثورة بلا ظفرين**. أعمال ندوة متخصّصة حركيّة المجتمع التونسي في عشريّة الثّورة بين إرادة الحياة واستجابة القدر. بحوث متخصّصة وشاملة. محمد علي الحامي للنّشر. الطبعة 1. 2020.
- القسّومي المولدي: **حركيّة المجتمع التونسي في مواجهة التحدّيات السّياسية**. أعمال ندوة متخصّصة حركيّة المجتمع التونسي في عشريّة الثّورة بين إرادة الحياة واستجابة القدر. بحوث متخصّصة وشاملة. محمد علي الحامي للنّشر. الطبعة 1. 2020.
- Axel Honneth: *la société du mépris: vers une nouvelle théorie critique*. La découverte poche.2006.
- Balandier Georges : *le pouvoir sur scénes*. Fayard. Paris. 2006.
- Benslama Fethi et Farhad Khosrokhavar : *le jihadisme des femmes : pourquoi ont-elles choisi daech ?* ed du seuil. Septembre 2017.
- Boudon Raymond: *effets pervers et ordre social*. Paris. PUF.1977.
- Bourdieu Pierre et Jean Claude passerons: *les héritiers: les étudiants et la culture*. Les éditions de minuit.1ere Ed.1964.
- Bronner Gérald: *la pensée extreme: comment des hommes ordinaires deviennent des fanatiques*. 1er ed. 2009. Denoel. 2eme ed. janvier 2016. 6eme tirage septembre 2020.
- Carole Alsharabati, Rabih El Chaer*: service public, corruption, un état florissant*. Les cahiers de l'Orient. 4 (n120).2015. Pp 71-82.
- Genieys William: *des gardiens de l'Etat à l'élite des politiques. Une sociologie historique comparée des rapports élite(s) et Etat(s)*. CEPEL. Colloque international à rabat. May.2016.

- Goffman Erving : *la mise en scéne de la vie quotidienne*. 1959. Trad. Fr.1973. Rééd Ed de Minuit.coll le sens commun.1996.
- Hamed Mongi et Faten Mbarek. “Le suicide en Tunisie et les nouvelles formes de protestation”. Actes de séminaire*. Le suicide en Tunisie aujourd’hui un problème de société***.** 3 – 4 juin.2016. Ed Med Ali et Ecumus (FLSHS.)
- Kerrou Mohamed: *Ibid.* Pp 127-147.
- Kerrou Mohamed: *l’autre révolution*. Edition Cérès. 2018.
- Las coumes Pierre Las et Carla Nagels: *sociologie des élites délinquantes: de la criminologie en col blanc à la corruption politique*. 2e Edition. Armand colin.2018.
- Souliére Marguerite, Karine Gentelet et Gabriela Coman: *visages contemporains de la critique sociale: réflexions croisées sur la résistance quotidienne*. Editions de l’ACSALF. 2014**.**

الصلة بين الإرهاب والعنف من منظور الفلسفة السياسية ـ يورغن هابرماس نموذجا

The link between terrorism and violence political philosophy-Jürgen Habermas

الباحث كمال العماري[1] ***Researcher Kamal EL AAmari***

الجامعة الدولية / كلية الصحة الدار البيضاء/ المغرب

International University / faculty of health Casablanca - Morocco

ملخص

هناك إرادة لتكوين فهم صحيح عن العدوان أو الإرهاب أو الهجمات بعيدا عن ذلك الاحتفاء الزائف بمفاهيم السلام و التعايش والتعدد الثقافي فهل يصح القول بأن الفهم ظل يتكون و يكبر من خلال التركيز على الإنتاج الثقافي للإرهاب نفسه و هل يمكن الاستمرار والاستماته في ربط ذلك كله بالتطور الهائل لعصر ما بعد الحداثة أو بالحركات الإسلامية المتطرفة ؟ هل هناك حلقات مفقودة في السلسلة الكبرى للعنف ؟ هل لذلك علاقة بطريقة إدراكنا للأمور ؟ هل نتسرع عندما نتعامل مع الظواهر بما يظهر و يطفو منها فقط ؟ لماذا نركز على التمييز الكرونولوجي بدل الإحاطة بالعوامل السيكولوجية الدفينة ؟

كلمات مفتاح: نظرية الفعل التواصلي لهابرماس، عنف إرهاب.

Abstract

There is a will to build a correct understanding about aggression, terrorism or attacks away from this false celebration of the concepts of peace, coexistence and cultural pluralism. Is it correct to say that understanding has continued to be forged and developed by focusing on the cultural production of terrorism itself and is it possible to continue to link all of this to development in the massive postmodern era or to extremist Islamic movements? Are there missing elements in the great chain of violence? Does it have anything to do with how we perceive things? Do we rush when we treat phenomena

[1] Ka_malovitch@hotmail.fr

by what appears and floats from them alone? Why do we focus on the chronological distinction instead of understanding the underlying psychological factors?

Keywords : Habermas theory of communicative action , Violence, terrorism.

مقدّمة

لقد تركت جميع الأحداث العنيفة التي عرفتها الإنسانية آثارا دامية بقيت عالقة في الذاكرة السيكولوجية للعائلة البشرية منذ القدم والى الآن وبذلك يكون التاريخ الآدمي حافلا بالصدمات التي غذّتها الحملات والحروب التي تستهدف رد الثأر والانتقام. لعله التاريخ السيكولوجي الحافل بالجروح و الندبات و الذي ظل يدفع بالإنسانية لأن لا تقبل بأن تسفك دماؤها أو أن تهان في سيادتها و تبقى مكتوفة الأيدي و هكذا فعندما نتأمل فلسفيا فيما يجري في التاريخ البشري وعندما نمعن التفكير في سيرورة هذا العنف آخذين بعين الاعتبار حركته المستمرة في الزمن فإننا نفعل ذلك بغية تحقيق فائدة ما آملين في أن تكون العوائد في مصلحة الجميع دونما تمييز و تحديدا خلق أجواء صالحة للعيش في انسجام و توافق و بذلك تكتسي قضية العنف من منظور فلسفي أهمية متزايدة على اعتبار أن نتائج الدراسات السوسيوسياسية حول العنف لم تكن كافية بما يلزم لتقدم براديغم نظري متكامل وبالتالي مراكمة نتائج ذات قيمة علمية متعارف حولها و مشهود لها غير أن التعامل الفلسفي مع إشكالية العنف تجسد في مجرد اجتهادات شخصية و لم يرقى إلى درجة بناء نظرية متكاملة حول الموضوع فكأن الفلاسفة بالغوا في توخي الحذر من دخول متاهة العنف و من الخوض في مواضيع تتصل به خشية اصطدامهم المؤكد بماسكي زمام السلطة أو تجنبا لاتهامهم بتأليب الجمهور ضد أجهزة الدولة، و ربما يكونوا قد تركوا الأمر جانبا لأن قضايا أخرى بدت لهم أولى بالمناقشة و التحليل.

غير أنه مباشرة وعقب هجمات 11 سبتمبر تم تسجيل عودة ديناميكية للمقاربات والتفسيرات التي تحلل ظواهر العنف بل وتم رد الاعتبار لكل المقاربات الفلسفية القديمة و لمن استأثروا بقضايا العنف المختلفة أو سبق لهم أن أثاروها علنا كموضوع للنقاش الفكري العام.

لقد أعاد الاهتمام بموضوعة العنف تسليط الضوء على إشكالات أخرى من قبيل العصيان المسلح والثورة والحركات التحررية وبدأت تظهر في الأفق إشكاليات تتعلق بالمسؤولية الفردية وعن حدود تدخل الدولة ومسؤولياتها الأخلاقية والسياسية والأمنية عما يحدث في الأقاليم الخاضعة لسيادتها في هذه الظروف كان من اللازم على المشتغلين بالعلوم الإنسانية بصفة عامة و الفلاسفة على الخصوص ترك المواضيع الأنطولوجية والعودة لساحة الواقع باعتباره حلبة الممارسة الحقيقية فالظرف يقضي بتصحيح مفاهيم يعوزها قدر كبير من الوضوح كمفهوم العنف والإرهاب والجهاد والحرب الوقائية وأيضا العمل على نقلها من سياقاتها المختلفة إلى ساحة الفلسفة بل وتحويلها إلى إشكالات فلسفية مركزية مطروحة أكثر من غيرها للنقاش .

ربما احتاطت الفلسفة أكثر من غيرها في تقديم إجابات يسهل دحضها مع الأيام ولهذا فمسألة العنف كانت مدعاة لقدر كبير من التريث من قبلهم وهكذا لم يغامروا في الخوض في تحليلات و نقاشات آنية و متسرعة غير أن البعض منهم كان له حدس مسبق بأن العنف طريقه مسدود وأنه لن يحل المسائل والقضايا العالقة بين البشر ومن تم

كان يقترح التحاور والتواصل كوسيلتين للاتفاق حول خارطة طريق تسمح باستمرار العيش بين الأفراد والمجموعات، فهل جاء الفكر الفلسفي السياسي منسجما مع ما يشهده العصر من تطورات و أحداث متسارعة؟ وهل المقاربات الفلسفية حول العنف صالحة لنا اليوم لتفادي ما نعيشه من حروب وإرهاب ؟ نتساءل فيما إذا كانت نظرية هابرماس التداولية هي إعادة تأسيس جديد للسياسة والأخلاق على ضوء علاقتهما بالعنف؟ هل نظرية الفعل التواصلي بإمكانها أن تشكل حلا واقعيا لمسألة العنف والإرهاب المتفشيان في العالم؟ هل في إمكان البشر الوصول إلى توافق يسمح ببناء سلام دائم؟ ما المقصود بالعمل الاحترازي أو الوقائي ؟ هل الحرب الوقائية ليست تعديا على الخصوصية الفردية؟

النواظم التي تحكم فكر هابرماس

هناك نواظم مختلفة حكمت التوجه الفكري لهابرماس وهي عديدة و متشابكة وتأخذ اتجاهين زماني ونوعي، ففي الفترة الأولى ركز هابرماس على فلسفة الوعي الديكارتية ولم يستطع الخروج عن الإشكاليات الكلاسيكية التي وسمت التقليد الفلسفي المثالي حيث تبرز ثنائية الذات والموضوع و يظهر الفكر كمؤسس حصري للمعرفة لتأتي المراحل اللاحقة مختلفة يطبعها الفصل التام بين الذات العارفة وموضوعها ثم بعد ذلك تأثر بفلاسفة اللغة والسيمائيين الذين عاصروه أمثال بيرس و أم برتو ايكو وغيرهم و انتبه أكثر إلى ما كان يحدث من طفرات في حقل فلسفة اللغة في شقه التداولي و السيميائي كما تابع عن كتب ذلك الحوار الفلسفي الذي خاضه فلاسفة اللغة والسيمائيين حول طبيعة الدلالة و مصيرها.

لقد ارتوت نظرية الفعل التواصلي من الدراسات اللغوية الحديثة خصوصا مستجدات فترة ما بعد الحرب العالمية وخصوصا بدولة ألمانيا التي تطورت فيها نظريات فعل القول مع عالم السيمائيات كارل بيلر الذي ركز على وظائف اللغة. في نفس المسار اهتم هابرماس باللغة في جانب مخصوص منها وهو الجانب التداولي و ليس التعبيري أي باعتبارها فعلا اجتماعيا أو جزء أصيلا من الحياة المعاشة أو الواقع المعاش و بذلك تكون اللغة التي يهتم بها هابرماس هي اللغة التي تعكس أهداف المتخاطبين و التي لا يعبر عنها الوضع اللغوي المجرد الذي قد يتجاوزه المتخاطبون لتلبية مقاصدهم وأهدافهم الدلالية و هنا نلمس تأثر الفيلسوف بالاتجاهات التحليلية في الفلسفة وبالضبط فلسفة اللغة حيث إجماع الفلاسفة التحليليين[1]على أن فهم الإنسان يرتكز في المقام الأول على اللغة[2] التي ينظر لها ليس كمجرد كلمات بل كمجموع أفعال كلامية يتداولها الأفراد فيما بينهم و من تم تكمن أهمية هذا الأمر في النظر الفلسفي في الطريقة المثلى لتحقيق النقاش و التفاهم بين الأفراد فالتوافق بين البشر يحدث بشكل تلقائي

[1] تشارلز طايلور تشارلي دنبر برود جون روجرز سورل جيمس هال بيتراند راسل غلبرت رايل روجر سكروتن رودولف كارناب، سام هاريس،ستانلي كافيلوليام جيمس وليام لين كرايغ، هيلاري بوتنام هانز رايخنباخ نعوم تشومسكي وغيرهم .

[2] ذياب غليم الحسناوي، **الأبعاد التداولية عند الأصوليين : مدرسة النجف الحديثة أنموذجا** مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي 2016 ص37 .

وضمني في أشكال الحياة اليومية أما الاختلافات فمصدرها التباين الحاصل في الغايات والمصالح الإستراتيجية أو في عدم الصدقية في التعبير أي قول أشياء غير صحيحة.

لا يؤسس هابرماس العلاقات الاجتماعية على غرار نظريات الفكر اللبرالي بل يتتبعها في ثنايا الخطابات والأفعال الكلامية الأكثر تلقائية، فالتوافق الموجود بين البشر هو أوتوماتيكي تعكسه مستويات اللغة أما الاختلافات فتحتاج لخطاب تداولي باعتباره كلاما يهدف إلى توافق عقلاني وهو ليس حصرا على الفلاسفة أو السياسيين أي أنه عام وفي إمكان جميع الناس الاستفادة من امتيازاته باعتبارهم متكلمين وقادرين على حل مشاكلهم وخلافاتهم عندما يظهر سبب معين للخلاف. يمكننا أن نتلمس حدود الخطاب الأخلاقي الذي لا يأخذ هنا كمفهوم اتقي (خير وشر) بل كمفهوم أخلاقي (معايير تحدد مسبقا وبالتعاقد ما هو الصواب وترتب الأولويات).

لقد اتجه هابرماس بشكل حثيث للبحث عن حل شامل لإشكالية العنف مرتحلا بين الفلسفة والعلوم الاجتماعية مستلهما من دراسات اللغة والتحليل النفسي بعضا من دعائمه ليكون إنتاج فلسفة تعفي المجتمع البشري من العنف والإرهاب هو الغاية النهائية لهابرماس ومن تم كان الإصرار على التعامل مع هذه القضية ذات الأبعاد السياسية والاجتماعية والأخلاقية والدينية والإعلامية بتفاؤل عميق تزكيه ثقة مبالغ فيها في إمكانية اعتناق الأفراد لفضيلة الحوار والتواصل الايجابي القائم على العقلانية.

إن اعتماد هابرماس القوي على الفعل التواصلي و قناعته الراسخة بأن البشر في إمكانهم الوصول إلى توافق يسمح ببناء سلام دائم يدفع إلى الاعتقاد بأننا أمام بناء متعالي (ترانسندانتالي) لكن أطروحته تأخذ مسارا واقعيا يستمد قوته مما يحدث بين الناس عبر استعمالاتهم اليومية التداولية للغة فالعلاقات الإنسانية عليها أن تستمد قوتها و توجهها الاستراتيجي من شروط مثالية و واقعية في نفس الوقت فالنظرية الاجتماعية هي بناء أساسه مجموع العمليات التفاعلية بين الأفراد الموجودين في المجتمع و من تم يجوز القول أن آراء هابرماس ليست مرتبطة بطبقة محددة كما كان الحال عند الماركسيين ولا بفرد واحد كما هو الحال بالنسبة للليبراليين بل أفكاره تأخذ شكل بناء نظري عام صالح للجميع. فما موقف هابرماس من الصراعات البشرية؟ وما موقفه من الصراعات الدينية؟ لماذا اقتنع هابرماس بفكرة الإمكان التاريخي للحوار؟ يظهر هابرماس متفائلا خصوصا وأنه يعد بإمكان تحقيق توافق بين الناس بواسطة التحاور والتواصل بواسطة الفعل الكلامي غير أن شكل التوافق داخل المجموعة يطرح إعادة النظر في علاقة الفرد مع الدين وتداعيات ذلك كاللجوء إلى أساليب عنيفة أو متطرفة. فهل اهتمام هابرماس بالعنف هو اهتمام عقلاني؟ هل هو ما دفعه إلى التطرق إلى مسألة التدين؟

من أجل فهم ما يجري في العالم من عنف يعود هابرماس الفيلسوف لقضيتين أساسيتين هما اللغة والدين فرغم تأكيده على أن الدين هو أمر يهم المتدينين و أن الاهتمام بالدين يحتفظ بقيمته التحليلية من موقعه الهام في

البناء المجتمعي و اللغوي و التواصلي إلا أنه يبقى متفطنا بل و أكثر من هذا متمسكا بإلحاده المنهجي[1] لغايات قد تكون نظرية و إستراتيجية. نتساءل هل العبء يقع على منظري المجتمع اللبرالي الحداثي اللذين عليهم أن يوسعوا حدود أفكارهم لتستوعب الخطابات التي يؤسس عليها المتدينون أطروحاتهم؟

يكتسب الحوار قوته من انسجامه العقلاني وقد يتحقق فعليا باستسلام طرف للطرف الآخر بغية تجنب الخسائر أو الأضرار وفي مقابل ذلك يكون الخطاب الديني أخلاقيا وهو ما يجعله لا يحقق التوافق الاجتماعي حوله وبذلك يؤيد هابرماس خطابا نفعيا له القدرة على احتواء جميع خطابات المتدينين وغير المتدينين ليتحول إلى جزء هام يكمل الحياة المجتمعية.

2- تأهيل المفاهيم الماركسية لتواكب العصر

يعتبر هابرماس أحد الأركان الأساسية لمدرسة فرنكفورت إضافة إلى شخصيات الجيل الأول أمثال ماكوز وأدورنو وهوركايمر غير أنه صار في وقت من الأوقات أكثر اقتناعا بأن المفاهيم الماركسية باتت في حاجة إلى تجديد لتواكب لغة العصر خصوصا و أن الوضع العالمي السياسي والاقتصادي والاجتماعي يستوجب إعادة تجديد مفاهيم النظرية الماركسية ومراجعتها بما يتلاءم مع مستجدات الحداثة فالمنعطفات و الثورات الجديدة خصوصا بالمشهد الفلسفي كظهور ايجابيات المنهج الفينومينولوجي (أطروحات ادموند هوسرل وكتاباته) و حركية البنيات الاجتماعية و ديناميكيتها كلها عوامل تزكي مراجعة حتمية للإرث الماركسي بما يتناسب و هذا الفهم الفينومنولوجي الجديد للظواهر.

يمكن القول إن التحولات التي دفعت بهابرماس إلى التعجيل بمراجعة المفاهيم الماركسية تتمثل في أفول الدولة القومية وعدم انفراد البنيات الفوقية بالمعلومة في عصر الانترنيت وغيرها من الشروط الجديدة التي طفت على السطح كتنامي الهجرة العالمية نحو البلدان الغربية المصنعة والغنية.

هذه العناصر المستجدة وغيرها شكلت دافعا قويا لتأسيس نظرية جديدة في الفعل الاجتماعي أطلق عليها البراكسس أريد لها أن تكون بمثابة فلسفة عملية تستوعب التحولات الاقتصادية والسياسية العميقة التي أطاحت بمفهوم الدولة القومية، فالمتغيرات الجديدة دفعت إلى إعادة النظر في مفهوم الدولة ومراجعة مفهوم العلاقات الطبقية وطبيعة العمل والأشكال الممكنة للتغيير الاجتماعي فهل سيتم استبدال مفهوم الثورة؟ هل ما يقترحه هابرماس كبديل قابل للتحقق في مجتمع كوني غير متجانس ثقافيا واقتصاديا وسياسيا؟

[1] يبقى إلحادا غير دوغمائي أي أنه إلحاد قابل للنقاش وليس شكلا نهائيا من إنكار الدين أمر يمكن أن نلمسه في نقاشاته مع الفيلسوف الأمريكي جون رولز الذي يطلب من المتدينين أن يعثروا على التبريرات الصحيحة لآرائهم و التي تتناسب و معايير المجتمع الذي يعيشون فيه لكي يصبحوا مواطنين صالحين.

لقد أعاد بعض الفلاسفة تقييم توجهاتهم وخصوصا إبان الحراك الثوري الطلابي ل1968 فلقد تم انتقاد ردة فعل الأحزاب الشيوعية الفرنسية التي استمرت محتشمة و لم تدعم كفاية الحراك الثوري بشكل واضح وبالعودة إلى جملة المؤثرات التي استلهم منها الطلاب الماركسيون زخمهم الثوري نذكر كتابان مهمان الأول للفيلسوف الألماني هربرت ماركوز**"الإنسان دو البعد الواحد 1964"** و يتضمن نقدا جارحا لكل من الرأسمالية و الشيوعية حيث سيبين هربرت ماركوز حجم الهوة التي أحدثتها التقنية بين العالم الواقعي والافتراضي و هو بحسب يوسف الكلاخي: "نقد للمجتمع الصناعي والبرجوازي الذي تحركه رغبات التسلط والهيمنة على المجتمع والسلطة والثروة والمعرفة من خلال العولمة والرأسمالية المتوحشة"[1]و الكتاب الثاني الذي حرك الثوار كان للفيلسوف الفرنسي ذو التوجه الماركسي روجي غارودي[2] **"نداء إلى الأحياء 1979"** لقد أثر الكتابان بشكل ملموس في الشباب الماركسي إن لم نقل في جيل بكامله من الماركسيين المتحمسين كجيل دولووز ودريدا وفوكو وغيرهم غير أن الأحداث المتسارعة و التطورات اللاحقة ستدفع بهم فيما بعد إلى الانتقال إلى أماكن أخرى بعد الثورة الطلابية و لم يكن هابرماس إلا واحدا منهم حيث بلغه هو الآخر التأثير و بدأ يفكر كغيره في الانتقال إلى أماكن جديدة و التكيف مع الوقائع التي بدأت تعصف بالمفاهيم الشمولية الواجد تلو الآخر و هكذا ففي كتابه **"المعرفة والمصلحة"** سيقدم هابرماس نقدا أساسيا لمفاهيم العمل والعلاقة بين البنى التحتية و البنى الفوقية غير أن نقد ماركس لم يكن في الحقيقة إلا بالاستناد إلى كتابات ماركس نفسه (**كتاب المبادئ الأساسية رأس المال نقد الاقتصاد السياسي الايدولوجيا الألمانية** الخ...) في كتابه **من مجتمع عقلاني** حاول هابرماس أن يرافق التحول الواقع في العقلانية من عقلانية ذاتية إلى عقلانية بينذاتية هناك تأكيد على مفاهيم الحداثة وفي كتابه **"في القول الفلسفي للحداثة"** هناك انتقاد أساسي يستهدف 300 سنة من تاريخ الحداثة في ضوء انتقادات الحداثة من قبل نظريات ما بعد الحداثة postemodernisme هناك توجه واضح لتجديد الحداثة على أسس أكثر صلابة.

هناك عودة للعلوم الإنسانية المختلفة وهو ما يمكن تلمسه في كتابه الضخم **"نظرية الفعل التواصلي"** فالوضع العالمي يقضي بضرورة الانتقال من رؤية أحادية تعكسها نظرية شمولية أثبتت فشلها إلى رؤية واقعية تتطور وتتكيف مع ما يحدث من تطور اجتماعي وبهذا المعنى على النظرية الفلسفية أن تعالج المستويين الماكرو والميكرو بحيث يصير كل فهم للحداثة مؤسسا على فهم لمجموع العلاقات اليومية بين الأفراد وتفاصيلها المهمة.

كتاب نظرية الفعل التواصلي هو كتاب مهم مهد له هابرماس جيدا وعبر مؤلفات عديدة ومؤتمرات صحفية ومقالات ومحاضرات انه ذلك الشيء الآتي والذي لا بد منه لإحلال السلام العالمي فالغاية العملية من الكتاب هو

---

[1] يوسف الكلاخي **قراءة في كتاب الإنسان ذو البعد الواحد لهربرت ماركوز**، مؤسسة الحوار المتمدن، العدد 3992 فبراير 2013.

[2] فيلسوف غزير التأليف بعدد كبير جدا من المؤلفات فاق الثمانين و اهتمام بمواضيع فلسفية مختلفة و تجدر الإشارة إلى أنه سنة 1970 كان قد أسس مركز الدراسات والبحوث الماركسية وبقي مديرا له لمدة عشر سنوات كما اعتنق هذا الفيلسوف الذي ازداد من أب ملحد الإسلام في 2 يوليو 1982 . عاصر هذا الفيلسوف عدة فترات بحكم ميلاده سنة 1913 وموته عن عمر ناهز 99 سنة وبالضبط سنة 2012.

توجيه فعل التفلسف لقضايا راهنة واعتماد نظرية تصحيحية لقصور المفاهيم القديمة فالمرحلة تقضي بتأسيس إطار نظري صلب ينطلق من واقع الحال لأنه هو الذي سيسمح لهابرماس باكتشاف ما يجري على الأرض من صعوبات الاتفاق حول مفهوم الحداثة لارتباطها بمفاهيم التطور والتقدم والحركة والحرية وحق النقد وغيرها.

لقد ترافقت الحداثة مع التراث البرجوازي الممتد لبدايات القرن الثامن عشر و تبلورت أكثر مع الثورة الفرنسية التي لقبها البعض بدين الثورة لأن المجتمع حينها كان يتأهب للانفصال تدريجيا عن الدين ففي الوقت الذي نجد فيه هيجل يصر على ضرورة الربط بين الدين يصر امانويل كانط على لا تاريخانية الحداثة فكأن مفهوم الوعي التاريخي لهيجل يريد أن يكون شيئا معبرا عن روح العصر و هي الخصائص التي يعبر عنها بشكل دقيق الدكتور توفيق شومر في ندوته حول فعل التواصل عند هابرماس[1] حيث يعتبر هذا الأخير أن كل حديث عن الحداثة لدى هابرماس لا يمكن أن يتحقق إلا بوجود عناصر ضرورية ومنها :

- المعرفة غير ممكنة الا بطرفاها العقل والتجربة
- العقلانية تكاد تكون الأساس الوحيد للمعرفة العلمية وأن القضايا الميتافزيقية تصبح ممكنة في اللحظة التي نؤسسها فيها بالاعتماد فقط مبادئ علمية نقدية.
- صلاحية المعرفة العلمية تقوم على أساس مبادئ موضوعية نسبية وكذلك اعتبار التعميم العلمي هو السبيل المؤدي إلى معارف جديدة.
- الابتعاد عن الميتافيزيقا والتمسك بالإجابات العقلانية والعلمية فالمعرفة لا يمكن توكيلها إلى قوى غيبية لا حول لها ولا قوة.
- ينبغي أن تكون الحداثة قيما مجتمعية والابتعاد عن تفسير الظواهر بالموروث الثقافي الذي يقدم أجوبة معطوبة.
- تعميم العقلانية التواصلية على مستوى التفكير اليومي للمجتمعات وهذا ما يجب أن تقوم به نظرية الفعل التواصلي.

ينظر هابرماس للحداثة باعتبارها مشروعا لم ينجز عطلته مجموعة من المعيقات ليس أقلها فصل السياسي عن الاجتماعي والثقافي واعتبارها صياغات أدبية ومسرحية وإنتاجا فنيا ولوحات وهذا من بين الأخطاء التي وسمت تاريخ الحداثة التي أرادها هابرماس شيئا أكبر في حياة الإنسان. ترفض عقلانية هابرماس تشيئ الإنسان وتعارض تحويله إلى سلعة تصرف في الأسواق. إنها عقلانية تنتقد الأمركة وترفض صرف الأموال في الحروب التافهة والتي كانت سوف تحل بالحوار والتواصل وبالعقل وبالتالي يكون هابرماس فيلسوفا مدافعا عن تطور متكافئ في العالم ومنظر يحاول ما أمكن توزيع الرخاء على مجموع الناس.

[1] توفيق شومر الفعل التواصلي عند هابرماس،(***ندوة نشاطات الفكر الاشتراكي***)، قناة الفينيق2016

3-إعادة النظر في مفهوم المواطنة

لقد غدت مسألة الوحدة الأوروبية تتناقض في الصميم مع مفهوم الدولة الأمة و طرحت إشكاليات جديدة ترتبط بالتعدد الثقافي ساهمت فيها سياسات وقوانين الهجرة في الدول المضيفة فرخاء هذه الدول و تطورها السريع جعلها لتكون قبلة لملايين من المهاجرين و بالتالي انعكس هذا على المفهوم القديم للدولة التي كان لزاما عليها أن تغير سياساتها لتنسجم مع رعاياها الجدد وبذلك تم استبدال مفهوم الدولة القومية بمفهوم الدولة الدستورية كتجاوز للمفهوم الكلاسيكي للمواطنة فأصبح ما يحدد المواطنة ليس هو الأصل العرقي أو مكان الولادة بل صار الدستور هو ما يمنح الذي الشخص قواعد مواطنته وبالتالي تم تعميم فكرة المواطنة على هذه الشاكلة ليصبح مفهوما بامتدادات جغرافية كونية وربما يمكن تلمس هذه الأفكار اليوم لدى كتاب من العالم العربي الإسلامي رفضوا تأسيس المواطنة على أساس ديني كما هو الشأن بالنسبة للدكتور محمد الحداد[1]في كتابه(**الدولة العالقة مأزق المواطنة والحكم المدني في المجتمعات الإسلامية2018)** ففي رأيه الانفتاح على التجارب الإنسانية الناجحة يجبرنا على الأخذ بدولة المواطنة باعتبارها الحل الذي يصب في مصلحة الجميع و يخرجنا من الدولة العالقة[2].

لقد بادر هابرماس الى القيام بعملية توليف بين المفاهيم الماركسية والمفاهيم الأخرى المرتبطة بنظرية الفعل والأنساق بغاية تجاوز الإخفاقات التي حصلت في الدول ذات التوجهات الماركسية اللينينية. لقد تم استحداث مفهوم العقلانية البينذاتية لتجاز العقلانية الأداتية. في هذا الصدد يرفض هابرماس فكرة الإيديولوجية المتبناة من قبل الماركسية كما يعارض نظرية تمرحل التاريخ من مجتمع لاطبقي إلى مجتمع عبودي إقطاعي رأسمالي اشتراكي ليعود لمفهوم نمط الإنتاج كمفهوم مركزي في تحديد علاقات وقوى الإنتاج في المجتمعات وإن كان بقراءة جديدة تتناسب مع الشكل القياسي للتمرحل وتأسيسا على الطبيعة الاجتماعية لكل مجتمع.

هناك إعادة لقراءة تمرحل التاريخ دون إجبار المجتمعات على التوافق مع القيم المركزية الأوروبية وبذلك يمكن فهم أنماط المجتمعات بناء على طبيعة الإنتاج السائدة. لقد تغيرت بعض من قناعات هابرماس على ضوء الفهم الفينومينولوجي خصوصا فيما يتعلق بعلاقة الذات بالموضوع فالذات العارفة صارت جزءا لا يتجزأ من الموضوع وبذلك لم يعد الفصل بينهما بالأمر المحبب. لقد ساهمت التحولات في ديناميكية مفهوم الفعل الاجتماعي الذي يقوم على العلاقات بين الأفراد ويؤطر التفاعل بين المجموعات أي الحلقات الاجتماعية غير انه يتأثر بمفهوم المصلحة باعتبارها تتحصل من الفعل الاجتماعي بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر.

---

[1] أستاذ الدراسات الحضارية بجامعة قرطاج التونسية له كتب أخرى من بينها التنوير والثورة دمقرطة الحداثة أم أخونة المجتمع بالاشتراك مع الدكتور محمد علي صادر عن دار التنوير للطباعة والنشر في 2013.

[2] محمد حداد **الدولة العالقة، مأزق المواطنة والحكم المدني في المجتمعات الإسلامية**، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1 مج 1 2018 ص 11-15.

لقد عاد هابرماس إلى ما يحدث في العالم المعاش أو بالأحرى ما يحدث في عالم الحياة اليومية الذي لا يخضع للنظام الاجتماعي السائد لأنه بدأ يقتنع بفكرة أن الأفراد في تعاملاتهم الاعتيادية أحيانا كثيرة لا يكترثون لقيم النظام الاجتماعي السائد فهذا النظام هو فعليا النظام الاجتماعي المهيمن في مرحلة معينة والمعتمد على المال والقوة والقيم و بذلك يكون مفهوم النظام يعني مجموع الأنظمة التي يتم التوافق حولها في النظام العام أو بين الأفراد كالتعاقدات المختلفة فالمجموعات تشكل حلقات تربط بينها علاقات معينة والاتصال هو طبيعة التواصل بين الأفراد والمجتمعات و يتجدد بالاتصال البيني أو البين الذاتي.

في تصنيفه للأفعال يحدد هابرماس أنواعا من الأفعال الأداتية حيث أنها أنظمة يتدخل فيها الاتصال البينذاتي ويصنفها بين تقني ومنتظم ودراماتيكي أي أنها أنظمة أذاتية في حين يعتبر هابرماس أن الفعل التواصلي هو الفعل القائم على عقلانية بينأذاتية. يتأثر النظام الاجتماعي بما يحدث بالنظام المعاش وهو منتج من منتجات هذا النظام وبذلك ومن أجل ضمان استمراره يتحول النظام الاجتماعي إلى سلسلة من النواميس الضاغطة والتي قد تصير مع مرور الوقت لاجمة للتطور الاجتماعي ذلك أن القوانين التي تحكم النظام الاجتماعي تتطور وتأخذ أبعادا مختلفة باختلاف وسائل الإنتاج والمصالح والتطور الذي يخضع له خط الإنتاج من المانيفاكتورا إلى مرحلة الآلة البخارية إلى آلة الإنتاج.

4- الفعل التواصلي تجاوز للفعل العنيف

لقد خضعت المجتمعات البشرية لتغير هائل بفعل تطور وسائل الاتصال وهذا في حد ذات جعل المجتمع الذي درسه ماركس مختلف عن المجتمع الحداثي الذي بدأ يتحدد بشكل مختلف بناء على علاقات اتصالية أكثر عقلانية. هكذا ومن أجل بلوغ الاتفاق يدعو هابرماس إلى التشبث بقيم العقلانية ومفاهيم المفاوضات للحصول على حالة الربح حيث المصلحة عامة و شاملة لكل الأطراف فمصلحة ألف ومصلحة باء تتحول لمصلحة مزدوجة قد تقود الحوار إلى أن يقبل أحد الأطراف نتيجة التحاور رغم أن مضامينه تصب ضد مصلحته أو رغم كونه غير راض عنها بعض بنود أو مقتضيات الاتفاق غير أن القبول أحيانا يكون لتجنب الأضرار أو تحول الصراع إلى عنف مؤدي للجميع و رغم إلباسه للحوار بهذه القيم اللبرالية فهو يتفق مع الماركسية حول أهمية نمط الإنتاج في تحديد طبيعة البنية الاجتماعية. كيف سيتمسك البشر بهذا النوع من الفعل التواصلي وكيف سيقتنعون بجدواه؟

بالنسبة لهابرماس في نهاية المطاف سيلجأ الناس لتحكيم عقولهم حفاظا على مصالحهم ومن بينها حياتهم فالبشر بوعيهم سوف يدركون انه من مصلحتهم التغيير التدريجي وليس التغيير الثوري وبالتالي يكون الحل في الرجوع للتواصل غير أن التساؤل يبقى هل جميع الناس أفرادا ومجموعات يدركون مصالحهم بنفس الكيفية؟

تجدر الإشارة هنا إلى أن الوعي الاجتماعي هو وعي الأفراد غير المشروط بما سيفيدهم في علاقاتهم غير أن تفاؤل هابرماس لم يمنعه من أن الاعتراف بأن الأفراد لم يصلوا بعد إلى الحد الذي يمكن أن تسود معه الدولة

الحداثية أي أن هناك تفاوت في الوعي وإدراك المصلحة ونظرية التواصل هي بنية فوقية على اعتبار أن المصلحة والأنظمة التي تقوم على أساس الاتفاق البينذاتي بين الأفراد والمجموعات قد تحبذ دائما التفاعل الاتصالي الاقتصادي.

يمكن اعتبار أطروحة هابرماس بمثابة نظرية تواصلية عمادها الحوار العقلاني وأحد أهم أركانها تجديد المفاهيم الماركسية وإفراغها من حمولاتها الشمولية غير أن تغيير الإطار المتفق عليه من مرحلة إلى أخرى يجعل من نظرية هابرماس نظرية حول المجتمع وهي تتجاوز تقريبا النظريات المثالية الفلسفية التي ركزت جهودها على فهم الذات. كيف يمكننا أن نتمثل هذا التواصل العقلاني الذي ينادي به هابرماس ويعول عليه كحل جذري لتجاوز معضلة العنف بين الأفراد والأنظمة والمجموعات والدول؟ يقدم هابرماس معادلته كالآتي: عندما اطرح عرض تواصلي على الآخر ينبغي عليه أن يخضعه لشروط عقلانية لكن السؤال يبقى ما هي حدود العقلاني وغير العقلاني في هذه النظرية.

الدولة الجديدة تكون قائمة على السلطة التواصلية وفق أخلاقيات النقاش وهنا الأخلاق لا تأخذ معنى تاريخيا بل تأخذ معنى إجرائيا فالناس سينظرون إليها كمجموعة معايير لها بعد كوني وتحقق مصلحتهم وبالتالي سيكونون مضطرين للقبول بها ومن أمثلة ذلك الاتحاد الأوروبي المجموعات الاقتصادية غير أن مصالح المجتمعات الأخرى تجعل من القوي يدفع بالضعيف لقبول نتائج التواصل لأنه سوف يفهمه ويقنعه بشكل عقلاني أن الحوار في صالحه وأنها سيجنبه العنف أو الضرر أو الحرب.

يشترط هابرماس في العقلانية البينذاتية أن تجعل من المتحاورين متفقين على شروط الحوار غير أن كل المجتمعات سوف تتوجه إلى مجتمع حداثي وأن المجتمع العقلاني هو الحتمية لأنه الشكل السليم لتطور المجتمعات. يؤكد هابرماس هذا الأمر في مقالته **"ما بعد الدولة القومية"** و فيها يذكر بوجود تصنيف طبقي جديد وظهور نظام التعاقد في التوظيف الحديث و بروز طبقات هامشية أو مجموعات يمكن تصنيفها في مستوى أدنى من الطبقة إنها الطبقات الجديدة التي غيرت المشهد و أدركت أن مصالحها متناقضة مع دولة الرفاه المنتهية مع بداية الثمانينات و التسعينات أي أن الدولة القومية انتهى مبرر وجودها و لم تعد تقدم الخدمات الأساسية للمواطنين خصوصا وأنها أصبحت تعول أكثر على هيئات جمعوية وعلى القطاع الخاص في تلبية حاجيات المواطنين الأساسية فالدولة الأوروبية تتحول لتصبح دولة فوق قومية ببرلمان أوروبي يعكس الديموقراطية التداولية.

5- الارهاب عطب في ملكة التواصل

يراهن هابرماس كثيرا على مسالة الاعتراف بوجود الآخر والتحاور معه وهي فضيلة في نظره لا تعني البتة انتصارا أو هزيمة إنها عقلانية تخضع من جهة لمعطيات الواقع ومن جهة أخرى تستند على النية الحسنة للأطراف وبذلك يشكل الفعل التواصلي أساسا متينا للسلم العالمي لا يمكن لأي كان أن يحيد عنه. تجدر الإشارة إلى

أن هابرماس يشرح العنف في شقه الإرهابي بأنه عطب في التواصل لأن ميزة الفعل التواصلي في نظره تظهر حينما يكون هناك عمل ثقافي مشترك بين الأطراف قائم على "على الربط بين خطط مختلف الفاعلين باستعمال القوة المحفزة عقلانياً والتي تستلزمها أفعال اللغة الإنجازية زد على ذلك أن الفعل التواصلي لا يقبل أن يعوض بممارسات من جنس آخر[1].

يؤدي غياب التواصل بين مكونات المجتمع الإنساني إلى نفي الغير واعتباره تهديدا لا يمكن إلا أن يقوض كل إمكانية للتفاوض والتحاور معه فالجهاديون المتطرفون المنتمون لتنظيمات أصولية إسلامية أو المتشبعون بأفكارها يؤمنون بفكرة استئصال العدو نهائيا وتصفيته وهذا راجع إلى تشبعهم بفكر مركزي شمولي يعتبر أن التحاور حول أساسيات الدين يعد خروجا من الدين.

وبالتالي فكل خلل في التواصل يؤدي في أغلب الأحيان إلى تبني خيار العنف والدولة التي لا تربي أجيالها على أهمية الحوار وقيمة التواصل بدء بما هو عام وانتهاء بما هو خاص تفتح إمكانيات أمام العنف والإرهاب. ربما كان أجدر بالإنسان أن يتعلم كيف يصل إلى أهدافه بواسطة التواصل والحوار الهادئ الهادف لتحقيق نتيجة ما بغض النظر عن معايير الحق والباطل فالمتحاورون عليهم أن يؤمنوا بجدوى الحوار المفتوح باعتباره آلية قوامها أخلاق إنسانية عالية. من أجل تحقيق توافق في الآراء، فإن المداولات والتواصل العقلاني يقضي في النهاية على كل الاستعمالات المتهورة للقوة. كلِّ حِقبة تاريخية تحمل بوادر عنفها وعلى هذا الأساس يمكن بلورة مفهوم العنف كتهديد قد يعصف بالمجتمع الإنساني وهذا التهديد قد يأتي من قوى غير متوقعة تعيش على هامش المركز (القرويون الشباب مجالس العمال المعطلون الإسلاميون.. الخ).

العنف يعكس واقعيا حصول أزمة في العالم المعاصر، فعندما يتم تأجير الفضاء العمومي[2] أو بيعه لجهات معينة و التعامل معه بمنطق السوق والعرض والطلب و كأنه سلعة يتم التلاعب بأسعارها أنذاك نكون أقرب إلى العنف الذي لا يمكن تفسيره فقط بمتغير واحد وإنما وجب النظر إليه باعتباره نتيجة لعدة عوامل فالحالة الاجتماعية وعدم الثقة في السياسة و تنامي الكراهية و تغيير الروابط الأسرية بروابط جديدة و عدم الاكتراث للاهتمامات الثقافية لشعوب الجنوب طرح علامات استفهام حول مصير منظوماتنا القيمية أي من سيقودنا في المستقبل و من سيحمينا من بطش التقنية أو ما يسميه البعض بالتآكل الثقافي l'érosion culturel[3]. لقد خلق عدم توافق المصالح السياسية والاقتصادية و الثقافية حالة من عدم اليقين واضطراب في المعنى: هل الساسة هم الحاكمون الفعليون أم

---

[1] يمكن الرجوع لما تم نشره بالمجلة الفرنسية Autrement في عددها 102 سنة 1988.

[2] مفهوم الفضاء العمومي البروليتاري ظهر في أوائل السبعينيَّات من القرن الماضي مع كل من أوسكار نيغت وألكسندر كلوج كمفهوم يروم تجاوز مفهوم هابرماس وتصوره للفضاء العمومي البرجوازي ونموذجه المثالي

[3] أوسكار نيغت" :**هابرماس: المثقف السياسي، إلى هابرماس في عيد ميلاده الثمانين**"، ترجمة: رشيد بوطيب، مجلة فكر وفن، عدد 92 السنة التاسعة والأربعون 2010.

رجال الدين أم قوى الضغط ولوبيات الخفاء و هو ما يؤكده نيغت Negt و كلوج kluge في مؤلفهما: (الفضاء العمومي المعارض) "قد تنامت في مجتمعنا نخب من مدراء ومُسيّري الشَّركات، أرباب العمل (الباطرونا)، ممثلي اللُّوبيات (قوى الضغط)، وأنواع شتى من الدُّمى (الكراكز) السياسيَّة في الحكم...، والتي لا تتوافق مصالحها مع مصالح الشعب، بل مع مصالح الشركات. وهذه السُّلط الجديدة هي سُلط تفعل فيها النُّخب الجديدة التي ستقضي على مفهوم الاقتصاد كما نعرفه"[1]

6-موقف هابرماس من الإرهاب

يمكن أن نتتبع موقف هابرمايس من الإرهاب من خلال الحوار الذي أجرته معه الفيلسوفة جيوفانا بورادوري Giovana Borradori [2]والتي بادرت إلى توجيه سؤال مباشر على الفيلسوف علما أنه من عادة الفلاسفة تجنب الإجابة على هكذا أسئلة صريحة: ماذا تقصد بالإرهاب؟ هل يمكننا التمييز بين الإرهاب الوطني والإرهاب العالمي؟ لقد تضمنت إجابة هابرماس مقارنات بين الإرهاب القديم والإرهاب في صورته الحديثة وأشكاله المعاصرة فالقتل بالنسبة إليه هو إبادة الأعداء بصورة عمياء وهنا القتل يكون من دون تمييز بين العدو والأطفال أو حتى النساء. هناك إرهاب يمارس بشكل شبه عسكري تجسده العصابات وحركات التحرير في النصف الثاني من القرن العشرين ربما حالة نضال الشيشان ضد روسيا تقدم لنا نموذجا مثاليا لهذا النوع من الإرهاب العالمي أو هجومات الحادي عشر من سبتمبر. بالنسبة لهابرماس هناك قناعة لدى الإرهابيين بأن إلحاق الأذى والترهيب (شعور السكان بالصدمة) هي أقصى ما يمكن إلحاقه بالعدو وليس هزمه نهائيا بالنظر لاختلال ميزان القوى. كما توفر الحساسية الشديدة لمجتمعاتنا المعقدة للتدمير فرصًا مثالية للانهيار العرضي للأنشطة اليومية مما قد يؤدي إلى ضرر كبير بأقل تكلفة وهكذا يدفع الإرهاب العالمي بطرفين إلى أقصى الحدود: عدم وجود أهداف واقعية والقدرة على الاستفادة من ضعف النظم المعقدة. يركز هابرماس على وجهة نظر أخلاقية حيث لا يمكن إعفاء أي عمل إرهابي مهما كانت دوافعه ومهما كان الموقف الذي يرتكب فيه بأي شكل من الأشكال من المسؤولية عن القتل أو النتائج التي يسببها فلا شيء يسمح لأحد بأن "يأخذ في الحسبان" الغايات التي قدمها شخص لنفسه ومن ثم يبرر موت ومعاناة الآخرين لأن كل عملية ستسبب لامحالة في وفاة أبرياء لا دخل لهم.

من وجهة نظر تاريخية، يدخل الإرهاب في سياقات مختلفة تمامًا عن تلك التي يتعامل معها القاضي الجنائي، إنها تستحق عكس الجريمة الخاصة مصلحة عامة وتتطلب نوعًا مختلفًا من التحليل عكس جريمة الشغف وهنا يمكن تلمس إجابة تتضمن حدودا مختلفة من وجهة نظر هابرماس الأمر لا يتم تحليله من طرف الجميع بنفس الكيفية وبناء على نفس المعايير، فالفرق بين الإرهاب السياسي والجريمة المعتادة واضح بشكل خاص في بعض تغييرات النظام

[1] Oskar Negt, A, Kluge: **l'espace public oppositionnel**, traduction par Alexander Neumann, Payot, Paris, 2007, p 221

[2]**Le Concept du 11 septembre, Dialogues de Jürgen Habermas and Jacques Derrida** , Chicago, IL: (*University of Chicago Press, 2003*).

التي تجلب بعض إرهابيي الماضي إلى الحكم وتجعل منهم ممثلين محترمين وشرعيين لمواطنيهم ولبلدانهم. هذا التحول السياسي كما يراه هابرماس لا يمكن توقعه إلا للإرهابيين الذين يسعون لتحقيق أهداف سياسية واقعية مفهومة حيث تكون أعمالهم الإجرامية مبررة للغير وبالتالي يمكنهم الاستفادة من شرعية معينة ربما بسبب ما لحقهم تاريخيا من ظلم أو جور ومع ذلك لا يستطيع هابرماس أن يتخيل أي سياق يجعل من الجريمة الوحشية التي وقعت في الحادي عشر من سبتمبر بمثابة عمل سياسي لأن هذا سيكون أمرا غير مفهوم بالنسبة إليه. حتى لو كانت كلمة "الحرب" أقل عرضة لسوء الفهم ومن وجهة نظر أخلاقية فهي أقل عرضة للتحدي من خطاب يثير "الحملة الصليبية" فقرار بوش بالدعوة إلى "الحرب ضد الإرهاب "يعتبره هابرماس خطأ كبيرا خصوصا من وجهة نظر معيارية وبراغماتية. من منظور سياسي يتم الإعلاء من شأن الإرهابيين ورفعهم من مجرد مجرمين عالميين إلى رتبة المحاربين الأعداء فعوض الشروع في الحرب والاعتذار عن أضرارها الجانبية فيما بعد على الغرب أن ينتقد ذاته ويراقب سلوكاته ثم يشرع في البحث عن لغة جديدة تقوي علاقاته مع الحضارات والثقافات الأخرى. لقد تساءل هابرماس فيما إذا كان كل النشاط الموجه نحو الفهم في مواجهة أحداث العنف هو المفهوم الذي يطوره في نظريته للفعل التواصلي. غير أنه يعترف بأن العنف موجود حتى داخل المجتمعات الغنية وهو يصنفه عنفا هيكليا سمته الأساسية الإجحاف الاجتماعي التمييز المهين الفقر والإهمال. لقد حاد هابرماس عن كل خطاب يخلق مزيدا من الاستقطاب ورفض نمطية الخطاب الاجتماعي والسياسي المألوف والذي يجعل الإشكالية محصورة في صراع متزايد بين الخير والشر أولئك الذين ومن أجل أسباب "عادية" (مثل Eichmann) يبالغون في تنفيذ سياسة قائمة على الشر المتطرف انه نوع من المساهمة في الإرهاب الذي ترعاه الدولة تحت ذريعة تحقيق أغراض معينة من قبيل الأمن والوحدة ومحاربة إطماع الانفصال.[1]

استنتاج عام

لقد تزامن الدخول الأول لمصطلح إرهاب في الخطاب الغربي مع خلق تبرير أخلاقي وتفشي طغيان السلطة السياسية في هذا الصدد تؤكد الباحثة في الفلسفة السياسية رقية كمال أن" كلمة «الإرهاب» تعني فترة إرهاب اليعاقبة أو اليعقوبين «نسبة إلى دير القديس يعقوب»، الذي فرض على فرنسا من خريف عام 1793م إلى صيف عام 1794م. كان هدف اليعاقبة هو إعادة تشكيل المجتمع والطبيعة البشرية. وكان ذلك يتحقق من خلال تدمير النظام القديم، وقمع أعداء الحكومة الثورية، وغرس وتطبيق الفضيلة المدنية من وجهة نظرهم"[2] غير أن ظهور المنظمات الثورية والاتجاهات الفوضوية اليسارية بفرنسا واسبانيا وروسيا غير من طبيعة المفهوم ليتحول إلى طرائق ملموسة وهذه التطورات عكسها توجه يميل إلى معاقبة الظالمين والطغاة بواسطة الاغتيالات وربما هذا ما قصدته رقية

[1] Giovanna Borradori , **Philosophy in a time of terror**, The University of Chicago Press , Chicago ,2004, p 28

[2] رقية كمال، **"الإرهاب في أفق النقاش الفلسفي، هل نستطيع تبرير الممارسة الإرهابية أخلاقيا؟"**، *مجلة الفيصل "الكترونية"*، عدد يوليو 5 2016 تم تصفحه على الموقع الالكتروني: https://www.alfaisalmag.com/?p=2304 بتاريخ 2019/08/30 .

كمال بتساؤلها عن التبريرات الأخلاقية للإرهاب و إشكاليات علاقته بالثورة والنضال ففي الوقت الذي تتحين فيه المعارضة الفرصة لقتل أعضاء محسوبين على النظام كانت الأجهزة الرسمية تمارس إرهابا متطرفا شموليا يبدأ بتعذيب المعارضين وينتهي باغتيالهم بطرق مدروسة وهكذا وقع خلط واضح بين إرهاب الأفراد و إرهاب الدول وإرهاب المنظمات و إرهاب الحركات التحررية حتى تحول الإرهاب إلى إرهابات كل بحسب تبريراته و أهدافه و دعايته.

لقد وقع استغلال مقيت للمفاهيم واللغة وصرنا نجد معاني متدفقة متداولة لمفهوم لا نقصد به دوما نفس الشيء غير أن نفس المفهوم تدريجيا بدأ يأخذ معنى سالبا لا غير خصوصا بعد التطورات التي عرفتها الخلافات السياسية وما نجم عنها من صراعات إقليمية دموية مما أدى إلى إنتاج أشكال جديدة من العنف والتخويف تستهدف المدنيين من الأطفال والنساء وممن لا ذنب لهم وبذلك أصبح الإشكال المطروح لماذا تم إقحام من لا صلة لهم بالقضية أساسا؟ متى يكون العنف مشروعا ومباحا؟ متى يكون مقاومة وتحررا ومتى يكون إرهابا وقتلا؟ من له الصلاحية في تحديد معنى حصري للمفهوم؟

بالمحصلة برزت في الأفق مجموعة من الاختلافات المرجعية والإيديولوجية حول معاني العنف و أدى ذلك إلى تكريس الهوة بين الدلالات المختلفة و رغم إجماع الكل على أنه نوع من العنف أو الضرر المتعمد إلا أنه إجماع هش لا أساس يدعمه لأن القضايا التي ولدت العنف و عززته بقيت مطروحة على الطاولة ولم تحل بعد[1]، و هو ما تزكيه الباحثة اندريا بليباني Andrea Plebani (المعهد الايطالي للدراسات السياسية الدولية) والتي أكدت على وجود "المزيد من العقد الإقليمية أكثر من أي وقت مضى و التأثير الهائل على الأجزاء الأكثر تطرفاً في المجرة الإسلامية الراديكالية الأوسع".[2]

قد يعود مصدر الاختلاف إلى نوعية القضايا و إلى تباين وجهات النظر السياسية حولها خصوصا وأن تحصيل الغايات كان مهما للبعض من كل تلك الغايات الأخلاقية الطوباوية و هكذا اتفق البعض على أن استعمال العنف ضد المسالمين وغير المعنيين بالصراع يعد قضية لا أخلاقية غير أنها ظلت أيضا خلافية تطرح أبعادا جنائية و أخلاقية و سياسية فالأفراد الذين يكونون ضحايا العنف ليسوا من الأطراف المتصارعة أصلا و هذا انعكس على مصطلح الإرهاب في السياق الأوروبي الذي "يشير فقط أرثير برادلي Arthur Bradley إلى الأفعال التي تصدر من الجهات الفاعلة غير الحكومية"[3]. فمن الناحية الجنائية سوف نتساءل من المسؤول؟ وعلى من سنوقع الجزاء

---

[1] إيجور بريمورتز **الإرهاب: القضايا الفلسفية** (نيويورك: بالجريف ماكميلان)،2005، ص6.

[2] Andrea Plebani, **New (and old) patterns of jihadism : al-Qa'ida the islamist state and beyond** ,(instituto per gli studi diplomatica internazionale),Milan,2014,p8.

[3]Arthur Bradley,**Next Generation Jihad : Islamist extremism and Terrorism in Europ since the Emergence of the Islamic state,** (Terrorism and Security Dissertation),2017,p10.

والعقاب؟ ما يبرر قتل الأبرياء ولماذا سوف نلجأ للعنف ضد من هم ليسوا على علاقة بالصراع؟ ولماذا تتم مهاجمة من هم أولى بالحصانة والحماية؟ من الناحية الجيوسياسية من له مصلحة في العنف والإرهاب؟ لماذا لم يعتمد الأطراف آليات أخرى لحل الخلاف؟ لماذا تم إغفال باقي الأطراف المعنية بالصراع؟

ينبغي النظر إلى العنف أو الإرهاب من منظور حتمية الصراع بين الأفراد العائد لوجود اختلافات ثقافية بين الأفراد و المجموعات فالبحث عن الاعتراف أدى إلى ظهور صراعات و خوض الأفراد للكفاح المستميت من أجل ضمان وضع اعتباري يزكي صراعا أبديا بين النفس الإرهابية والآخر[1] فسواء تعلق الأمر بالإبادة أو بالكفاح من اجل الاعتراف فهناك دائما و أبدا معادلة طرفاها الذات و الآخر فالكفاح من أجل نزع الاعتراف يحدد العلاقة مع الآخر و هذا الآخر ضروري و لا يمكن القضاء عليه نهائيا لأن وجوده هو ما يضمن الاعتراف وبذلك يحافظ السادة على العبيد لأن الاعتراف أولا و أخير يقتضي وجود الشخص المعترف وثانيا لأن مجرد تعذيبهم أو تجويعهم لا يعني بالضرورة قتلهم أو إبادتهم لأنهم يظلون أحد أطراف المعادلة غير أن هذه المعادلة لا تستمر هكذا في حالة الإرهاب لأنه ببساطة لا يتم الاحتفاظ بالآخر بل على العكس هناك رغبة ملحة و مطلقة تدفع إلى تدميره وتنحيته من الوجود وكأن هذه الرغبة الجامحة هي تأكيد للحرية المطلقة والتي لا تكون إلا بالاستحواذ على كل شيء وعدم مشاركته من قبل الغير. فإذا افترضنا أن المسألة تتعلق بالاعتراف فالذات في سعيها لنيل الاعتراف من الآخر تقوم بتدميره لأنه في نظرها لا يوجد شيء آخر في الوجود مستقل غيرها هي وحدها لكن الآخر مثل الذات لديه هو الآخر مطالب مماثلة وبهذا تتحول هذه الجولة بين الذات والآخر إلى معركة حتى الموت بين متنافسين على نفس الحقوق ويحدث تصادم ينتج عنه تحقيق اعتراف غير متبادل أو اعتراف من جانب واحد.

ربما سيجد السيد نفسه في الطرف المريح من المعادلة ويجد العبد نفسه في الطرف النقيض حيث سيفقد استقلاليته وهيبته وحريته. لكن السؤال هنا حول الاعتراف نفسه: هل هو اعتراف منزوع بالقوة أو هل هو نتيجة تخويف هل الذات التي قدمت الاعتراف في كامل استقلاليتها وهل يمكن تحقيق اعتراف خالص وغير محكوم بنوع من التدمير والقتل؟ فمن أجل تحصيل اعتراف مؤكد عليك أن تهزم الآخر وعليك عدم إبقاءه على الحياة وبالنسبة للذات المنهزمة هل ستبقى في حالة من العبودية حتى الموت؟ بالنسبة لهيجل يوجد نوع من الاغتراب ناتج عن عدم قدرة التكافؤ وعدم تمكن العقول من تحقيق اعتراف متبادل أساسه الحرية والاستقلال وذلك بسبب وجود أنواع مختلفة من الحقوق والواجبات ومن تم يتحول الفرد إلى سيد

[1] Muhammad Kamal , **The Meaning of Terrorism**: **A Philosophical Inquiry** , *(National Centre of Excellence for Islamic Studies NCEIS)* , Research Papers Volume 1, No. 1 Asia Institute The University of Melbourne 2008 NCEIS Australia consulter le 01/07/2019. ISSN: 1836 - 5442

بواسطة الاعتراف ويتحول فرد آخر إلى عبد بسبب خسارته لمعركة التصادم.[1] وهكذا فالتعريف الملائم وجب أن بعين الاعتبار وجود حسابات سياسية على قدر من التباين والاختلاف بين مرتكبي الفعل الإرهابي وبين ضحاياه، بين من يقومون بتغطيته إعلاميا وبين من يدينونه سياسيا أو أخلاقيا.

يعرف توني كادي Coadγ, C. A. J. Tonyالإرهاب بأنه **"الاستخدام المنظم للعنف لمهاجمة غير المقاتلين ("الأبرياء" بمعنى خاص) أو ممتلكاتهم لأغراض سياسية"**[2] ربما هذا التعريف يكتسي طابعا تكتيكيا لأنه يحتوي على بعض الصعوبات في تحديد غير المقالتين الذين يوجه العمل الإرهابي ضدهم وفي هذه الحالة نكون أمام إشكال تقصي نوعية العمل الإرهابي نفسه هل هو تدمير أم مجرد تخويف.

بالنسبة لطوني كادي لا يمكن معالجة القضايا المختلفة المتعلقة بشرعية الأعمال الإرهابية أو ردود الفعل المناهضة للإرهاب معالجة كافية ما لم نكن واضحين بشأن الموضوع الذي نناقشه. فالنقاش حول الإرهاب يعكس أغراضا متداخلة تتعلق بالتشويش الراديكالي حول ما يتم مناقشته بالضبط: هل العنف متضمن في أعمال الترهيب؟ هل التكتيكات الأخرى التي تروم خلق حالة من الفزع يمكن إدخالها في قائمة الأفعال العنيفة والإرهابية؟ هل العمل الإرهابي ينبغي فيه أن يبث الفزع في غير المتحاربين؟

عندما يُعتقد أن الترهيب هو "جوهر" الإرهاب فإن الفرق بين أنواع مختلفة من الأفعال التي تحفز التخويف أو تسبب الخوف تطرح صعوبة التوافق على أي معيار يمكن التمييز بين أنواع مختلفة من الحالات التي قد تحفز تخويف الأفراد و ترهيبهم كما هو الحال في حالة الكوارث الطبيعية حيث يحصل خوف لكن بسبب ظرف أو طارئ طبيعي و من دون توخي نتيجة معينة في حين أنه في حالة الإرهاب يكون العنف موجها من شخص اتجاه آخر بنية معينة وبذلك نصل إلى نتيجة مفادها أن الترهيب العمدي هو فعل إنساني خالص لأن الأفراد وحدهم قادرين على إحداثه عمديا والطبيعة مهما كان ضررها بالغا فهي لا توصف بالإرهابية وبذلك لا يمكن أن نقبل بالتعريفات التي تعتمد فقط طبيعة الفعل أي "استخدام العنف" لتحديد جوهر الإرهاب فالطبيعة رغم أنها قد تسلط على الأفراد قوة عنيفة فهي لا تتوفر على أجندة سياسية معينة. في معظم العمليات قد يُحدث الإرهاب تخويفًا وترهيبا ملموسا و طالما أنه عمل "إرهابي" فانه يستعين أو يستخدم نوعا من العنف و بذلك يحافظ الإرهاب على جوهره من خلال حفاظه و تمسكه بالعنف الذي يسمح له بتحقيق مستوى معين من الرعب غير أن إثارة الترهيب هذه ليست من أجل نزع الاعتراف كما هو الحال في حالة القتال بين السيد و العبد التي أشار إليها الفيلسوف هيجل في تحليله لظواهر العقل فالنفس الإرهابية

[1] Ibid p6-8

[2] إيجور بريمورتز،**الإرهاب: القضايا الفلسفية**، دار النشر بالجريف ماكميلان، نيويورك، 2005، ص4-9

للإشارة فمداخلة طوني كانت بعنوان« تعريف الارهاب Defining Terrorism » ، ص3-14.

لا تنوي إخضاع الآخر من أجل الاعتراف الموضوعي أو الحصول على استقلال مؤكد مطلق عنه. فهل يمكن لمن يعتنق العنف أو الإرهاب أن يحوز يقينا تاما بأنه أصبح حرا؟ هل في تدمير الآخر اكتساب للحرية المطلقة وضمان للعيش في عالم خالي من المنافسة؟ هل الآخر الذي تم تدميره ليس مشابها للذات؟ هل من المفروض فيه أن يعيش متطابقا معها؟

يصبح بذلك جوهر الإرهاب كامنا في الصورة التي نكونها نحن عن الآخر في تقييمنا لدرجة خطورته في اختيارنا لنمط معين من الاصطدام معه وهزمه بدل التواصل معه وبهذا يصبح كل شيء عدا الذاتية غير مرحب به وتتولد قناعة كاملة بأن ما هو خارج الذات لا يمكنه إلا أن يشكل خطرا جسيما ومحدقا عليها وجب القضاء عليه قبل فوات الأوان وهذه الفكرة عن الآخر تقوم على أساس على مبدأ أنه لا يوجد شيء خارج مجال الذاتية المطلقة. قد تتحول وضعية الدفاع إلى هجوم كاسح وتنبث الرغبة في العيش من القدرة على التدمير والفتك غير أن التخويف الناجم عن النفس الإرهابية لا ينتهي مع الاستسلام أو الاعتراف بالنفس الإرهابية من قبل الآخر، فجوهر العمل الإرهابي يقضي بإنهاء وجود الآخر كغاية.

في السياق ذاته ينبه تروتسكي إلى فعالية التخويف في تحطيم إرادة العدو والى اللجوء إليه من طرف القوى المتصارعة وفي مؤلفه **"الإرهاب والشيوعية 1920"** يؤكد على أنه أحيانا يكون الإرهاب فعالاً ضد الطبقة الرجعية التي لا تريد أن تغادر الحلبة وأن الحرب شأنها شأن الثورة تستند إلى مبدأ التخويف كما أنها قد لا تبيد عامة إلا جزء صغير من الجيش المقهور وتقضى بصفة خاصة على معنويات الآخرين وتحطم إرادتهم وتسلك الثورة السلوك ذاته: أنها تقتل بضعة أشخاص وتخيف ألفًا. وبهذا المعنى لا يتميز الإرهاب الأحمر مبدئيا عن العصيان المسلح الذي ليس هو إلا استمرار له..."[1]

ومع هيجل الإرهاب يجسد مرحلة من التطور التاريخي للذات فكل لحظة جدلية جديدة هي أكثر تقدما من اللحظة التي سبقتها وهذا يدفع للتساؤل ما إذا كان الإرهاب ضرورة تاريخية؟ هل هو لحظة أكثر تقدمية من غيرها؟

لقد تحدد الهدف المعلن من التنوير بحسب هيجل في تحقيق العالم بشكل أكثر عقلانية من قبل الذات بواسطة الوعي تم الحكم عليه و هذا ممكن فقط عندما يتم تحويل العالم جدليًا إلى شيء غير مختلف بل إلى شيء أكثر انسجاما و تآلفا أي إلى عالم عقلاني بحيث تصبح الذات والعالم شيئا واحدا متجانسا غير أن الجدلية تقتضي أيضا وجود شيء من الاختلاف والتنوع لأنه في هذا فهم للعالم واستيعاب له من قبل الذات والتي تسعى في النهاية إلى عزل الحقيقة الخارجية عن النفس من خلال التحلي بنوع من البصيرة والتي تعطينا ما نطلق عليه الثقافة فالذات تترك وراءها ازدواجيتها مع العالم الخارجي انه نوع من الانتقال من

[1] ليون تروتسكي **الإرهاب والشيوعية**، ترجمة جورج طرابيشي دار دمشق للطباعة والنشر 1920 ص 41.

الوعي بالعالم الخارجي إلى الوعي الذاتي أو العودة إلى جوهر الذات الخاص حيث يتم حل موضوعية العالم و غرابته في الذاتية وبهذا يكون التنوير على حد التفسير الهيجلي هو أرضية محتملة لتصاعد طيف الإرهاب[1]

يجب أن نذكر بأن المنطق الجدلي لا يعاقب الفناء الكلي للآخر باعتباره نقيضا بل هناك إنكار للنفي (أو النفي المزدوج) ولوحدة التنوع أو للهوية في الاختلاف،[2] إنها وحدة يبقى فيها الأضداد كأضداد الذي لا يجمعهم معا أي توليف ولعل المطلوب هو الوصول إلى توحيد الأضداد فالذات العنيفة تبحث عن إلقاء القبض على شيء جديد ولهذا نجد الذات الإرهابية التي ظهرت مع التنوير لا تنسجم مع المبدأ الجدلي الذي يزكي التنوع والاعتراف بالاختلاف. فهل يمكن لهذه الذات العنيفة أن تحول موضوعية الآخر إلى موضوعية ذاتية وبالتالي القبول بالتشابه الذي يشمل الفرق؟ لماذا لا تسعى إلى إيجاد حلول بديلة للتواصل والتعايش؟

ربما تجب موقعة الممارسة الإرهابية ضمن سياق التصادم بين القوى الحديثة والمحافظة وهو بالمحصلة ليس صراعا بناءً من أجل التقدم والتطور ولكنه عنف يروم تحويل الآخر من دائرة الوجود إلى دائرة النفي والعدم.[3]

يتمثل السياسي الإرهاب من خلال درجة المقدرة على القتل أي على أساس عددي فيما إذا كان لدى الأفراد العنيفين أو "الإرهابيين" أو "المجموعات" التي تحتضنهم الإمكانية المحتملة لإبادة مئات أو الآلاف من الأبرياء؟ هل درجة نشرهم لنوع من الخوف قد تجعل فكرة المجتمع المنفتح والمتسامح تغدو شيئًا من الماضي ثم هل التهديد المحتمل والذي يتوقعه البعض بشكل مبالغ فيه قد يشكل تهديدا لـ "طريقة حياتنا" الأساسية ولمستقبلنا كآدميين نعيش في مجتمعات سياسية سمتها الأساسية والجوهرية التعاقد والانضباط للقوانين المختلفة؟

يذهب ماكس فيبر الى أنه في عالم غير مؤكد وخطير تحمي الدولة نفسها بوسائل في الغالب تتجاوز الفضائل والأخلاق الممكنة وهذه القوة المدعومة بالعنف تجعل من المجال السياسي لا يتميز بأي غرض محدد من الأغراض فالسياسة تتحول لمهنة والروابط السياسية تصبح غير قابلة للاختزال بحيث تحكمها علاقات الهيمنة والقوة القسرية التي يتم احتكارها واستخدامها داخل إقليم معين.

---

[1] مارتن هايدغر **الهوية والاختلاف** ترجم مع مقدمة جوان تامبو (شيكاغو ولندن: مطبعة جامعة شيكاغو 2002) 25-28.

[2] جورج فيلهلم فريدريش هيجل **ظواهر العقل** مترجم مع مقدمة وملاحظات بقلم ج. ب. بيلي (نيويورك: دار النشر هاربر آند رو 1967) ص 511-513.

[3] مرجع سابق ص 601.

قد نجد في الوصف الذي قدمه الدكتور نورمان بودهوريتس Norman Podhoretzفي "في كتابه (الحرب العالمية الرابعة 11 سبتمبر 2007) بعض الإثارة في وصفه للحدث هو على بعد مسافة صغيرة من النقطة الصفر غير أنها إثارة متوجهة إلى تنامي الفاشية الإسلامية و إظهار متعمد لجانب من غطرستها:

"....."The attack came, both literally and metaphorically, out of the blue. Literally, in that the hijacked planes that crashed into the twin towers of the World Trade Center on the morning of September 11, 2001, had been flying in a cloudless sky so blue that it seemed unreal…" [1].

ربما تتبع الصلة بين الإرهاب والعنف يلزمنا بالتحقق أولا مما إذا كان دافعو الضرائب متواطئين في الحروب غير القانونية التي تشنها حكوماتهم وأن نفحص فيما إذا كانت الشركات الوطنية أو متعددة الجنسيات متواطئة بشكل مباشر أو غير مباشر في انتهاكات حقوق الإنسان التي يرتكبها موردوها وأيضا النظر فيما إذا كان الأفراد والقبائل والسكان المدنيين الذين يؤيدون الميليشيات جزءا من عمليات إرهابية بفعل تواطئهم ولامبالاتهم بما يقومون به من أعمال تدعم من قريب أو من بعيد أجندة الإرهاب.

ربما علينا أيضا أن نؤسس لمعادلة جديدة تقطع الصلة بين الإرهاب والعنف وتترك جانبا كل تلك التعريفات التي تستمر في تحديد الإرهاب كوسيلة من وسائل العنف أو التخويف أو الإكراه وبهذا نبحث في معنى مغاير يكون بموجبه الإرهاب غير منطويا بالضرورة على العنف أو مغلف به لنراجع عن كثب كل تلك الممارسات التي تغلف بأعمال إغاثة وقد يكون الإرهاب عملا سلبيا كامنا في صورة تواطؤ مع جهات معينة لخدمة أجندة معينة.

هناك من يعلل العنف و يعتبره الشيء الصحيح الذي يجب فعله و أنه الطريقة الوحيدة لتحقيق الخير الأكبر و من أجل تسليط مزيد من الضوء على هذه القضية نعتمد وجهة نظر أحد رواد الفلسفة السياسية الحديثة كودين و ليبرا[2] LEPORA وكودين [3]GOODIN في مؤلفهما "(**التواطؤ والتسوية2013 On Complicity and Compromise**)حيث يظهر عملهما كدليل فائدة تطبيقية وعملية في تحديد حجم التواطؤ كما أنه يعد دليلا إرشاديا

[1] Norman Podhoretz, ***World War IV: the long struggle against islamofascism***, (New York, Doubleday.2007), p 37

[2] ليبورا طبيبة ميدانية شغلت مناصب متنوعة في أنغولا وجمهورية الكونغو الديمقراطية وليبيريا والصومال وتشاد والكاميرون وجنوب السودان بما في ذلك تنسيق أنشطة صحة المرأة في دارفور بالسودان في عام 2004. لديها اهتمام عميق بالمعالجة الطبية لسجناء السجون ستنضم إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر للعمل طبيبة مسؤولة عن صحة المحتجزين وتقوم بالأنشطة لصالح الأشخاص المحرومين من الحرية في إسرائيل والضفة الغربية. نشرت Lepora مقالات حول الصحة العالمية والأخلاقيات الإنسانية في مجلة الفلسفة التطبيقية والفلسفة السياسية وأيضا في المجلة الأمريكية لأخلاقيات البيولوجيا. يتناول كتابها بعنوان "التواطؤ والتسوية" الذي شاركت في تأليفه الى جانب روبرت إ. جودن كيف يمكن للأفراد والمنظمات بما في ذلك الأطباء ومجموعات المساعدات الإنسانية أن يكونوا مرتبطين بتصرفات الآخرين.

[3] Lepora, Chiara; Goodin, Robert E, ***On complicity and compromise***, (Oxford United Kingdom: Oxford University Press, 2013). P 92.

لتقييم أي فعل معين من حيث درجة المشاركة فيما يتعلق بالجرائم العنصرية أو الإرهابية أو العنيفة أو التعذيب أو غيرها ويحاول المؤلف وبطريقة فلسفية أكثر استدامة تسليط الضوء على حالتين مزعجتين من التواطؤ في العالم الحقيقي: تواطؤ منظمات المعونة الإنسانية في الإبادة الجماعية التي تسيطر على مخيمات اللاجئين الروانديين و تواطؤ الأطباء الذين يعالجون المرضى الذين تعرضوا للتعذيب فهنا يمكن أن نلمس إرهابا من نوع آخر لا علاقة له بالعنف أو استخدام الترهيب والإكراه.

خاتمة

انطلاقا من المخرجات التي ارتآها هابرماس ضرورية لتجاوز معضلة العنف و الممارسة الإرهابية حاولنا أن نجري تحليلا فلسفيا مقارنا انطلقنا فيه من مرتكزات نظرية الفعل التواصلي الأساسية لنعرج بعد ذلك على بعض مقاربات الفلسفة السياسية خصوصا تلك التي حاولت البحث في دلالات مفاهيم العنف أو اقترحت تفسيرات جريئة لعدد من الإشكالات أطرت العنف أو اتصلت بمفهوم الإرهاب و هكذا عبد لنا المنهج الفلسفي الطريق و سمح لنا و لو جزئيا بتكوين فهم نقدي على درجة عالية من الوضوح بحيث أصبحنا نرى العنف والإرهاب بدلالات مغايرة أقل تسييسا معاني تسمح بكتابة تاريخ مغاير للعنف و الممارسات الإرهابية تاريخ يرسم موقعا للإرهاب يكون فيه هذا الأخير محايثا للعنف السياسي أو نتيجة له.

مراجع معتمدة بالفرنسية

- Andrea Plebani, ***New (and old) patterns of jihadism : al-Qa'ida the islamist state and beyond***,(instituto per gli studi diplomatica internazionale,Milan,2014)
- Arthur Bradley,"Next Generation Jihad : Islamist extremism and Terrorism in Europ since the Emergence of the Islamic state", *Terrorism and Security Dissertation*,(2017)
- G. W. F. Hegel, ***Absolute freedom and terror***, in: Hegel ***The phenomenology of spirit ,*** translated by A. V. Miller , (New York, Oxford University Press,1977)
- Giovanna Borradori , ***Philosophy in a time of terror***, (The University of Chicago Press,2004)
- Jean-Louis Bourget et all, **Le Système totalitaire**, (Points / Essai 2005)
- Lepora, Chiara ; Goodin, Robert E. ***On complicity and compromise*** (Oxford University Press, 2013)
- Max Weber, Politics as a vocation, in : H. H. Gerth & C. Wright Mills (Eds), From Max Weber: essays in sociology,(Publisher: New York : Oxford University Press, 1958)
- Muhammad Kamal, "The Meaning of Terrorism : A Philosophical Inquiry" *National Centre of Excellence for Islamic Studies Research Papers Asia Institute The University of Melbourne* NCEIS Australia, Volume 1, No. 1 (2008).
- Muhammad Kamal, « The Meaning of Terrorism : A Philosophical Inquiry, *National Centre of Excellence for Islamic Studies NCEIS Research Papers Volume 1, No. 1 Asia Institute The University of Melbourne 2008* NCEIS Australia .
- Norman Podhoretz,***World War IV: the long struggle against islamofascism*** ,(Doubleday New York , 2007).
- Orhan Can Batucan , ***Question de l'animal chez Martin Heidegger et Gilles Deleuze*** , Thèse de Doctorat , (Université Gatalasaray , Institut des sciences sociales , Département de philosophie Fevrier 2015).

- Oskar Negt, A, Kluge, ***l'espace public oppositionnel***, traduction par Alexander Neumann, (Payot, Paris, 2007).

مراجع معتمدة بالعربية

- أوسكار نيغت، « **هابرماس: المثقف السياسي، إلى هابرماس في عيد ميلاده الثمانين»** ، ترجمة: رشيد بوطيب، **مجلة فكر وفن**، (عدد 92 السنة التاسعة والأربعون 2010).
- إيجور بريمورتز،**الإرهاب: القضايا الفلسفية**(دار النشر نيويورك: بالجريف ماكميلان نيويورك2005)
- توفيق شومر ***فعل الفعل التواصلي عند هابرماس***،نشاطات الفكر الاشتراكي،(قناة الفينيق،2016)
- جورج فيلهلم فريدريش هيجل **ظواهر العقل** (دار النشر هاربر آند رو، نيويورك 1967).
- ذياب غليم الحسناوي، ***الأبعاد التداولية عند الأصوليين : مدرسة النجف الحديثة أنموذجا*** مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،2016).
- رقية كمال« **الإرهاب في أفق النقاش الفلسفي، هل نستطيع تبرير الممارسة الإرهابية أخلاقيا؟»** ، (مجلة الفيصل،عدد 5 يوليو 2016)
- ليون تروتسكي **الإرهاب والشيوعية**، ترجمة جورج طرابيشي (دار دمشق للطباعة والنشر1920).
- مارتن هايدغر **الهوية والاختلاف** ترجمة جوان تامبو (جامعة شيكاغو 2002).
- محمد حداد **الدولة العالقة، مأزق المواطنة والحكم المدني في المجتمعات الإسلامية**، (دار التنوير للطباعة والنشر، ط1 مج 2018,1).

سوريا بين الصراعات الدولية والإقليمية

Syria between international and regional conflicts

أحمد أهل السعيد[1] **AHMED AHL ESSAID**

طالب باحث بسلك الدكتوراه في العلاقات الدولية، جامعة محمد الخامس، المغرب.

PhD student in international relations, Mohammed V University, Morocco.

ملخص:

تروم هذه الدارسة إلى إثارة نقاش حول الثورة السورية التي أضحت مرتعا لنشاط الجماعات الإرهابية. حيث أدى اندلاع الثورة السورية إلى خلق صراع بين الجماعات المسلحة8 والحكومة السورية، فكان لا بد من تدخل جامعة الدول العربية في الأزمة السورية، لكن هذا التدخل باء بالفشل، فكان لزامًا من تدخل القوى الدولية في الأزمة السورية، ومع هذه التدخلات، أضحت سوريا فضاءَ صراعات إقليمية ودولية.

كلمات مفتاحية: سوريا، الإرهاب، الشرق الأوسط، الصراع الدولي، الصراع الإقليمي.

Abstract

This study seeks to shed light on the revolution in Syria, which turned into an opportunity for the activity of terrorist groups, which led to the outbreak of a conflict between armed groups and the Syrian government, which prompted the Arab League to intervene in the Syrian crisis, but the failure of the Arab League to resolve the Syrian crisis prompted international powers to intervene in the Syrian crisis. Syria has become a space for regional and international conflicts.

Keywords: Syria, terrorism, the Middle East, international conflict, regional conflict

ahmedahlessaid@gmail.com[1]

مقدّمة

كان لسقوط الاتحاد السوفيتي والعراق انعكاسات جيوسياسية لصالح الولايات المتحدة، فقد أدى ذلك إلى فراغ استراتيجي في الشرق الأوسط، وما كان للولايات المتحدة إلا أن استغلت هذا الشرخ لإدارة الصراع في الشرق الأوسط بأساليب جديدة من الجيل الرابع للحروب: الحرب الناعمة، والتي تتوخى من خلالها الولايات المتحدة إزالة كل معرقل لمصالحها، وخلق كل محقق لها. ولن يتحقق ذلك هذه المرة إلا بطرق دبلوماسية وليست عسكرية، وما مجيء أوباما إلى البيت الأبيض إلا مؤشر على تغير السياسة الأمريكية الخارجية، و تصريحه دال على ذلك، فقد خطب في القاهرة بتاريخ 4 يونيو 2009، قائلا : "إنني أعتقد أن أحداث العراق قد ذكرت الولايات المتحدة بضرورة استخدام الدبلوماسية لتسوية مشاكلنا كلما كان ذلك ممكنا، وفي الحقيقة إننا نتذكر كلمات أحد كبار رؤسائنا توماس جيفرسون الذي قال :إنني أتمنى أن تنمو حكمتنا بقدر ما تنمو قوتنا، وأن تعلمنا هذه الحكمة درسا مفاده أن القوة ستزداد عظمة كلما قل استخدامها... إن خوض الحروب أسهل من إنهائها".

لقد لقنت الحرب في العراق الولايات المتحدة، رغم الخسائر المادية والبشرية، درسًا في أساليب جديدة متعلقة بإدارة الصراعات المعاصرة. وكان من أبرز هذه الأساليب: إدارة الثورات العربية المحققة لسياستها في الشرق الأوسط. لكن هذه السياسة واجهت معارضة من قبل القوى الدولية والإقليمية الصاعدة: روسيا، إيران، سوريا، حزب الله. تعارض المصالح بينهما، جعل القوى الدولية والإقليمية تدخل في حرب بالوكالة، فكانت سوريا ساحة مناسبة لذلك. فمن ينتصر في هذه الحرب، يشكل الشرق الأوسط الجديد.

شكلت الثورات العربية سنة 2011 حدثًا مهمًا في الشرق الأوسط. فقد تم استغلالها من طرف كل القوى الدولية والإقليمية المتصارعة لتحقيق مصالحها الجيوسياسية في الشرق الأوسط. وكانت سوريا الضحية الأبرز، سعت القوى الغربية وإسرائيل ودول الخليج وتركيا، انطلاقا من ذلك، إلى إسقاط نظام الأسد وإقامة حكومة حليفة للغرب ولدول الخليج؛ فلما قامت احتجاجات شعبية في مدينة حماة، زارها السفير الأمريكي لتشجيع المتظاهرين، مما دل على تواطؤ الولايات المتحدة مع الأزمة السورية[1]. تحولت الانتفاضات الشعبية في سوريا بشكل سريع إلى مواجهات مسلحة. كان الهدف من العملية هو تأزيم الوضع والدفع به إلى المواجهة العسكرية، لذلك تأسس الجيش السوري الحر. ودخلت الدول الإقليمية والدولية على الخط لعسكرة الثورة.

[1] - قال الصحفي الأمريكي ريز إرليخ " أخبرتني إدارة أوباما أنها حتى أبريل 2012 قد قدمت مائة مليون دولار من أجل الرواتب والمعدات التي يحتاج إليها المجلس الوطني السوري، ولكنها أضافت :لكن المجلس الوطني السوري يعاني من التمزق الفئوي. ونحن نحاول أن نجد حصاناً يمكننا المراهنة عليه، إلا أننا لم نتمكن من ذلك بعد" ريز إرليخ، داخل سوريا، قصة الحرب الأهلية وما على العالم أن يتوقع، ترجمة رامي طوقان، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2015، ص 277.

مع بداية الأزمة السورية سنة 2011، توجه وفد خليجي إلى سوريا؛ مطالبا منها قطع علاقاتها مع إيران وحزب الله بغية توقيف الحرب ضدها. رفضت سوريا طلب الوفد، فحتم على الجامعة العربية التدخل في الصراع السوري، لكنها فشلت في ذلك، فأدى مباشرة إلى تدخل الأمم المتحدة.

وهو ما يدفعنا إلى إلقاء إشكالية:

كيف تمت إدارة الصراع في سوريا على المستوى الإقليمي والدولي؟

للإجابة على هذا السؤال، سنقسم هذه الدراسة إلى مطلبين: سنتطرق في المطلب الأول: دور جامعة الدول العربية في إدارة الصراع السوري، فيما سنخصص المطلب الثاني: الصراع السوري على المستوى الإقليمي والدولي.

المطلب الأول: دور جامعة الدول العربية في إدارة الصراع السوري

كانت سوريا أكثر ضررا من الثورات العربية، فقد تحولت سبب مباشر لاستقطاب الجماعات المسلحة، فأدى ذلك إلى اندلاع صراع بين الحكومة السورية والجماعات المسلحة، مما دفع جامعة الدول العربية للتدخل في الأزمة السورية (الفقرة الثانية)، فأرسلت على إثر ذلك بعثة مراقبين عرب إليها (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: دور جامعة الدول العربية في إدارة الصراع السوري

سعت الدوحة إلى التدخل المباشر وغير المباشر في سوريا تحت ستار البحث عن حلول عربية للمشاكل العربية[1] . لم يقتصر نفوذ قطر في هذه المرحلة على إدارة أزمة سوريا إعلاميا فقط، فقد كانت أيضا تديرها دبلوماسيا من خلال ترأسها للجنة العربية المعنية بالوضع في سوريا، ورئاستها لدورتين متتابعتين في الجامعة العربية لسنتي 2011 و2012. في هاتين السنتين عقد ما لا يقل عن عشرين اجتماعا في الدوحة، مما يدل على النشاط القطري، رغم أن القاهرة هي المقر التقليدي للجامعة العربية[2]. قال موظفو جامعة الدول العربية :"عندما نكون في الدوحة، نحصل على ما يصل إلى 10000 دولار لكل واحد و50000 دولار لكل رئيس قسم، لذلك يمكننا أن نفهم حرص هؤلاء المسؤولين في الجامعة العربية، على زيادة عدد الاجتماعات في الدوحة[3]. "

التقت اللجنة العربية برئاسة وزير خارجية قطر ورئيس وزرائها أحمد صباح بن جاسم مع الرئيس الأسد في دمشق بتاريخ 26 أكتوبر 2011، انتهى اللقاء بما يلي:

[1] - Kristian Coates Ulrichsen , Qatar and the Arab spring , Policy Drivers and Regional Implications, Carnegie Endowment for International Peace, Washington, 2014, p 8.

[2] - Christian Chesnot et Georges Malbrunot, Qatar les secrets du coffre-fort, Michel IAFON, Île de la Jatte, 2013, p 318.

[3] - Christian Chesnot et Georges Malbrunot, Ibid , 2013, p 320.

- العمل على وقف إطلاق النار أيا كان مصدره لحماية السوريين كافة؛
- إزالة كل المظاهر المسلحة؛
- الإفراج عن دفعات جديدة من المعتقلين السياسيين؛
- إجراء حوار بين الحكومة والمعارضة.

تم الاتفاق أيضا على استمرار الحوار بين الحكومة السورية واللجنة العربية، وهو ما تم في الدوحة بتاريخ 30 أكتوبر 2011، حيث توصل الطرفان إلى الاتفاق على خطة عمل وافقت عليها الجامعة العربية في دورتها غير العادية في 2 نوفمبر 2011، تتضمن ما يلي:

- وقف أعمال العنف أيا كان مصدرها حماية للمواطنين السوريين؛
- الإفراج عن المعتقلين بسبب الأحداث الراهنة؛
- إخلاء المدن والأحياء السكنية من جميع المظاهر المسلحة؛
- فتح المجال أمام منظمات الجامعة العربية المعنية ووسائل الإعلام العربية والدولية للتنقل بحرية في سوريا؛
- تنفيذ الحكومة السورية لتعهداتها؛
- تباشر اللجنة الوزارية إجراء الاتصالات والمشاورات اللازمة مع الحكومة ومختلف أطياف المعارضة السورية، من أجل الإعداد لانعقاد مؤتمر حوار وطني خلال أسبوعين من تاريخ هذا القرار.

ادعى وزير خارجية قطر أن الحكومة السورية، لم تلتزم بالخطة المتفق عليها، لذلك اتخذت جامعة الدول العربية في 16 نوفمبر 2011، ما يلي:

- تعليق مشاركة وفود الحكومة السورية في اجتماعات الجامعة وجميع المنظمات والأجهزة التابعة لها اعتبارا من يوم 16 نوفمبر 2011 إلى حين قيامها بالتنفيذ الكامل لتعهداتها، التي وافقت عليها بموجب خطة العمل العربية لحل الأزمة السورية، التي اعتمدها المجلس في اجتماعه بتاريخ 2 نوفمبر 2011؛
- توفير الحماية للمدنيين السوريين وذلك بالاتصال الفوري بالمنظمات العربية المعنية، وفي حالة عدم توقف أعمال العنف والقتل يقوم الأمين العام بالاتصال بالمنظمات الدولية المعنية بحقوق الإنسان بما فيها الأمم المتحدة، بالتشاور مع أطياف المعارضة السورية لوضع تصور بالإجراءات المناسبة، لوقف هذا النزيف وعرضها على مجلس الجامعة الوزاري للبث فيها في اجتماعه المقرر يوم 17 نوفمبر 2011؛
- دعوة الجيش العربي السوري إلى عدم التورط في أعمال العنف والقتل ضد المدنيين؛
- توقيع عقوبات اقتصادية وسياسية ضد الحكومة السورية؛
- دعوة الدول العربية لسحب سفرائها من دمشق؛

- دعوة جميع أطراف المعارضة السورية، للاجتماع في مقر الجامعة خلال ثلاثة أيام للاتفاق على رؤية موحدة للمرحلة الانتقالية المقبلة في سوريا، على أن ينظر المجلس في نتائج أعمال هذا الاجتماع، ويقرر ما يراه مناسبا بشأن الاعتراف بالمعارضة السورية.
- تعليق عضوية سوريا في جامعة الدول العربية، يتنافى مع ميثاق الجامعة، الذي ينص في المادة 18 منه على أنه: "لمجلس الجامعة على جميع مستوياته، أن يعتبر أي دولة لا تقوم بواجبات هذا الميثاق منفصلة عن الجامعة وذلك بقرار يصدره بإجماع الدول". بمعنى لا يمكن طرد أي عضو من أعضاء الجامعة، إلا إذا أخل هذا العضو بواجباته المحددة في ميثاق الجامعة، وهذا لا ينطبق على سوريا، لأنها لم تقم بأي عمل عدواني تجاه أي دولة أخرى، بل على العكس، هي كانت ضحية عدوان الجماعات المسلحة المدعومة إقليميا ودوليا.

أرسلت الجامعة العربية في 16 نوفمبر 2011 إلى سوريا مشروع بروتوكول بين الأمانة العامة للجامعة وسوريا. انعقد مجلس جامعة الدول العربية على مستوى الوزراء في 24 نوفمبر 2011، قرر أنه في حالة عدم توقيع سوريا على البروتوكول الخاص بالمركز القانوني ومهام بعثة جامعة الدول العربية لتنفيذ المبادرة العربية أو في حالة إخلالها بالالتزامات الواردة في هذا البروتوكول وعدم وقف عمليات القتل وإطلاق سراح المعتقلين. يجتمع المجلس الاقتصادي والاجتماعي يوم السبت 26 نوفمبر 2011 للنظر في فرض عقوبات اقتصادية على سوريا، تتضمن م ايلي:

- وقف رحلات الطيران السوري؛
- وقف التعامل مع البنك المركزي السوري؛
- وقف التبادلات التجارية الحكومية مع الحكومة السورية، باستثناء السلع الاستراتيجية التي تؤثر في الشعب السوري؛
- تجميد الأرصدة المالية للحكومة السورية؛
- وقف التعاملات المالية مع سوريا.

كانت هذه الإجراءات بمثابة عقوبات مالية وتجارية على سوريا، منذ تأسيس الجامعة العربية لم تتحرك بهذه الحماسة حتى في قضية فلسطين. كما أن القرار الذي اتخذته الجامعة العربية في حق سوريا، لم يتخذ في حق أية دولة منذ تأسيسها. اعتبرت سوريا قرارات الجامعة العربية ليس لها أية قيمة لأن بدونها، ليس للجامعة العربية أي وجود.

الفقرة الثانية: بعثة المراقبين العرب في سوريا

وقعت سوريا والجامعة العربية على البروتوكول في 19 ديسمبر 2011، بموجبها أرسلت الجامعة العربية بعثة مراقبين عرب برئاسة مصطفى الدابي إلى سوريا بين 24 ديسمبر 2011 إلى 18 يناير 2012، أهم ما تضمنه التقرير:

- عند انتشار المراقبين في القطاعات المختلفة، رصدوا في بداية عملهم أعمال عنف من جانب القوات الحكومية، وتبادلا لإطلاق النار مع بعض العناصر المسلحة في كل من حمص وحماة. رصدت البعثة في قطاعي حمص ودرعا أعمال عنف من جانب الجماعات المسلحة ضد القوات الحكومية ودرعا مما ترتب عليه سقوط قتلى وجرحى في صفوف هذه القوات. وفي بعض المواقف تقوم القوات الحكومية باستخدام العنف كرد فعل على الاعتداءات التي تمارس ضد أفردها؛
- وقد لاحظ المراقبون قيام جماعات مسلحة باستخدام القنابل الحرارية والقذائف الخارقة للدروع. شهدت البعثة في مناطق حمص وإدلب وحماة أعمال عنف طالت القوات الحكومية والمواطنين وأسفرت عن العديد من القتلى والجرحى؛
- لاحظت البعثة استنادا إلى ما يرد إليها من تقارير الفرق الميدانية أن هناك مبالغات إعلامية في الإعلان عن طبيعة الحوادث وأعداد القتلى والمصابين، نتيجة الأحداث والمظاهرات التي تشهدها بعض المدن. كما لاحظت البعثة أيضا إصدار بلاغات كاذبة من جهات عدة عن أعمال تفجير وعنف في بعض المناطق، وعند توجه المراقبين إلى هذه المناطق للتحقق من الأمر، تبين أن هذه البيانات لا أساس لها من الصحة؛
- رصدت تقارير البعثة من رؤساء الفرق الميدانية، أن هناك مظاهرات سلمية في بعض المناطق من المؤيدين للسلطة، ولم يتم التعرض لأي من هذه المظاهرات؛
- أصدر الرئيس الأسد بتاريخ 15 يناير 2012 مرسوما تشريعيا منح عفوا عاما عن الجرائم المرتكبة على خلفية الأحداث التي وقعت منذ 15 مارس 2011، وتنفيذا لذلك تقوم السلطات الحكومية بالإفراج عن المعتقلين في مختلف المناطق، إذ أعلنت الحكومة عن الإفراج عن 3569 معتقلا حتى الآن؛
- تلقت البعثة بلاغات من جهات في الخارج تفيد أن عدد المعتقلين السريين هو 16237، بينما بلاغات المعارضة الداخلية تفيد بأن عدد المعتقلين يبلغ 12005، تبين للبعثة أن العدد الكلي للمعتقلين هو 5152؛
- تأكدت البعثة من سحب وإخلاء جميع المظاهر المسلحة من المدن والأحياء السكنية، التي شهدت المظاهرات وحركات الاحتجاجات؛
- إن كافة الآليات العسكرية والدبابات والأسلحة الثقيلة تم سحبها من داخل المدن والأحياء السكنية، ما زال حضور أمني يتمثل في سواتر ترابية وبعض الحواجز أمام المباني الهامة؛

- منحت الحكومة موافقة ل 147 وسيلة إعلامية عربية وأجنبية، منذ شهر ديسمبر 2011 وحتى 15 يناير 2012 داخل الأراضي السورية؛
- ثبت للبعثة وجود عنصر مسلح غير مخاطب بالبروتوكول، يعتدي هذا العنصر في بعض القطاعات على القوى الأمنية السورية وعلى المواطنين، يواجه أيضا برد فعل عنيف يدفع ثمنه المواطنون الأبرياء، ويؤدي في النهاية إلى سقوط عدد من القتلى والجرحى؛
- إن جزءا من المعارضة لجأ إلى السلاح، نتيجة لمعاناة الشعب السوري من قهر واستبداد نظام الحكم؛
- تعرضت البعثة لحملة إعلامية شرسة من بداية عملها وحتى الآن، وقامت بعض وسائل الإعلام بنشر تصريحات لا أساس لها ونسبتها إلى رئيس البعثة كما قامت بتضخيم الأحداث بصورة مبالغ فيها، أدت إلى تشويه الحقيقة. إن هذا النوع من الإعلام المفبرك ساهم في زيادة الاحتقان بين أفراد الشعب السوري، وأساء إلى عمل المراقبين، واستغل نفرا قليلا منهم لتشويه سمعة البعثة ومحاولة إفشال المهمة.

تضمن التقرير الكثير من الأمور الإيجابية، التي قامت بها سوريا، كإطلاق سراح المعتقلين والسماح بدخول الإعلام المحلي والدولي. كما أن التقرير أشار إلى وجود مجموعات مسلحة تشن أعمال عسكرية ضد الحكومة. كما أشار إلى أن الإعلام ينشر أخبارا مفبركة عن ما يوجد في سوريا، لذلك لم يتم نشر هذا التقرير، بل اكتفوا فقط بتسليط الضوء على السلبيات التي وردت فيه، وتم تضخيمها على أساس أنها هي كل ما جاء به التقرير.

أكدت الجامعة العربية بالقاهرة أن التقرير يشكل إدانة واضحة لسوريا، مما دفعها إلى إصدار القرار رقم 7444 بتاريخ 22 يناير 2012، يتضمن ما يلي:

- ضرورة وقف كافة أعمال العنف والقتل من أي مصدر كان حماية للمواطنين السوريين؛
- الإفراج عن المعتقلين وإخلاء المدن والأحياء السكنية من جميع المظاهر المسلحة؛
- فتح المجال أمام منظمات الجامعة المعنية ووسائل الإعلام العربية والدولية للتنقل بحرية في جميع أنحاء سوريا للاطلاع على حقيقة الأوضاع؛
- سحب الجيش السوري وأية قوات مسلحة من مختلف التشكيلات إلى ثكناتها ومواقعها الأصلية؛
- ضمان حرية التظاهر السلمي بمختلف أشكاله وعدم التعرض للمتظاهرين؛
- دعوة الحكومة السورية إلى تسهيل مهمة بعثة المراقبين والسماح بإدخال كافة المعدات خاصة أجهزة الاتصالات؛
- الاستمرار في دعم وزيادة بعثة مراقبي جامعة الدول العربية وتوفير ما يلزم لهم من الدعم الفني والمالي والإداري، والتعاون مع الأمين العام للأمم المتحدة لدعم البعثة؛
- دعوة الحكومة السورية وكافة أطياف المعارضة إلى بدء حوار سياسي جاد تحت رعاية جامعة الدول العربية في أجل لا يتعدى أسبوعين؛

- تشكيل حكومة وحدة وطنية خلال شهرين تشارك فيها السلطة والمعارضة برئاسة شخصية متفق عليها، تكون مهمتها تطبيق بنود خطة الجامعة العربية، والإعداد لانتخابات برلمانية ورئاسية تعددية حرة بموجب قانون ينص على إجرائها، بإشراف عربي ودولي؛
- تفويض رئيس الجمهورية لنائبه الأول الصلاحيات كاملة، للقيام بالتعاون التام مع حكومة الوحدة الوطنية، لتمكينها من أداء واجباتها في المرحلة الانتقالية؛
- إعلان حكومة الوحدة الوطنية، حال تشكيلها بأن هدفها هو إقامة نظام سياسي ديمقراطي تعددي، يتساوى فيه المواطنين بغض النظر عن انتماءاتهم وطوائفهم ومذاهبهم، ويتم تداول السلطة فيه بشكل سلمي؛
- قيام حكومة الوحدة الوطنية بالإعداد لإجراء انتخابات تأسيسية على أن تكون شفافة ونزيهة برقابة عربية ودولية، وذلك خلال ثلاثة أشهر من قيام حكومة الوحدة الوطنية، تتولى هذه الجمعية إعداد دستور جديد للبلاد يتم إقراره عبر استفتاء شعبي وكذلك إعداد قانون الانتخابات على أساس هذا الدستور؛
- دعوة المجتمع الدولي إلى تقديم الدعم لحكومة الوحدة الوطنية لتمكينها من تنفيذ مهامها؛
- الطلب من رئيس اللجنة والأمين العام إبلاغ مجلس الأمن لدعم هذه الخطة طبقا لقرارات مجلس الأمن.
- أهم ما جاء في هذا القرار هو تنحية الرئيس الأسد، والأهداف هنا أصبحت واضحة، وليس لها أي علاقة بالديمقراطية أو حقوق الإنسان، بل تمكين المعارضة السورية التابعة للإخوان المسلمين من الوصول إلى الحكم في سوريا، لزيادة نفوذ قطر وتركيا وتقليص نفوذ إيران.

المطلب الثاني: سوريا بين الصراعات الدولية والإقليمية

فشل جامعة الدول العربية في حل الأزمة السورية (الفقرة الأولى)، دفع القوى الإقليمية والدولية إلى التدخل في الأزمة السورية، وأصبحت هذه الأخيرة فضاء للصراعات الإقليمية والدولية (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: الصراع الدولي في سوريا

لم يكن تقرير الدابي في صالح اللجنة العربية المعنية بالوضع في سوريا، لذلك أعلن الأمين العام للجامعة العربية نبيل العربي في 28 يناير 2012 وقف أعمال البعثة بحجة الأوضاع الأمنية الخطيرة.

رغم التقدم الذي أحرزته سوريا في تطبيق الخطة العربية، إلا أن حمد جاسم رئيس اللجنة العربية اتهم سوريا بعدم تنفيذ الخطة العربية. حيث لجأت الجامعة العربية إلى مجلس الأمن لتدويل القضية السورية. حيث عرض جاسم حمد رئيس اللجنة العربية مع نبيل العربي الأمين العام للجامعة العربية الخطة العربية في 31 يناير 2012 على مجلس الأمن، لكن تعرضت لنقض الفيتو من روسيا والصين، كان هذا أول فشل لتدويل القضية السورية.

اتخذت الجامعة العربية القرار رقم 7446 بتاريخ 12 فبراير 2012، الصادر عن اجتماع الدورة غير العادية لمجلس الجامعة على المستوى الوزاري، يتضمن مايلي:

- ضرورة الوقف الفوري والشامل لكافة أعمال العنف والقتل للمدنيين السوريين؛
- دعوة مجلس الأمن إلى إصدار قرار بتشكيل قوات حفظ سلام عربية أممية مشتركة للإشراف على تنفيذ وقف إطلاق النار في سوريا؛
- الطلب من المجموعة العربية في الأمم المتحدة تقديم مشروع قرار للجمعية العامة في أقرب الآجال يتضمن المبادرة العربية وباقي القرارات الصادرة عن جامعة الدول العربية بشأن سوريا؛
- فتح المجال أمام منظمات الإغاثة العربية والدولية لإدخال مواد إغاثة إنسانية إلى سوريا.
- فشلت الجامعة العربية في تدويل القضية السورية على مستوى مجلس الأمن، مما دفعها للجوء إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة، للحصول على قرار أممي يتبنى الخطة العربية، وقد اعتمدت هذه الأخيرة من قبل الجمعية العامة، في قرارها رقم 66/253 الصادر بتاريخ 16 فبراير 2012، يطالب الحكومة السورية بـ :
- وقف جميع أعمال العنف في البلدات السورية وحماية سكانها؛
- الإفراج عن جميع المحتجزين تعسفا بسبب الأحداث الأخيرة؛
- سحب جميع القوات العسكرية والمسلحة من المدن والبلدات وإعادتها إلى ثكناتها الأصلية؛
- ضمان حرية التظاهر سلميا؛
- السماح لجميع مؤسسات جامعة الدول العربية ووسائل الإعلام العربية والدولية بالوصول إلى سوريا؛
- تدعو إلى الاضطلاع بعملية سياسية شاملة بقيادة سوريا في أجواء تخلو من العنف والتطرف
- تهدف إلى الاستجابة لتطلعات الشعب السوري؛
- تؤيد كل التأييد قرار جامعة الدول العربية الصادر بتاريخ 22 يناير 2012؛
- تهيب بجميع الدول الأعضاء إلى تقديم الدعم لمبادرة جامعة الدول العربية؛
- تهيب بالسلطات السورية إلى السماح بوصول المساعدات الإنسانية، في أمان ودون عراقيل لضمان تسليم المعونة الإنسانية.

يعتبر هذا القرار أول اعتراف من الأمم المتحدة بالخطة العربية، لكن الجمعية العامة لا تتضمن آلية ملزمة لتنفيذ القرار على خلاف مجلس الأمن، لذلك استمرت الجامعة العربية في عرض خطتها على مجلس الأمن.

بعث نبيل العربي الأمين العام للجامعة العربية رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة بتاريخ 8 مارس 2012، يحثه فيها على "ضرورة إصدار قرار من مجلس الأمن يأمر بالوقف الفوري لإطلاق النار مع تبني آليات الرقابة وحفظ السلام اللازمة للإشراف على تنفيذ الوقف الفوري والشامل لإطلاق النار وجميع أعمال العنف من أي مصدر

كان، واقتراح تعيين مبعوث مشترك للأمين العام للأمم المتحدة والأمين العام لجامعة الدول العربية لمتابعة تنفيذ خطة خارطة الحل السلمي للأزمة السورية".

استجابت الأمم المتحدة لطلب الجامعة العربية، وتم تعيين كوفي عنان المبعوث الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة والأمين العام لجامعة الدول العربية، الذي التقى جميع أطراف الصراع، ووضع مقترح النقاط الست لحل الأزمة السورية، تتضمن ما يلي:

- الالتزام بالعمل مع المبعوث في عملية سياسية شاملة تقودها سوريا لتلبية الطموحات والاهتمامات المشروعة للشعب السوري؛
- الالتزام بوقف إطلاق النار وتحقيق وقف عاجل لأعمال العنف المسلح بجميع أشكاله، من قبل جميع الأطراف تحت إشراف الأمم المتحدة، حماية للمدنيين ولبسط الاستقرار في البلد؛
- ينبغي للحكومة السورية أن توقف فورا تحركات القوات نحو المراكز السكانية، وإنهاء استخدام الأسلحة الثقيلة فيها، والبدء بسحب الجيش من المراكز السكانية وحولها؛
- ينبغي على الحكومة السورية أن تعمل مع المبعوث لتحقيق وقف مستمر لأعمال العنف المسلح بجميع أشكاله، من قبل جميع الأطراف بموجب آلية إشراف فعالة للأمم المتحدة؛
- يطلب المبعوث التزامات مشابهة من المعارضة وجميع العناصر المعنية لوقف القتال، والعمل معه لتحقيق وقف مستمر لأعمال العنف المسلح، بجميع أشكاله من قبل جميع الأطراف بموجب آلية إشراف فعالة للأمم المتحدة؛
- كفالة تقديم المساعدات الإنسانية في حينها لجميع المناطق المتضررة من القتال؛
- تكثيف سرعة ونطاق الإفراج عن الأشخاص المحتجزين تعسفيا؛
- كفالة حرية التنقل في جميع البلاد للصحفيين؛
- احترام حرية إنشاء الجمعيات وحق التظاهر السلمي.

لم تحظ خطة كوفي عنان بأي دعم عربي، لأنها لم تدرج رحيل الرئيس الأسد عن السلطة، رغم ذلك وافقت عليها جميع الأطراف، مما دفع مجلس الأمن يتبنى خطة كوفي عنان في قراره رقم 2042 الصادر بتاريخ 1 أبريل 2012، يتضمن ما يلي:

- تقييم المبعوث اعتبارا من 12 أبريل 2012، المؤكد على أن الطرفين على ما يبدو يحترمان وقفا لإطلاق النار، وأن الحكومة السورية شرعت في تنفيذ التزاماتها؛
- يعيد تأكيده الكامل لجميع عناصر اقتراح النقاط الست؛

- يطالب الحكومة السورية بأن تنفذ الالتزامات التي وافقت على الوفاء بها في رسالتها إلى المبعوث بتاريخ 1 أبريل 2012: أولا وقف تحركات القوات نحو المراكز السكانية، ثانيا وقف استخدام الأسلحة الثقيلة في تلك المراكز، ثالثا بداية انسحاب الجيش من المراكز السكانية وحولها؛
- يطالب المعارضة بالوقف الفوري لجميع أعمال العنف المسلح؛

ينشئ فورا بعثة مراقبة تابعة للأمم المتحدة لرصد أعمال العنف المسلح بجميع أشكاله من جانب كافة الأطراف.

يعتبر هذا القرار أول تدويل للأزمة السورية على مستوى مجلس الأمن الدولي، ثم صدر قرار آخر من مجلس الأمن رقم 2043 بتاريخ 21 أبريل 2012، يتضمن ما يلي:

- يعيد تأييده الكامل لجميع عناصر اقتراح النقاط الست؛
- يدعو الحكومة إلى أن تنفذ كل الالتزامات التي وافقت على الوفاء بها بموجب قرار رقم 2042؛
- يدعو جماعات المعارضة السورية المسلحة إلى أن تحترم الأحكام ذات الصلة الواردة في الاتفاق الأولي؛
- يقرر إنشاء بعثة الأمم المتحدة للمراقبة في سوريا؛
- يقرر أن تكلف البعثة برصد وقف أعمال العنف المسلح بجميع أشكاله من جانب كل الأطراف، ورصد ودعم التنفيذ الكامل لاقتراح النقاط الست؛
- يؤيد دعوة المبعوث الحكومة السورية إلى أن تنفذ فورا وبشكل واضح كل عناصر اقتراح المبعوث النقاط الست بأكملها، للتوصل إلى تحقيق وقف مستمر لأعمال العنف المسلح بجميع أشكاله من جانب كل الأطراف.
- إن القراران الصادران عن مجلس الأمن بشأن سوريا غير واضحي المعالم، لأنهما ليس فيهما أي إشارة إلى أي بند من بنود الميثاق يمكن القول بأنهما صدرا بناء عليه، وليس هناك ذكر بأن الوضع في سوريا يهدد السلم والأمن الدوليين[1].

لم تنجح خطة كوفي عنان، مما دفعه إلى الاستقالة بتاريخ 2 أغسطس 2012، وتم تعيين الأخضر الإبراهيمي خلفا له. لكن هذا الأخير لم يضع أي خطة لحل الأزمة السورية، بل اكتفى بخطة كوفي عنان.

وضع الرئيس الأسد خطة سياسية لحل الأزمة السورية في خطابه بتاريخ 6 يناير 2013، تقوم على ما يلي:

- دعوة الدول الإقليمية إلى وقف تسليح وتمويل المسلحين، الذين يتعين عليهم وقف كافة العمليات الإرهابية، مما يسهل عودة النازحين السوريين، بعد ذلك مباشرة يتم وقف العمليات العسكرية الحكومية؛
- إيجاد آلية للتأكد من التزام الجميع بالبند السابق؛

[1] - فرست سوفي، الوسائل القانونية لمجلس الأمن، في تدويل النزاعات الداخلية وتسويتها، منشورات زين الحقوقية، بيروت، 2013، ص 258.

- قيام الحكومة بحوار وطني مع الشعب السوري بكافة أطيافه، وعقد مؤتمر للحوار الوطني لكافة السوريين من الداخل والخارج، للوصول إلى ميثاق وطني، يتمسك بسيادة سوريا، ووحدة وسلامة أراضيها، ورفض التدخل في شؤونها الداخلية، ونبذ الإرهاب، هذا الميثاق هو من سيرسم مستقبل سوريا؛
- يعرض الميثاق الوطني على الاستفتاء الشعبي؛
- تشكل حكومة موسعة تمثل مكونات الشعب السوري؛
- يطرح الدستور على الاستفتاء الشعبي، بعد إقراره تقوم الحكومة بإقرار القوانين الجديدة، وفقا للدستور الجديد؛
- تشكل حكومة جديدة وفقا للدستور الجديد؛
- عقد مؤتمر عام للمصالحة الوطنية؛
- إصدار عفو عام بسبب الأحداث.

رغم أهمية الخطة السياسية التي وضعها الرئيس الأسد لم تحظ بأية موافقة من المعارضة. مما يعني استمرار الحرب في سوريا. لذلك فشلت مهمة الأخضر الإبراهيمي، مما دفعه إلى الاستقالة بتاريخ 31 ماي 2014.

الفقرة الثانية: الصراعات الإقليمية في سوريا

انتقل الشرق الأوسط من منظومة إقليمية، كان يهمين فيها لاعب واحد من القوى الكبرى (الولايات المتحدة) إلى منظومة يجري في إطارها صراع بين عدد من اللاعبين من القوى الكبرى[1]. تعاظمت أدوار القوى الإقليمية غير العربية، وهي إيران وإسرائيل وتركيا، وأنظمة الحكم الملكية في الخليج. وقد تركت الحرب الكارثية المتعاقبة في سوريا، فراغات مؤسسية في الشرق الأوسط، أدت إلى تدخل الأطراف المتصارعة في سوريا، وإلى زعزعة الاستقرار في الأقطار المجاورة[2].

سعت القوى الإقليمية إلى الاستفادة من الثورات العربية، لتحقيق مصالحها الجيوسياسية. دعمت إيران الحكومة السورية، بينما دعمت تركيا المعارضة السورية. وتحولت سوريا إلى فضاء للصراع بين القوى الإقليمية، سوريا بالنسبة لإيران تعتبر رقعة جيوسياسية مهمة لدعم محور المقاومة في لبنان والعراق وفلسطين. وإذا سقطت سوريا بيد المعارضة فهذا يعني أن هذه المزايا الجيوسياسية ستفقدها إيران.

[1] - إيتان بارون وسارة فولير وايتي حيمينيس، هزة الثماني سنوات: خيارات متنوعة لفهم الواقع الراهن في الشرق الأوسط، معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي: http://www.inss.org.il/he/publication/eight-years-after-the-upheaval-alternative-approaches-to-understanding-the-current-middle-east/

[2] - بيري كاماك وأخرون، انكسارات عربية: مواطنون، دول، وعقود اجتماعية، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 2016، على الرابط التالي: https://carnegie-mec.org/2017/01/18/ar-pub-67650

يقول إيتان بارون[1] "أدت هزة الربيع العربي إلى تقليص التأثير الإقليمي لمصر وسوريا والسعودية، وبالمقارنة مع اللاعبين الأخرين الذين استغلوا الهزة لتوسيع نفوذهم وفي مقدمتهم إسرائيل وإيران. فإيران تتمتع بوجود عسكري وسياسي كبير في سوريا، أكثر من أي وقت مضى وكذلك في اليمن ولبنان والعراق، وفي المقابل وسعت إسرائيل أيضا تأثيرها الإقليمي عن طريق التعاون الأمني والاستخباراتي مع الأردن بشكل زاد عن الماضي، وكذلك مع مصر وبعض دول الخليج[2].

افتخرت القوى الإقليمية (تركيا، قطر، السعودية، إسرائيل) بالدعم الذي قدموه للمعارضة السورية المسلحة، حيث كانوا متأكدين أن هذا الدعم كفيل بإسقاط النظام السوري. لكن كانت كل جماعة مسلحة تتبع الدول التي تدعمها عسكريا وماليا وإعلاميا [3]. وهو ما أكدته هيلاري كلينتون قائلة "لم يخف على أحد إقدام دول عربية كثيرة على إرسال سلاح إلى سوريا، مع افتقار التنسيق في مجال تدفق الأسلحة. مما جعل تلك الدول على اختلافها، رعاة لمجموعات مسلحة متنوعة، ومتنافسة في بعض الأحيان"[4]. رغم اختلاف المعارضة السورية في تصوراتهم السياسية، إلا أنهم اتفقوا جميعهم على أن الرئيس الأسد لن يستمر سنة واحدة.

عندما فشلت القوى الدولية والإقليمية في إسقاط نظام الأسد عن طريق الثورة الملونة، لجأوا إلى محاولة استنساخ تجربة العراق، من خلال اتهام الحكومة السورية باستخدام الأسلحة الكيميائية ضد الشعب السوري، وجرى تسليط الضوء على ذلك إعلاميا، واعتبرت الإدارة الأمريكية أن استخدام الأسلحة الكيميائية خط أحمر: قال جون كيري " لقد أعلن الرئيس سنة 2012 أن استخدام الكيميائي في سوريا خط أحمر. كما أعلنت الإدارة الأمريكية في نفس السنة أن الرئيس الأسد يجب أن يرحل. لكن في أغسطس في أعقاب فظائع الأسلحة الكيميائية، كنت أعتقد أن العمل العسكري أمر لا مفر منه وأنه من الأفضل التصرف بسرعة، لأسباب عديدة، بما في ذلك حرمان الرئيس الأسد من الوقت لوضع المدنيين الأبرياء في أهداف رئيسة لردعه عن ذلك"[5].

---

[1] - رئيس قسم الأبحاث في المخابرات العسكرية الإسرائيلية.

[2] - إيتان بارون وسارة فولير وايتي حيمينيس، هزة ثماني سنوات: خيارات متنوعة لفهم الواقع الراهن في الشرق الأوسط، معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، 2015، على الرابط التالي: http://www.inss.org.il/he/publication/eight-years-after-the-upheaval-alternative-approaches-to-understanding-the-current-middle-east/

[3] - تصريح المعارض السوري كمال اللبواني قال : أنا زرت الولايات المتحدة في 2005، كان هناك مراجعة لسياسة الولايات المتحدة تجاه سوريا، ذهبنا إلى البيت الأبيض، وأخذنا تمويل من الكونجرس 5 مليون للمعارضة السورية سنويا و40 مليون للمعارضة الإيرانية و5 مليون قدمت على أساس تقسم إلى ثلاثة مصارف، واحد منهم لتليفزيون المعارضة السورية، ثانيا تمويل الأحزاب السياسية والمواقع الإلكترونية والصحف التابعة للمعارضة. ثالثا تخصيص مرتبات قدرها 1200 دولار للشهر لسجناء الرأي سرا. عندما تم إرسال الأموال إلى سوريا قررت المعارضة إعطاء النقود فقط 100 لسجناء الرأي وما تبقى اختلسوه.

[4] - هيلاري كلينتون، خيارات صعبة، ترجمة ميراي يونس، الطبعة الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2015، ص 447.

[5] - John Kerry, Every day is Extra, Simon Schuster, new York, 2018, p 578.

فضلت الولايات المتحدة الحل العسكري لإسقاط الأسد، وهو ما تكشفه لنا المناقشة، التي دارت في جلسة لجنة القوات المسلحة بالكونغرس الأمريكي[1]:

سيناتور ليندري براهام: هل هدفكم إسقاط الأسد؟؛

وزير الدفاع كارتر أشتون: النهج الذي اتبعناه لإسقاط الأسد كان عسكريا، من أجل الانتقال من الأسد إلى سوريا معتدلة؛

رئيس الأركان دنفورد جوزيف : أعتقد أن موازين القوى الآن لصالح الأسد؛

سيناتور: استراتيجيتنا سقطت، روسيا وإيران وحزب الله يحاربون من أجل الأسد، ونحن لا نقوم بأي شيء لمساعدة الشعب السوري، الذي يريد تغيير سوريا للأحسن بالتخلص من ديكتاتور دمشق.

محادثات أعضاء الكونغرس الأمريكي تبين التدخل الأمريكي في الصراع السوري، ورغبتهم في الإطاحة بالرئيس الأسد، واعترافهم بهزيمتهم في سوريا، لأن موازين القوى تغيرت، بفضل تدخل روسيا وإيران وحزب الله.

في هذه الأجواء مارست إسرائيل ضغوطات على الكونغرس الأمريكي والبيت الأبيض للتدخل العسكري في سوريا لإسقاط الأسد. تأثر أوباما بالضغوطات وقرر التدخل العسكري في سوريا، وأصبحت الإدارة الأمريكية تنتظر فقط الفرصة المناسبة لشن الحرب.

شن الغرب حربا إعلامية حول خطر امتلاك الرئيس الأسد للأسلحة الكيميائية، لتهيئة الرأي العام العالمي للحرب المرتقبة على سوريا. كانت بريطانيا ستشارك في الحملة العسكرية، لكن البرلمان البريطاني عارض الحرب على سوريا، خشية تكرار ما حدث في العراق. وهو ما اعترف به جون كيري قائلا "أحدث التصويت في لندن موجات من الصدمة عبر سياستنا في الداخل، لقد أحيت ذكريات ضحايا حرب العراق، لم يكن بوسعنا الانتظار، كنا بحاجة إلى مقاومة الجهود لتغيير الموضوع "[2]. عدم دخول بريطانيا إلى الحرب جعل الولايات المتحدة تتراجع عن الحل العسكري، وتعتمد الحل الدبلوماسي، وفي هذا الإطار قال جون كيري في مؤتمر صحفي: "يمكن للرئيس للأسد تسليم كل الأسلحة الكيميائية إلى المجتمع الدولي الأسبوع المقبل". وافقت روسيا على الاقتراح الأمريكي، وقامت سوريا بتسليم جميع الأسلحة الكيميائية لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية، التي أكد تقرير رئيسها أحمد أزومجو مايلي " في ما يتعلق بتدمير 12 مرفقا لإنتاج الأسلحة الكيميائية في سوريا، تحققت المنظمة من تدمير جميع البنى الأربعة المقاومة تحت الأرض، ثابرت السلطات السورية على تقديم التعاون اللازم، رحلت جميع المواد الكيميائية

[1] - https://www.youtube.com/watch?v=CX9tUiuD5cA

[2] - John Kerry, Ibid , p 582.

المعلن عنها من أراضي سوريا سنة 2014، دمرت جميع المخزونات المعلن عنها من المواد الكيميائية من الفئة 1، ودمر الآن % 93.1 من المواد الكيميائية من فئة 2 وهو ما يمثل نسبة إجمالية قدرها % 98.6"[1].

ادعت المعارضة السورية استخدام الحكومة السورية للأسلحة الكيميائية في العديد من المحافظات السورية[2]. من أجل جلب التدخل العسكري إلى سوريا، لكن أكد فريق البعثة الأممية أن داعش هي من كانت متورطة في استخدام الخردل الكبريتي في منطقة مارع بتاريخ 21 أغسطس 2015 قائلا "خلص الفريق إلى أن داعش شن هجوما على مارع باستخدام عدة قذائف مدفعية مملوءة بالخردل الكبريتي وهو سلاح كيميائي"[3]. كما أكد التقرير الثالث لآلية التحقيق المشتركة بين منظمة حظر الأسلحة الكيميائية والأمم المتحدة بتاريخ 24 أغسطس 2016 قائلا "بالنسبة لجميع المحافظات لا وجود لأدلة كافية للتوصل إلى استنتاج بشأن الجهات المتورطة وطرائق استخدام المواد الكيميائية كأسلحة في الحادث"[4].

طيلة الأزمة السورية تم خلق ثماني لجان للبحث عن الأسلحة الكيميائية، تابعة لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية خلال تسع سنوات، كلها لم تثبت استخدام الحكومة السورية للأسلحة الكيميائية ضد الشعب السوري.

اصطدمت خطة واشنطن للشرق الأوسط الجديد بصخرة اسمها سوريا. ورغم استمرار سفك الدماء، والضغوط الاقتصادية الشديدة، إلا أن سوريا تتقدم بثبات نحو تحقيق نصر عسكري واستراتيجي، من شأنه أن يحدث تحولا في الشرق الأوسط[5]. انتصار سوريا يعني نهاية لقوة واشنطن الدامية في تغيير الأنظمة في جميع أنحاء المنطقة، من أفغانستان إلى العراق وسوريا، إننا نشهد ظهور محور المقاومة أقوى. فقد نجت سوريا، وباتت إيران أقوى، وانضم العراق إليهما، وتحركت روسيا بشكل حاسم وشكلت الثقل المضاد، المناسب لدعمهم. سوف تلحق هذه المجموعة الهزيمة المذلة بخطط الشرق الأوسط الجديد الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة وإسرائيل والسعودية وتركيا. فالوحدة الإقليمية والاستقلال آتيان، وإن كانا بتكلفة باهظة، لكنهما آتيان لا محالة[6].

خاتمة

إن الوضع الذي وصلت إليه سوريا، قد ساهمت فيه العديد من القوى الدولية والإقليمية، وهو ما جعل الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش يقول" إن العديد من السوريين، بعد عقد من الحرب، فقدوا الثقة في إمكانية المجتمع الدولي بمساعدتهم في صياغة مسار متفق عليه للخروج من الصراع. إن الحرب في سوريا ليست

---

[1] - مجلس الأمن، رسالة من الأمين العام إلى رئيس مجلس الأمن، رقم 295، الصادرة بتاريخ 28 أبريل 2015.

[2] - محافظة حماة في 11 - 18 أبريل 214، إدلب 21- 29- 30 أبريل 2014، 25-26 ماي 2014، إدلب 16-24 مارس 2015، إدلب 21 أغسطس 2015.

[3] - مجلس الأمن، رسالة من الأمين العام إلى رئيس مجلس الأمن، رقم 888، الصادرة بتاريخ 21 أكتوبر 2016.

[4] - مجلس الأمن رسالة من الأمين العام إلى رئيس مجلس الأمن، رقم 738، الصادرة بتاريخ 24 أغسطس 2016.

[5] - تيم أندرسون، الحرب القذرة على سوريا، المرجع السابق، ص 301.

[6] - تيم أندرسون، المرجع نفسه، ص 302.

حرب سوريا فحسب. وإنهاؤها، والمعاناة الهائلة التي لا تزال تسببها، هي مسؤوليتنا الجماعية". كما اعترف المبعوث الأممي الخاص إلى سوريا غير بيدرسون قائلا " قبل عشر سنوات، كانت سوريا من الدول ذات الدخل المتوسط، وقد تحولت في غالبيتها العظمى إلى مستوى العوز والمعاناة، حيث أصبح % 60 من سكانها معرضين لخطر الجوع، نصفهم شردوا من ديارهم، والملايين الآن يعيشون كلاجئين أو مشردين داخليا".

المراجع

- ريز إرليخ، داخل سورية، قصة الحرب الأهلية وما على العالم أن يتوقع، ترجمة رامي طوقان، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2015.

- فرست سوفي، الوسائل القانونية لمجلس الأمن، في تدويل النزاعات الداخلية وتسويتها، منشورات زين الحقوقية، بيروت، 2013.

- هيلاري كلينتون، خيارات صعبة، ترجمة ميراي يونس، الطبعة الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2015.

- Christian Chesnot et Georges Malbrunot, Qatar les secrets du coffre-fort, Michel IAFON, Île de la Jatte, 2013.
- -http://www.inss.org.il/he/publication/eight-years-after-the-upheaval-alternative-approaches-to-understanding-the-current-middle-east/
- https://carnegie-mec.org/2017/01/18/ar-pub-67650
- https://www.youtube.com/watch?v=CX9tUiuD5cA
- John Kerry, Every day is Extra, Simon Schuster, new York, 2018.
- Kristian Coates Ulrichsen , Qatar and the Arab spring , Policy Drivers and Regional Implications, Carnegie Endowment for International Peace, Washington, 2014.

قواعد النشر في مجلة قضايا التطرف والجماعات المسلحة

1. أن يكون البحث أصيلا معدا خصيصا للمجلة، ألا يكون قد نشر جزئيا أو كليا في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، أو لدى أي جهة أخرى. تنشر الأبحاث باللغة العربية، وأن تكون مكتوبة بلغة سليمة. والالتزام بالمعايير الأكاديمية والأمانة العلمية في إعداد الأبحاث العلمي.
2. يرفق البحث بالسيرة العلمية للباحث باللغتين العربية والإنجليزية.
3. تنشر المجلة الأبحاث التي تتعلق بمجال اهتمامها فقط، حيث يتراوح عدد كلمات البحث من 5000 إلى 7000 كلمة بما فيها التهميش وقائمة المراجع والجداول والأشكال والملاحق إن وجدت. تهتم المجلة بنشر قراءات ومراجعات للكتب التي صدرت في مجال اهتمام المجلة بمختلف اللغات. يتراوح حجم المراجعة أو القراءة ما بين 3000 – 4000 كلمة، وتخضع لقواعد التحكيم المتبعة في المجلة. تخصص المجلة قسما لترجمة دراسات أو أبحاث تدخل في مجال اهتمامها من لغات أخرى إلى اللغة العربية، شرط أن يكون للمركز الديمقراطي العربي حقوق النشر والترجمة. تهتم المجلة كذلك بنشر عروض لتقارير أو ندوات علمية أو مؤشرات تتعلق بمجال اهتمام المجلة مثل مؤشر الإرهاب العالمي. لا يجب أن يتجاوز حجم العرض 3000 كلمة.
4. **يجب أن يتضمن البحث والدراسة العناصر الآتية:**

- عنوان المقال باللغتين العربية والانجليزية، اسم ولقب الباحث باللغتين العربية والانجليزية، الصفة، الدرجة العلمية، المؤسسة التي ينتمي إليها، البريد الإلكتروني.
- ملخص باللغتين العربية والانجليزية بحجم يتراوح ما بين 150-200 كلمة. ووضع كلمات مفتاحية لا تقل عن أربعة كلمات باللغتين العربية والانجليزية.
- يتضمن البحث مقدمة، المتن، خاتمة. يجب توضيح الإشكالية البحثية بدقة، مع ذكر أهمية الموضوع، وصياغة الفرضية العلمية، ووضع إطار مفاهيمي ومنهجي للموضوع والمقاربات النظرية له. وأن يعتمد التحليل والتفسير العلمي في إعداد البحث.

- يكون التهميش في أسفل كل صفحة بطريقة متجددة وغير تسلسلية حيث يبدأ ترقيم التهميش وينتهي في كل صفحة. وتوثق المراجع حسب الترتيب الأبجدي في نهاية البحث وفق التصنيف الآتي: الكتب، المجلات والدوريات، الوثائق الرسمية والدولية، المذكرات الجامعية.
- يتم كتابة البحث في ملف وورد على قيا (A4) ، حيث يعتمد نوع الخط simplified arabic حجم 14 عادي للمتن وحجم 10 عادي للهوامش. يكون عنوان المقال والعناوين الفرعية بخط 16 بارز .Gras الجداول تكون بحجم 12./ باللغة الانجليزية اكتب بخط times new roman بحجم 10 في التهميش، وحجم 14 في قائمة المراجع./ يراعى تباعد الخطوط بمقياس 1.15، وتكون هوامش الصفحات بمقياس 3 على اليمين و2.5 على اليسار و2.5 من الأعلى والأسفل.

5. **كل بحث أو دراسة:**

- يخضع لتحكيم سري من طرف محكمين ينتمون إلى اللجنة العلمية للمجلة. وتلتزم هيئة تحرير المجلة بإبلاغ الباحث بقرار: النشر، أو النشر بعد إجراء تعديلات، أو الاعتذار عن عدم النشر.
- كل مقال يتنافى مع قواعد النشر لا يخضع للتحكيم. تخضع الأولوية في نشر الأبحاث لاعتبارات موضوعية تتعلق بالجودة والأصالة العلمية.
- لا تدفع المجلة مكافآت مالية عن الأبحاث والمقالات التي تنشرها، ولا تتلقى أي مقابل مالي لنشر الأبحاث العلمية.
- تعبّر المضامين الواردة في الأبحاث عن أراء أصحابها ولا تعبّر بالضرورة عن أراء المجلة أو اتجاهات يتبناها المركز الديمقراطي العربي. ترفض المجلة نشر أي مادة علمية تمس بالأخلاقيات أو الأديان أو المعتقدات أو كرامة الأشخاص أو تشيد بالتطرف والعنف.
- يرسل البحث على شكل ملف وورد، إلى البريد الإلكتروني:

j.extremism@democraticac.de